ملك المزيفين

إدجار والاس



روايات الهلال  روائع القصص العالمي



الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة ، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل وسيطرة العادة ، والتبجيل المفرط لمفكري الماضي
إن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

حصريات مجلة الابتسامة
** شهر سبتمبر 2018 **
www.ibtesamah.com/vb

التعليم ليس استعداداً للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

روايات الهلال

REWAYAT AL-HILAL

تصدر عن (دار الهلال) شركة مساهمة مصرية

رئيس التحرير : طاهر الطناحي

العدد ١١٦ * أغسطس ١٩٥٨ * ٢٩ محرم ١٣٧٨

No. 116 — Août 1958

بيانات ادارية

ثمن العدد فى مصر والسودان ٨٠ مليما ـ فى الاقطار العربية عن الكميات المرسلة بالطائرة : فى سوريا ١٠٠ قرش سورى ـ فى لبنان ١٠٠ قرش لبنانى ـ فى الاردن ١٠٠ فلس ـ فى العراق ١٠٠ فلس

الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ـ مصر والسودان ٨٥ قرشا صاغا ـ سوريا ولبنان (بالطائرة) ١٠٧٥ قرشا سوريا لبنانيا ـ السعودية والعراق والاردن وليبيا بالبريد البحرى ١١٠ قروش صاغ ـ الامريكتين ٥ دولارات ـ سائر أنحاء العالم ١٥٠ قرشا صاغا

طريقة الدفع

فى اقليم مصر : بموجب أذونات أو حوالات بريدية أو شيكات ـ **فى السودان** : بموجب حولات بريدية أو شيكات **فى الخارج** : بموجب حوالة نقديه (Money Order) أو حوالة مصرفية (شيك) على أحد بنوك القاهرة ـ وقيمة الاشتراك ترسل مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال أو الى أحد وكلائنا ـ ولا يمكن قبول أذونات البريد

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب بك ـ القاهرة

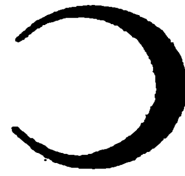
المكاتبات : روايات الهلال ـ بوستة مصر العمومية ـ مصر

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاعلانات : يخاطب بشأنها قسم الاعلانات بدار الهلال

روايات الهلال





مجلة شهرية لنشر القصص العالمي

ملك المزيفين

قصة بوليسية من أروع القصص العالمي

تأليف

ادجار والاس

مؤلف الرواية

كان « ادجار والاس » ثالث ثلاثة من المؤلفين الانجليز عقد لهم لواء الزعامة فى كتابة القصص البوليسية خلال القرن الماضى ، والآخران هما : « سير ارثر كونان دويل » مبتكر شخصية شرلوك هولمز ، و « وليم ليكيه » الذى كشف بقصصه عن كثير مما غمض من نشاط جواسيس الالمان فى انجلترا ، وشرح وسائل حياتهم وأساليبهم فى التغلغل بين الناس والحصول على كل البيانات النافعة لبلادهم

وقد امتاز ادجار والاس مؤلف هذه القصه ببراعته التى لاتجارى فيما يبتكره من الغاز طريفة تحفل بها قصصه ، حتى انه لا يختم فصلا من احداها الا على حادث جديد ، يضيف به لغزا الى ألغازها ، ويحبس أنفاس قارئه شوقا الى معرفة النتيجة ويندر أن تتضح هذه النتيجة الا فى الاسطر القليلة الاخيرة من القصة ...

ومن عجيب أمر هذا المؤلف القصصى العبقرى أنه بدأ حياته بائع صحف ، ثم دفعه حبه للبحث والاطلاع الى ترك بيع الصحف ،ليعمل طاهيا فى احدى البواخر حيث أتيح له أن يزور بلادا كثيرة مختلفة ، وأن يدرس عن كثب حياة أهلها

على أنه ما لبث قليلا حتى مل حياة التجوال فى البحار ، فعاد الى الاقامة بوطنه الاول حيث عمل بائعا للبن ، يحمله الى عملائه مرة كل صباح،ولبث كذلك حتى قامت حرب البويرفتطوع للعمل جنديا فى الجيش الانجليزى ، وهناك فى جنوب أفريقا بدأت مواهبه تظهر وتوجهه الوجهة الصحيحة للقيام بدوره الاكبر فى الحياة وتأديته رسالته الخالدة • فاشتغل الى جانب عمله فى الجيش بمراسلة بعض الصحف الانجليزية وكان أول ما خطه قلمه رسائل ضمنها أخبارا عن حرب البوير ، وعن أبناء تلك البلاد الذين كانوا يفضلون الموت

على الاستسلام للانجليز

ولفت نشاطه أنظار أصحاب صحيفة « الديلى ميل » فاختاروه مراسلا خاصا لصحيفتهم فى ذلك الميدان الحربى · ومن هناك عاد الى لندن رئيسا لتحرير تلك الصحيفة الكبرى ···

وكان قد بدأ وهو فى جنوب أفريقا كتابة أول قصة له وهى « شريعة الاربعة العدول » · فلما أتمها بلغ من اعجابه بها أنه قرر نشرها لحسابه ، ورسم لها خطة دعاية كبيرة ، لم تلبث أن استنفدت كل المال الذى ادخره من أعماله السابقة ، وعندئذ عرض أمر القصة على أصحاب « الديلى ميل » ومدير تحريرها المستر « ألفرد هارمزورث » ـ الذى أصبح فيما بعد « لورد نورثكليف » عميد الصحافة البريطانية ـ فأعجب بالقصة وقدم لكاتبها ألف جنيه يستعين بها على اتمام نشرها،ونفد هذا المبلغ أيضا واضطر «والاس» آخر الامر الى بيعها لاحدى دور النشر بما يساوى ما أنفقه عليها مضافا اليه ٧٥ جنيها !

وابتسم له الحظ منذ ذلك التاريخ فانتقل من الفقر المدقع الى الغنى الفاحش حتى لقد بلغ دخله السنوى من رواياته زهاء خمسين ألف جنيه ، ولكنه كان كريما مسرفا فى كرمه حتى كان يبلغ به الامر الى الاقتراض بين رواية ورواية

وكان « ادجار والاس » غزير الانتاج الى حد تعذر معه احصاء عدد ما كتبه من القصص ، وكانت سرعته فى كتابة القصة موضع التندر لدى أصدقائه ومن ذلك ما ذكره أحدهم من أنه طلبه يوما بالتليفون فاعتذر له سكرتيره الخاص بأنه بدأ منذ هنيهة كتابة قصة جديدة ، فرد الصديق على السكرتير قائلا : « حسنا ! سأنتظره هنيهة أخرى ريثما يتم القصة ! »

وقد أخرجت له احدى دور النشر وهى التى نقلنا عن طبعتها هذه الترجمة ما يربو على أربعين قصة

وفى سنة ١٩٣٢ سافر الى هوليوود للاتفاق على اخراج احدى رواياته على الشاشة البيضاء ، ولكن المنية عاجلته قبل اتمام الاتفاق

شخصيات الرواية

* بيتر كليفتون «Peter Clifton» :
ثرى شاب ، تزوج جين ليث
* جين كليفتون «Jane Clifton» :
زوجة بيتر الشاب الثرى
* جون ليث «John Leith» :
والد جين . فنان عجوز
* دونالد شين ويلز «Donald Cheyne Wells»
طبيب
* مارجورى ويلز «Marjorie Wells» :
زوجة الطبيب
* بازيل هيل «Bazil Hale» :
شاب هازل ماجن
* موسى روبر «Moses Rouper» :
ضابط بوليس
* بورك «Bourke» :
مفتش بوليس
* مدام انترسوهن «Madame Unterzohen»
عجوز معتوهة
* بلومبرج «Blomberg»
مراب
* بارسون «Parson» :
بستانى
* آنا «Anna» :
خادم
* رادلو «Radlow» :
محام عجوز
* والكر «Walker» :
رئيس الخدم فى منزل بيتر كليفتون
* برانس «Brance» :
مالك قصر لونجفورد

الفصل الأول

عند الطبيب

كانت غرفة الفحص الرحبة في المنزل رقم ٩٠٣ بشارع هارلى ، من الغرابة كصاحبها الطبيب شين ويلز نفسه

كانت قريبة الشبه بغرفة استقبال ، أو قاعة مكتبة يملكها هاو للكتب ، يجمعها أشتاتا من هنا وهناك ، كلما سنحت له الفرصة ، فقد انتظمت جدارين من الغرفة صفوف من الارفف ، تحمل مجلدات متنافرة الشكل والحجم ، وفى وسط الحجرة منضدة تحمل بعض الكتب ، وعلى الارض ألقت يد مهملة احدى الصحف ، ولم تكن هناك أجهزة طبية ، حتى ولا مجرد مجهر أو أنبوبة اختبار

وفى أحد أركان الغرفة ، قرب النافذة التى تتدفق منها أشعة الشمس الصفراء ، كان هناك باب لامع الطلاء ، يفضى الى حمام مغطى بالقيشاني الابيض ، ولكنه لم يكن حماما ، بل غرفة تحوى الارفف الزجاجية ، وطاولة ذات سطح زجاجي ، وعددا كبيرا من الاجهزة الغريبة ، وخزانات من الزجاج والصلب تحوى صنوفا مختلفة من الاوعية

ومع ان بيتر كليفتون كان دائم التردد على عيادة الطبيب ، فانه لم ير هذا الباب مفتوحا أبدا

كان بيتر يجلس على ذراع أحد المقاعد الكبيرة ، وقد استدار الى النافذة . لم يكن يهتم بمنظر السيارة الفارهة الواقفة عند منحنى الطريق ، أو يتطلع الى الطوابق العليا من المنزل الذى يواجهه . كان رجلا مفرط الحساسية ، يخشى خدش عواطفه ، ولم يكن فى هذه اللحظة يجب أن يرى أى انسان ــ حتى ولا شين ويلز نفسه ــ

واستدار ليواجه عينى الرجل الواقف أمام المدفأة ، وقد تدلت

سيجارة من ركن فمه

كان مستر ويلز رجلا بادى النحـــافة ، مما أعطاه مظهرا خادعا بالطول لا تبرره قامته ، وكان وجهه الاسمر العابس، وشاربه الاسود الحليق ، يبدو قاسيا اذا هدأ ، ولكنه اذا ابتسم تغيرت ملامح الوجه كلية

وتنهد بيتر بعمق وتمطى حين رآه يبتسم وقال له وهو يضحك ضحكة عصبية عالية لم يفت شين ويلز ملاحظتها :

ــ كان يوما طيبا حين قصدتك خطأ على أنك طبيب أسنان

ــ يا سيدى اللطيف ، لقد كانت الفائدة متبادلة ، فلم يسبق أن توليت رعاية مريض كريم مثلك ، فشكرا لمصلحة التليفونات التى أبقت رقم تليفون السيد الذى يقيم فى رقم ٩٠٣ بشارع هارلى كما هو ، بعد أن انتقلت أنا اليه وبعد أن تركه صاحبه بأسبوع

فضحك الآخر مرة أخرى وقال :

ــ ومع ذلك فقد عالجت ضرسى العجوز !

ففارقت الابتسامة وجه الطبيب وقال :

ــ اننى لم أعالج سوى هواجسك ، ولابد أن تبقى ثقتك فى جهود السير ويليام كليوزز ، فأنا لم أكن لاجـرؤ أن أكون حاسما مثله ، ولا زلت أقول انه على الرغم من أن الخطر قد زال ، فانك عرضـــة للازمات التى حدثتك عنها . ولم أر فائدة من مناقشة سير ويليام فى هذه النقطة ، ولكن يمكنك أن تجرى فحصا جديدا ان شئت

فهز بيتر رأسه فى عنف وقال :

ــ كلا ، فاننى فى المستقبل ساتحاشى المرور فى شارع هارلى ...

وتوقف برهة ، ثم استطرد :

ــ قد يبدو هذا جحودا ...

ولكن الطبيب هز رأسه موافقا ، وقال :

ــ قد تكون أحمق ، اذا لم تفعل

ثم غير الموضوع بسرعة ، وسأل :

ــ متى يقام الحفل ؟

ورأى تكشيرة تتجمع فى لحظة على جبين مريضه العريض . وكان هذا تعبيرا مدهشا على وجه شاب غنى جدا ، ووسيم جدا ، يوشك

أن يتزوج أجمل فتاة رآها شين ويلز في حياته.ولكن الطبيب لم يكن مندهشا ، وقال الشاب :

ـ في الثامنة والنصف ، انك ستحضر طبعا . سيكون الحفل في الريتز ، ومن هناك نتجه الى قصر لونجفورد . كنت أظن جين تفضل أوربا ؛ ولكنها فيما يبدو تفضل قصر لونجفورد

وساد الصمت برهة ، ثم قال شين ويلز وهو يحدق في وجـــه مريضه :

ـ ولماذا التكشيرة ؟

ـ الله أعلم بالحقيقة ، ولكنها كانت فترة خطوبة غريبة ؛ ان هذا « الشيء » مسلط فوق رأسي.وأحيانا تبدو جين ـ ماذا أقول : باردة ليست الكلمة المناسبة ، ولا حتى كلمة : قليلة الاكتراث... غامضة هي الكلمة ، لا يمكن للمرء أن يخمن ما يدور في رأسها بسهولة . انها تبدو غريبـــة عني ، وهذا ما يخيفني . ان الامر كله بدأ بداية خاطئة ، اننا لم نفهم بعضنا البعض جيدا

ـ لقد عرفتك بها . هنا اذن بدأ الخطأ ، ثم ...

ـ لا تكن أبله ، كان هذا أفضل ما فعلت.انني أعبد جين يادونالد، ولن أتأخر في تقديم أغلى ما في الوجود من أجلها ، ولكنها تخيفني.، وان كانت لا تبادلني هذا الشعور ، وهذا هو عزائي . انني أشعر انني أقحمت نفسي على ذلك البيت ، ودفعتهـــــا الى خطوبة لم تكن خطوبة

وجز على أســـنانه ، وعادت اليه تلك النظرة المتعـــبة القلقة ، واستطرد :

ـ لقد اشتريتها !...

وفي هذه المرة أطلق الطبيب ضحكة عالية ، ثم قال :

ـ إنك خصب الخيال يا صديقي ، كيف تقول اشـــتريتها ، أهي هكذا سلعة ؟!

فهز بينتو رأسه وأجاب :

ـ انني بالطبع لم أقل سأدفع مائة ألف ثمنا لها ، فقد كنت حريا أن أطرد ان فعلت ، ولكن حين انتحيت بليث ركنا من مرسمه ،وقلت له انني سأسدد هذا المبلغ ان تزوجت ابنتـــه ، مع أنني لم أكن قد

رأيتها الا مرتين ، فانني كنت أعرف أن الفكرة ستتغلب على العقبات. إنني رجل فاسد على كل حال . هل تعلم انني لم أقبل حين حتى الآن ؟

فقال الثاني بجفاء :

ـ لو كنت مكانك لبدأت اليوم ، فان فتاة ستتزوج بعد غد، تنتظر شيئا من هذا القبيل

ومرر بيتر أصابعه في شعره الاسود غير المرجل ، ثم تساءل

ـ أتعتقد انني أخطأت ؟ انني كلما مسني الرعب سألت نفسي ، ترى هل هي تعلم شيئا عني ؟ أنك تعرف ما أعني ، أم ان هناك اتفاقا تسببت أنا في افساده ... هيل مثلا

ـ ولماذا تظن أنها ...

وسمع طرقة خفيفة على الباب ، فقال ويلز

ـ هذه زوجتي ، هل تمانع في دخولها ، أم تريد مواصلة الكلام؟

فقال بيتر في مرارة :

ـ لقد تكلمت بما فيه الكفاية

ثم واجه السيدة الرشيقة الشابة التي دخلت الغرفة . كانت مارجوري ويلز في الخامسة والثلاثين ، وان بدت أقل من سنها بعشر سنوات ، وأكثر اسمرارا من زوجها . وبادرته مارجوري باسمه :

ـ سمعت انك هنا . تحية الى العروس ، وعلى فكرة، لقد التقيت بعروسك هذا الصباح ، وكانت تبدو كالزهرة المتفتحة .. مع الرجل غير المناسب !

ولم يبد أنها لاحظت النظرة القاسية التي رمقها بها زوجها ،فقد كانت أشد تلميحاتها براءة تحمل ظلا خفيفا من القسوة . والتقط زوجها التلميح المقصود ، فتساءل :

ـ الرجل غير المناسب ؟... هل تقصدين بازيل هيل ؟

ورأى عيني بيتر الرماديتين تنظران ناحية مارجوري متسائلة ، فقالت مارجوري :

ـ طبعا بازيل ، يا للشاب المسكين ، انني لا أشك أنه يشعر بالتعاسة

ـ ولماذا ؟! .

قالها شين ويلز في صوت معدني ، فتبخر التحامل من لهجة زوجته في الحال ، وقالت :

ـ انني أبدو قاسية ، أليس كذلك ؟ انني آسفة يا بيتر

وكان بيتر قد التقط قبعته ، فابتسم كأنما سمع نكتة ، وقال في صوت جاف :

ـ نعم ، أنك كذلك ، فانك تسببين لى من تعب القلب أكثر مما تسببه أى امرأة أخرى · انت مدعو للعشاء مساء غد يا ويلز

وهز الطبيب رأسه موافقا ، وقال :

ـ انه سيكون آخر عشاء يقدمه أعزب ، ولا يسعنى الا أن ألبى رغبتك حتى لا تشعر بالوحشة في الليلة السابقة لزواجك

ورافق بيتر الى الباب ، وبقى هناك حتى رأى السيارة الرولز تختفي في شارع وينجمور ، ثم عاد الى العيادة



وقالت مارجورى بلا اكتراث :

ـ ما خطب بيتر ؟ انه يبدو مضطربا ···

ـ قلت لك ألف مرة يا مارجورى اننى لا أناقش شئون مرضاى، ثم ··· خففى هذه القسوة على بيتر ، هل تفهمين ؟

ووقفت خادم بالباب، تحمل بطاقة على طبق فضى فتناول البطاقة ، وقرأها بامعان ، ثم قال :

ـ حسنا ، فليتفضل مستر روبر بالدخول

ثم تحول الى زوجته وقال

ـ يمكنك الانصراف الآن ، وسأتحدث اليك بشأن بيتر فيما بعد

وغادرت زوجته الغرفة قبل أن يتم كلامه ···

وكان الرجل الذى دخل الغرفة طويل القامة ، عريض المنكبين ، أشيب الشعر ، ولكنه يخطو خطو جندى · وأغلق ويلز الباب خلفه ، ثم أشار له الى مقعد ، ثم قال :

ـ تفضل بالجلوس يا سيدى الضابط

ووضع المفتش موسى روبر قبعته بعناية على المنضدة ، ثم خلع قفازيه ، وبحث في جيب معطفه الداخلى بعناية ، وحين أخرج حافظة نقود جلدية بنية اللون ، جلس ، ثم قال :

ـ يؤسفنى أن أزعجك يا سيدى الطبيب ، فأنا أعلم انك رجل مشغول ، ولكننى لم أجد بدا من زيارتك

وصمت ويلز حتى أخرج المفتش من حافظة نقوده ورقة طرحها على المائدة ، ثم استطرد :

ـ هذه ورقة مالية من فئة الخمسين جنيها ، كان لايمكن أن نتتبعها لولا ان اسمك مختوم على ظهرها

وثبت المفتش منظاره على عينيه ، وقرأ :

ـ دكتور شين ويلز ، ٩٠٣ شارع هارلى

ومد يده بالورقة الى الطبيب ، الذى نظر الى الختم الرمادى الذاوى، المطبوع على ظهرها ، ثم قال :

ـ نعم ، هذا ختمى الذى أستخدمه لأغـراض متنوعة ، ولو أننى لا أذكر اننى ختمت هذه الورقة

ـ هل تذكر كيف حصلت على هـذه الورقة ، وكيف انتقلت من حوزتك ؟

ـ ان ورقة ذات خمسين جنيها من الأشياء التى لا يمكن أن تنسى، لقد أعطانيها مريض ، آه ، نعم ··· انه مستر كليفتون ، وأنفقتها فى السباق ، فأنا أحب المقامرة أحيانا

ـ وخسرتها ؟

ـ الواقع أننى ربحت عدة مئات من الجنيهات

وكان المفتش روبر يدون شيئا فى مفكرته ، فقال :

ـ مستر بيتر كليفتون ؟ أظننى أعرف هذا الرجل ، أليس هو الذى يستأجر شقة فى عمارة كارلتون ؟

ـ نعم ، ولكن ما وجه الغرابة ؟ انك طبعا لا تظن انه سرقها ··

وكان المفتش قد فرغ من الكتابة ، فقال :

ـ كلا يا سيدى ، ولكن هذه الورقة مزيفة ، انها من أردأ أعمال « ملك المزيفين »

ولم يكن ويلز فى حاجة الى أن يسأل من هو « ملك المزيفين » ، فقد كانت أعماله مصدر متاعب لبنوك العالم منذ خمس سنوات ، ولم يعرف على وجه التحديد من الذى أطلق عليه هذا الاسم ، وان كان المرجح انه أحد رجال البوليس

واستطرد المفتش روبر :

ـ انه لم يعمد الى تزييف أوراق النقد الانجليزى من قبل ، فقد بدأ نشاطه فى بنك جنوب أفريقيا ، ثم تحول الى البنك السويسرى ثم الى الولايات المتحدة ، حيث زيف أوراق النقد فئة المائة دولار ، ثم تحول الى بنك فرنسا ، وظننا أنه عاد الى الولايات المتحدة ، حتى عثرنا على ورقة نقد فى باريس ، فأدهشنا أنه خان وطنه !

وضحك المفتش حتى سعل ، ثم قال يطمئن الطبيب القلق :

ـ انك لن تتحمل خسارة ، فقد قام البنك بالتزاماته ، أما أنا فأريد أن أقابل الرجل الذى زيف الورقة

واتجه الطبيب الى خزانة صغيرة فى الحائط ، فأخرج دفترا ، وقال وهو يقلب صفحاته :

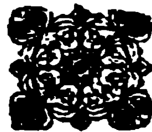
ـ يجب أن أتأكد ، آه ٠٠٠ ها هى : مستر بيتر كليفتون ٥٢ جنيها نقدا ، أنه لا يدفع الا نقدا

ـ هل دونت رقم الورقة ؟

ـ كلا ، اننى لا أفعل هذا ، فانه عمل لا لزوم له ، لان أكثر زبائنى لا يدفعون الا نقدا

ـ شكرا يا سيدى الطبيب

وأيضا رافق الطبيب هذا الزائر الى الباب ، وحين عاد كان مقطب الوجه وهو يفكر ٠ لم يكن يهتم بالتزييف ٠ لقد كان موقنا من أنه لم يختم ورقة النقد ، فمن الذى فعل ؟ وماذا كان يقصد



الفصل الثانى

عند العروس

رفع جون ليث وجهه عن الصحيفة التى كان يقرأها ، ثم سأل :

ــ هل قابلت بيتر اليوم ؟

ــ لا يا أبى ...

فاستأنف جون ليث قراءة الصحيفة ... انه رجل ذكى الفؤاد ، له لحية طويلة كانت ذهبية فى يوم من الايام ، أما اليوم فقد أصبحت رمادية تماما . وكانت الحجرة الرحبة التى يجلسان فيها تفضح هواية الرجل ، فقد كانت نوافذها العريضة ، واللوحات العديدة التى تغطى الجدران ، تنطق بجلاء على انها استديو . وكان من دأب ليث أن يعلن أن ظروف العيش الرغدة قد أفسدته كفنان . وبعد برهة نحى ليث الصحيفة ، وعاد يناقش موضوعه المفضل :

ــ بدون دافع الفقر ، يصبح الفنان عبدا لخيالاته ، وانما يصل الفنان الى طريق المجد حين يبدأ فى الرسم تلبية لحاجة جمهوره

ولكن ابنته لم تكن تهتم بالفن والفنانين . كانت تجلس على ذراع أحد المقاعد المريحة ، وقد اعتمدت بوجهها على يديها ، وركزت عينيها فى الانسان الوحيد الذى أحبته فى هذا العالم دون حدود ، وهو والدها . ثم قالت :

ــ اننا نعيش فى بحبوحة من العيش ، أليس كذلك ؟

ــ الى حد معقول يا عزيزتى

ــ اذن لماذا تحتم على أن أتزوج بيتر ؟ اننى أعلم انه ثرى جدا ، وأعتقد اننى أميل اليه ، ولكنى أخاف نظرات عينيه ، وأعتقد أننى يمكن أن أزداد ميلا اليه ، اذا لم يكن الامر بهذه السرعة

فمد يده ، والتقط يدها ، وقال :

ـ أريد أن أراك مستقرة يا عزيزتي

ـ انك لست مريضا ؟...

ـ كلا ، انني لا أخفي عنك شيئا ، ولكنني أريد أن أراك متزوجة ، وبيتر شخص طيب ، وهو كما تقولين ثري جدا

ـ أين جمع ثروته ؟انه لا يتحدث عن نفسه مطلقا ، وهو لا يمكن أن يرث ثروة ضخمة دون أن يعلم الناس ، آن بازيل هيل يقول ...

ـ ان بازيل يقول كلاما كثيرا لا ينبغي أن يقوله ، ألم يتصل بك بيتر ؟

ـ نعم ، لقد اتصل بي تليفونيا ، قال أن أحد رجال البوليس زاره بخصوص ورقة نقد زائفة ،كان اسم دونالد ويلزمختوما على ظهرها، لقد انزعج بيتر

فبحث ليث عن شيء في صحيفته ، فلما وجده ، قال كأنه يناجي نفسه :

ـ ورقة زائفة من فئة الخمسين جنيها ، ان هنا شيئا عمن يدعونه « ملك المزيفين » .. سيقبضون على هذا الخبيث .. بخصوص بيتر ، انه رجل ذكي متخم بالمال ، ورسومه رائعة أيضـــا ، هل تذكرين الرسوم التي رسمها لك ؟

ـ الرسوم التي فقدتها ؟

فتمتم على طريقته ، يلوم ذاكرته ، وقال :

ـ لست أدري بحق الشيطان أين تركتها ، لست أذكر ،كنت في مكان ما ، ربما تركتها على مقعد في قطار ، لست متأكدا

ـ وعلى ذكر الاشياء التي يفقدها الانسان ، هل تعلم أنني سأتزوج بعد ٤٨ ساعة ، مع أنني لا أريد ذلك ، أليس هذا فظيعا ؟

فوضع الرجل الملتحي صحيفته جانبا ، ومد يده الى صـــندوق سيجار وأخذ منه واحدا ، قضم طرفه ، ثم أشعله،وأخذ نفسا عميقا، ثم قال :

ـ من أوهام الشباب أن الزواج يجب أن يكون نتيجة حب متبادل

ـ ان الامر عادي بشكل غير عادي ! حسنا ، انه ليس رديئا،ولكن لابد من الوقت لمعرفة حقيقة مشاعري نحوه ...

ونظرت الى الباب حين رأت مقبضه يتحرك ، ثم اعتدلت في جلستها

وحدق مستر ليث فى زائره ، وقال :

ـ أريدك فى كلمة يا بازيل ...

ـ يبدو ان فى الأفق معركة ، ماذا فعلت ؟

كانت هناك لحظات تكرهه جين فيها ، وهذا من متناقضات النساء فقد كانت هذه اللحظات هي التى يبذل فيها بازيل أقصى جهـــده للترفيه عنها !

كان له وجه مستدير غض ، وشعر يميل الى اللون الاحمر .وكان دائم الابتسام ، لدرجة أن ثقته الشديدة بنفسه كانت مصدر مضايقة لجين فى بعض الاحيان ، مضايقه تحمل طابع القلق ، فقد كان يحصل على ما يريد من أى شخص يقع تحت ســـــيطرته ، ثم يتركه مرهقا منهوك القوى

وكان يقف بالباب ، وقد أضاءت وجهه ابتسامة مرحة ، وكأنه لا يكترث للهجة القاسية فى حديث والدها ،أو بنظرة عدم الاستحسان التى كانت تنطق بها عيناها ، وأخيرا قال :

ـ ما هى الحكاية ؟ ولماذا البرود ؟ انني ذاهب الى حفلة الفنـانين الراقصة ، ما رأيك يا جين ؟

ـ جين لن تذهب الى الحفلة ، أريد أن أتحدث اليك يا بازيل

ونهض ليث من مقعده ، وأشار لبازيل الى غرفة مكتبه ، فضحك ضحكة هازئة ، وقال :

ـ رباه ! انك لن تقطعنى اربا ، امنعيه يا جين !... اننى عـــلى استعداد لمواجهة أى شيء اذا قبلت دعوتى الليلة ، هيا اصــــعدى لترتدى فستانا مناسبا ، انك تبدين رائعة الليـــلة ، ومن الظلم أن يزوجوك من هذا الصنم ...

فنظر اليه نظرة قاسية ، وصاح فيه :

ـ هيل !...

وسكت هيل على الفور ، ثم تبع جون ليث الى غرفة مكتبـــه دون مناقشة ، وحينما أغلق عليهما باب الغرفة سمعت جين جرس الباب الخارجى يدق فأطلت من النافذة ، ورأت سيارة رولز كبـيرة تقف بالباب ، فشعرت بمزيج من الامتعاض والتوجس ، واعتراها ضيق لم تدر كنهه ، فأدركت أن الرجل الذى ستتزوجه بعد ٤٨ ساعة ،

يدخل الملل الى نفسها !

وتصنعت السرور بلقائه،وحيته بحرارة أدهشته وسرته ، ولكنها كانت تكره نفسها لهذا الخداع • كان بيتر يرتدى أقل ملابسه أناقة، وكان يبدو عصبيا يعتريه العي والحصر ، وأدركت بالبداهة أنه جاءها بعذر مصطنع

وحين وصفها شين ويلز بأنها أجمل فتاة فى لندن ، فانه لم يكن متملقا ، وانما كان يصور الحقيقة ، فقد كانت بملامحها المتناسقة ، وجلدها الناعم الرقيق ، نموذجا رفيعا للجمال والرشاقة ، وكانت تملك الى جانب كل هذا حيوية دافقة ، وسحرا يشع من عينيها الرماديتين

قالت :

ــ لم أكن أنتظر زيارتك •••

فقال فى صوت متهدج :

ــ نعم ، فلم أكن عازما على الحضور ، ولكنى كنت أفكر فى أشياء •• أقصد ذلك النوع من التفكير ••

هكذا كان بيتر ، ينزع فى حديثه الى اللغو غير الواضح

ــ أى أشياء ؟!

ــ فيك غالبا •• أخشى أننى كنت دائما ••• ماذا أقول ؟ ••• أنت تعلمين •••

نعم ، كانت تعلم ، ولكنها لم تكن تريد أن تساعده فى التعبير ، فقد كانت تجد لذة غريبة فى تعذيبه • وعاد بيتر يقول :

ــ حسنا •• كنت أفكر فيك ، وفى كل شيء •• وهل من العدل أن أتزوجك وأنت لا ترغبين جديا •• أقصد •• حسنا ، هل أنت جادة ؟ •••

ــ هل جئت لتفسخ الخطبة يا بيتر ؟

ــ أوه •• كلا ، فقط أردت منك •• أنت تعرفين ••

ــ أردتنى أن أفسخها ؟

وأدركت أن مثل هذا الحديث الحافل بالتلميحات قد يتطور الى فراق لا يريده والدها ، فاستطردت تقول :

ــ لا تكن أبله ، اننى لا يمكن أن أفكر فى أمر كهذا

ـ انني مضطرب الليلة ، فقد زارني أحد رجال البوليس ، لقد حدثتك بهذا . انني معجب بهؤلاء الرجال ، لقد كنت في صباي من متطوعي البوليس في روديسيا

ـ هل عثرت على منجم هناك ؟

وكانت تبتسم وهي تلقى هذا السؤال ، ولكن اضطرابه المفاجيء أدهشها

ـ لا .. لا .. لقد ورثت .. ورثت المال عن والدي ..

وكانت مستعدة ان تقسم على أن يديه كأنتا ترتجفان ، وقال يعلل اضطرابه :

ـ لقد فاجأتني بالسؤال ، فشعرت كأنني سرقت المال !

ـ لقد كنت أمزح ، فالناس لا يعثرون على مناجم الذهب هناك !

ولاحظت أنها تكذب لتغطي حرج الموقف . وكانت تعلم أن زواجها منه سيكون موضع حسد جميع النساء . فله نظرات ساحرة ، ووجهه الوسيم يمكن أن يفتنها في الظروف العادية ، ولاحظت أنفه المستقيم ، وفكه القوي ، وعينيه الواسعتين العميقتين ، وقوامه الرياضي البديع ... آه لو كان يحسن الحديث ، أو كان مرحا مثل بازيل ، أو يحب الحياة مثل شين ويلز ... ولكنه أكثر زوار الاستديو جمودا واضطرابا

وخرج جون ليث من مكتبه يتبعه هيل الذي بدا وقد كبح جماحه ، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يغمز لجين ويقول :

ـ هيا يا جين ، انها آخر حفلات العزوبة ، انك لن تستغرقي دقيقة في ارتداء ملابسك ، ان بيتر لن يمانع ، فهو لا يجيد الا حديث المال

فتغير وجه بيتر ، ونظرت جين اليه ، فاذا به قد عقد ما بين حاجبيه ، فقالت :

ـ أظنني سأذهب

فهز مستر ليث كتفيه .. ولما عادت جين من الحفلة كانت كئيبة النفس يدل مظهرها وملامحها على أنها لم تتمتع بالحفلة !...

الفصل الثالث

فى شهر العسل

حينما غادر بيتر سيارته أمام كنيسة سانت جورج ، وجد مئات من آلات التصوير تتربص به ، وطلب اليه المصورون أن ينتظر لحظة، ثم سمع آلات التصوير وهى تلتقط صورا له ، وبهرت عينيه الاضواء

وكانت قاعة الكنيسة مزدحمة بشكل غير عادى ، وقد عبق المكان برائحة الزهور. وكان لايعرف معظم الحضور، انهم متطفلون دفعهم الفضول لمشاهدة مليونير من الجنيهات تتزوج سيدة جميلة ٠ كانت هناك نسوة عاطلات ينظرن اليه فاغرات الافواه ، وكل منهن تغمز للاخرى ٠ وشاهد وصيفه فى أحد الصفوف ، ورئيس خدمه وزوجته فى صف آخر ، وكان رئيس خدمه يبتسم له فى احترام ، وان كانت آثار القلق واضحة على وجهه

وسمع صوتا يسأله : « هل أحضرت الخاتم ؟ » فبحث فى جيوبه ، وتأكد انه هناك ٠ كانت جين قد أبدت عدم اهتمامهـــا بالذهب أو البلاتين ، ولكنها فى النهاية فضلت البلاتين ٠ ورأى مارجورى ويلز فى الصفوف الاولى تبتسم له٠ انها تبدو شاحبة الوجه على غير العادة، وابتسامتها تبدو مغتصبة ٠٠٠ ثم اكتشف أنها كانت تبكى ، مع أنه لا يعهدها سيدة عاطفية على الاطلاق

وسأل ويلز فى اضطراب :

ــ لماذا كل هذا الانتظار بحق السماء ؟

ــ انك لم تحضر الا منذ نصف دقيقة ، هل أعصابك متوترة ؟

ــ نعم ، قليلا ، وددت لو اننى قابلت جين أمس، فقد كنت معترضا على ذهابها الى الحفل الراقص برفقة هيل ، وكان لابد أن أعتذر لها

وزم ويلز شفتيه ، كان يعتقد أن جين تستحق الضرب لا الاعتذار،

فقد أثار سلوكها القيل والقال . وسرت حركة سريعة فى الحاضرين، وتهادى الموكب لمقابلة موكب العروس ، وعزف الارغن ، وتبعه كورس من أصوات الاطفال البريئة الرقيقة ، وسار الموكب فى بطء . ورأى جين تعتمد على ذراع والدها ، وقد أمسكت فتيات غامضات بذيل ثوبها . انه لا يعرف الفتيات ، بل انه لا يعرف جين نفسها ، حتى لقد حدق فيها وحدق حتى اغرورقت عيناه وجذبه ويلز من كمه . وكان الركوع عملا مؤلما له ، وان بدا عملا رشيقا حين مارسته جين. هل تكون يداها باردتين حين يمسك بهما ؟ كلا ... انهما دافئتان ناعمتان بضتان ، ان مجرد لمسهما متعة !

ولم تلتفت اليه جين مرة واحدة ، كان صوتها واضحا وهى تجيب الكاهن ، ولكنها لم تنظر الى بيتر ، ولم تعتمد على ذراعه حين قدمه لها . وكان مرتبكا ، فأضاع بعض الوقت قبل توقيع السجل

ثم ... مزيد من أضواء التصوير ، وزحام بطول الطـــريق الى السيارة ، وكان أحد رجال البوليس يفسح الطريق فعلق بيتر :

ـ يا له من جو خانق

ـ نعم انه كذلك

وأخيرا أصبحا وحدهما ، ولكنها لم تكن وحدة ممتعة على أية حال، وحاول بيتر أن يقطع السكون ، فقال :

ـ سأكون طيبا جدا معك ..!

ولكن جين انكمشت فى ركن السيارة ، وقد شعرت بالحرج لاول مرة فى حياتها . وسرها انها كانت قد نجحت فى الغاء الحفلة التى كان يزمع اقامتها فى الفندق ، وانها ستتوجه الى منزل والدها، حيث لن تجد عددا كبيرا من المدعوين . وجلست فى حجرتهـــا غارقة فى التفكير ، ونبهها من تأملاتها صوت الخادم وهى تقول :

ـ ينبغى أن تنزلى الى ضيوفك يا مدام

(مدام ؟ نعم فهى الآن مدام بيتر كليفتون) واستطردت الخادم :

ـ ان الرجل الذى أعد الازهار يقول ان مستر كليفتون أعطاه ورقة مالية رديئة ...

ـ مزيفة ؟ ! ...

واستولى على جين شعور غريب ، ورقة نقد أخرى مزيفة ، أليس

هذا غريبا ؟ وأمس ورقة نقد مزيفة . وتبلور شعورها الى قلق طاغ، فمدت يدها الى حقيبة يدها ، ففتحتها ، وأخرجت ورقة أخرى وقالت:

ـ هاك ورقة أخرى ، قولى للرجل انه من الواضح أن الورقة المزيفة دست على مستر كليفتون

ونزلت الى الاستوديو وقد استغرقها التفكير ، وأدركت أن الوقت غير مناسب لمناقشة بيتر فى الامر ، بل لقد وجدت صعوبة شديدة فى تبادل الحديث معه . ورات بازيل الذى بادرها وهو يبتسم :

ـ لدى أوامر مشددة بعدم ازعاجك

ودون أن ينظر الى بيتر صافحه وقال :

ـ أتمنى لك حياة سعيدة يا سيدى ، وأنت يا جين ، عودى الينا سريعا ، لنلهو مثل سابق عهدنا ، آه ...

وكانت هذه الصرخة نتيجة من ضغطة يد بيتر ، الذى قال له من بين أسنانه :

ـ أتهنئنى يا سيدى ؟

وكان هذا مظهرا جديدا لبيتر ، وقال بازيل صارخا :

ـ ان لك لقبضة حديدية بحق الشيطان !

وكان هذا الحادث آخر ذكريات يوم الزفاف ، وحين انطلقت بهما السيارة نظرت الى زوجها ، كانت يده معلقة فى جيب صديريته ، وعيناه مثبتتين على الطريق أمامه ، وقد غرق فى تفكير عميق. وعن لها أن تسأله ان كان سعيدا ، ولكن لسانها لم يسعفها ، ثم تذكرت الورقة ذات الخمسة جنيهات فسألته فلم يرد ، فلما أعادت السؤال قال :

ـ الرجل ... آه نعم ، أعطيته ورقة نقد مزيفة ؟ يا لى من مهمل!

ولم تكن «مهمل» هى الكلمة التى كانت تنتظرها . وكانت تريده أن يتكلم فقال :

ـ لقد اخترت قصر لونجفورد

ـ هل اخترته حقا ؟

ـ كنت أفضل باريس أو ...

ـ لا تقل كومو !

ـ اننى لا أعرف كومو ، ولكنى مهما اقترحت ، فلم أكن لأقترح

قصر لونجفورد ، فقد كنت موقنا ان المكان لن يعجبك

ـ هل هو قصرك ؟

ـ اننى أستأجره ثلاثة أشهر من كل عام ، حين أريد أن أفر من المدينة ، ان أصحابه يعيشون فى الخارج بصفة مستمرة ، ومن ثم يتاح لى أن أستأجره كلما شئت ، فالمكان منعزل وهواؤه طيب

ـ لا شك أنه سيطيب لى أيضا

وبعد صمت قليل ، استطردت :

ـ أرجو ان تغفر لى ان بدوت مضطربة اليوم ، فحفلات الزواج تثير الاعصاب . هل شاهدت مارجورى ؟ ان هذه المرأة مغرمة بك !

ومنعته الدهشة الشديدة من الاحتجاج ، واستطردت :

ـ لقد كانت ترمقنى بنظرات عدائية ، أليس هذا مضحكا ؟

فقال فى حدة :

ـ أقسم انك مخطئة ...

ـ ربما ، ولكنى أعلم انها تكرهنى

ـ ولكن لماذا ؟

وهزت جين رأسها ، وكانا قد غادرا شوارع لندن المزدحمة ، واتخذت السيارة طريق ايبنج ، وعاد بيتر الى مناقشة مسألة شهر العسل ، وان كانت هى تفضل الحديث عن مارجورى شين ويلز

ـ سنسافر الى الخارج فيما بعد ، الى نيويورك ، أو لونج ايلاند ، أو أى مكان آخر . ان الجو جميل فى الجنوب ، وأنا أعرف الكثيرين فى الولايات المتحدة ، لقد ذهبت الى هناك فى العام الماضى بصحبة بورك ، انه ضابط كبير فى اسكوتلانديارد

ولم تتمالك جين نفسها من أن تعجب لماذا يلجأ بيتر الى صحبة رجال البوليس ، ويجعل منهم أصدقاء له . ودار حديث قليل عن الرحلة ، وخفق قلبها حين رأت مداخن قصر لونجفورد تبرز من وراء التل ، وقبل أن تلم شتات أفكارها ، كانت السيارة تجتاز بوابات حديقة القصر ، وتقف أمام باب القصر . وكان اثنان من الخدم ينتظران بالباب ، وقدمت خادم قدحا من الشاى لجين فى صالون القصر ، وكانت غرفة نوم بيتر وغرفتها تفتحان على هذا الصالون ، وظهر بيتر فى فتحة الباب وقال :

ـ انك لم تشاهدى الحديقة والجبلاية

واعتراها سرور كسرور الاطفال لفكرة خروجها الى الهـواء الطلق وحين قدم لها ساعده لتتكىء عليه ، تجاهلته ، فاضطر أن يخفضـه الى جانبه . وبدا لجين أن الوقت لا يريد أن يمر ، وبعد ساعات خالتها دهرا صعدت الى غرفتها لتستبدل ثيابها استعدادا للعشاء بمساعدة خادم عجوز ، وظهر أن الخادم العجوز كانت تعتقد أن سيدتها جاءت الى القصر لقضاء الايام الاخيرة من شهر العسل ، فقد كانت تقول :

ـ لقد قال مستر كليفتون أنكما ستزوران القصر فى نهاية شهر العسل ، والواقع أن هذا مكان بديع لقضاء شهر العسل ، فأنت أول سيدة تقضى آخر أيام شهر العسل فى قصر لونجفورد

وخلال العشاء لم تنس جين أن تشكر بيتر على هـــذه الفــكرة ، فكان رده :

ـ ان آنا لا تقرأ الصحف ، والا لعلمت انني كاذب ...

وغير الموضوع على الفور . وقضيا الامسية فى المكتبـة . وحاول مرة أو مرتين أن يجاذبها الحديث ، ولكن العى والحصر كانا يعترضان طريقه الى التعبير . وفكرت أكثر من مرة فى الفرار الى منزل والدها . وحين حدثها عن تدبير نفقات المنزل ، جلست وهى تصغى فى توجس :

ـ سيكون لك الحق فى التوقيع على الشيكات ، سيكون لنا حساب مشترك يا جين . ان الحديث عن المال شىء يثير الخجل ، خصوصا فى شهر العسل ، أليس كذلك ؟

ـ لقد كنت دائما كريما معى

ـ انها مسألة بسيطة ...

ـ ان المال يعطيك ما تريد

كانت مثل الطفلة الشقية ، تريد أن تدفعـه دفعا الى الاعتراف ، وفعلا قال :

ـ لقد أعطانى أنت ... أقصد جعل الامر ممكنا ...

وكانت هذه الاجابة هى كل ما تريده ، فنهضت واقفة ، وقالت وهى تلقى عليه نظرات يتطاير منها الشرر :

ـ لقد اشتريتنى ... أليس هذا ما تقصد ؟

ـ لم أقصد شيئا من هذا القبيل

ـ بل هذا ما قصدته • كان المال هو الطريق الاقصر • ان بريق المال يبهر عيوننا نحن أبناء الطبقة الوسطى • هذا أسهل من الخطبة ومتاعبها . هل تعتقد انني أحبك ؟

ـ كلا ••• كنت آمل ، ولكنى الآن لا أظن

ـ انك لن تمتلك منى الا ما يمكن أن تشتريه بالمال • اننى سأحافظ على شروط « الصفقة » ، سألعب دور الزوجة، ولكنى لست من الغباء بحيث أحبك، فالحب شيء لا يمكن شراؤه • يمكنك أن تقبلنى اذا شئت، ولكن اعلم اننى أكره ذلك ، هذا هو الموقف ، فهل هو يسرك ؟

وكان خلال هذا الحديث العاصف يحدق فيها ، وقد فقد وجهه معانى التعبير ، وأخيرا قال :

ـ فهمت . . . اننى لا اريد ما دفعت ثمنه ، بل ماتقدمينه عن طواعية واختيار

ـ هذا لا شيء . . .

ـ أمامنا شهر لا بد من أن نقضيه معا بأى شكل ••!

وفى هذه اللحظة دق الباب بشدة ، وسمعت وقع أقدام تسرع الى الباب وتزيح المزاليج ، ونظر بيتر صوب الباب ، وبعد برهة ظهر المفتش روبر ، وبادره قائلا :

ـ يؤسفنى ان ازعجك يا مستر كليفتون

وكان وجهه صارما وهو يضع حقيبة صغيرة على طاولة المكتبة ، ثم يفتحها • وكانت جين تراقب الموقف فى دهشة ، وقد كادت تنسى المناقشة العاصفة التى حدثت بينها وبين زوجها منذ لحظات ، ولو أنها كانت مضطربة من قمة الرأس الى أخمص القدم • ومد روبر يده فى الحقيبة وأخرج حفنة من أوراق النقد ، وضعها على الطاولة ، وقال بهدوء :

ـ لقد وجد هذا فى حقيبة تركتها فى قسم الودائع بمحطة فيكتوريا صباح أمس ، وأريد تعليلاً لهذا التصرف يا مستر كليفتون

ـ ماذا تعنى ؟

ـ أعنى أن كل هذه الاوراق مزيفة !!



نظر بيتر الى مفتش البوليس ، ثم الى كومة أوراق البنكنوت وقال:

ـ اننى لم أترك أية حقيبة فى محطة فيكتوريا
فصاح المفتش :
ـ اننى أكرر ...
وبلهجة آمرة أدهشت جين ، قاطعه بيتر قائلا :
ـ لا داعى للصياح من فضلك ، لقـــد قلت لك اننى لم أترك أية حقيبة فى محطة فيكتوريا
فعاد روبر يقول فى الحاح ، وان هدأت لهجته :
ـ لقد كانت الحقيبة تحمل بطاقتك
فظهر شبح ابتسامة على شفتى بيتر وقال :
ـ ان الانسان لا يضع بطاقته على حقيبة تحتوى على أوراق نقـد مزيفة ، ويتركها فى مكان عام...ربما كان من الافضل أن تستشير رؤساءك أولا ، اننى أســـتنتج أنك تتهمنى بترويج النقد المزيف ، وبنك انجلترا يمكن أن يقدم لك مليون سبب ينفى مثل هذا المسلك الغبى عنى ، هل الحقيبة معك ؟
وتحول روبر الى أحد رجاله الواقفين بالباب وأصدر أمرا ، فأحضر حقيبة جلدية ، تتأرجح من مقبضها بطاقة مطبوع عليها :

بيتر كليفتون

١٧٥ كارلتون هاوس تيراس

والقى بيتر نظرة واحدة على الحقيبة ، ثم قال :
ـ اننى لم أر هذه الحقيبة من قبل ، هل يعد افشاء للاسرار ان سألت كيف علمت أن الحقيبة موجودة فى محطة فيكتوريا ؟
فقال روبر فى اضطراب :
ـ ليس فى الامر سر ، لقد كنت فى محطة فيكتوريا فى مهمة بوليسية، و . . .
فقاطعه بيتر قائلا :
ـ لقد أعطيت رجلا ورقة نقد مزيفة من فئة الخمسة الجنيهات صباح اليوم، وامكنك امس أن تقتفى أثر ورقة مزيفة من فئة الخمسين جنيها ، و . . .
ووضع بيتر يده فى جيبه ، وأخرج حافظة أوراق مالية ، فتحهـا ببطء ثم أخرج محتوياتها وطرحها على المائدة ، وقال وهو يفحصها :

ـ هذه ورقة جيدة من فئة العشرين جنيها ، وكذلك هذه،أما هذه فمزيفة ... ان العلامة المائية رديئة ، خذها :.. وهذه جيدة،وهذه أيضا ، أما هذه فزائفة ، يمكنني أن أقرر هذا بمجرد النظر ..

واستمر في فحص أوراق النقد الموجودة في حافظة نقوده ، وأخيرا سأله روبر :

ـ هل حصلت على هذه الأوراق من البنك ؟

ـ بعضها ... انني في الواقع مهمل في هذا الشأن ، وأنا أحتفظ بالمال في أحد أدراج مكتبي ، وحين احتاج آخذ ما يقع في يدي ، وحين أصرف شيكا ...

ـ تصرف شيكا من البنك ؟

ـ انني لا أذهب الى البنك الا نادرا ، وأنا أصرف الشيكات من رجال التجارة ، من حائك الثياب ، أو أقرب الناس الى

وكانت جين تصغي كالمأخوذة ، وقد غلبتها الدهشة ، وكانت تسأل نفسها : هل هو الفاعل ؟ وكان المفتش مضطربا ، وأخيرا مد يده الى كومة البنكنوت المزيف وقال :

ـ أيمكن ان تكون قد حصلت على كل هذا من أحد المحال ...

فنظر اليه بيتر في احتقار ، وقال :

ـ قلت لك أن هذه الاوراق لاتخصني ، والحقيبة أيضا لاتخصني، والشيء الوحيد الذي يبدو أنه يخصني هو البطاقة .. ان هذا من عمل عدو لي

ـ هل لك أعداء ؟

فابتسم بيتر وقال :

ـ أنت فقط ياروبر !

فاحمر وجه مفتش البوليس من الغضب ، وقال :

ـ انني لست عدوا ، يدهشني أن يقول رجل مهذب مثل هذا القول ، انني أؤدي واجبي

ثم ... لدهشة جين البالغة ، هز بيتر رأسه وقال :

ـ لقد كنت تراقبني منذ شهر ، كنت تضعني تحت المراقبة،أليس هذا هو الاصطلاح ؟

ـ كذا ؟... اذن ربما قلمت بعض الايضاح عن السيدة التي

تزور شقتك كل ليلة عن طريق سلم الخدم
ولم تصدق جين انها هى التى قالت فى غضب طاغ :
ـ اى افتراء هذا ؟ وحتى لو كان صحيحا ، فليس لك الحق ...
فقاطعها بيتر فى هدوء :
ـ انه صحيح ... لقد كانت تزورنى سيدة عن طريق سلم الخدم، وتبرح شقتى عن نفس الطريق ، وسنها على ما أعتقد حوالى الخامسة والستين ، أما اسمها وعنوانها فلست مستعدا للبوح به
ـ هل هى صديقتك ؟
ـ كلا ، انها ليست صديقة ، انها فى الحقيقة تكرهنى ، وعملها هو ـ أو على الاصح كان ـ طاهية ، ويمكننى أن اضيف انها كانت طاهية غير ماهرة . وهذا كل مايمكننى أن اقدمه اليك من معلومات
ـ لا بد من تقديم تقرير بهذا الى الرؤساء
ـ سأقدم التقرير بنفسى
فتردد المفتش ، ثم أشار الى التليفون قائلا :
ـ هل يمكننى أن أستعمله ؟
ـ كلا ... ان القانون لايعطيك الحق فى استعمال تليفونى الخاص
فاحتوت روبر حيرة مضحكة ، واخيرا قال :
ـ حسنا ياسيدى ، يؤسفنى اننى أزعجتك ، والواقع اننى لم أقدم تقريرى الى الرؤساء بعد
ـ الواقع ياروبر أنك فى موقف لاتحسد عليه ، فقد حضرت الى هنا دون اذن كتابى ، وانت فى أرض لاحق لك فى اقتحامها ، وعليك أن تتوسل الى حتى لا أقدم شكوى الى رؤسائك
فنظر اليه روبر فى ارتياب ، وقال :
ـ انك تتكلم مثل رجال البوليس ، فهل أنت كذلك ؟
ـ اننى فقط أجيد فن الاستنتاج
ثم تنبه للمرة الاولى الى وجود زوجته ، فقال لها :
ـ من فضلك ياجين ، أريد أن أتحدث الى المفتش على انفراد
فغادرت جين الغرفة ، واتجهت الى الصالون ، وجلست تفكر فى الموقف ، وادركت انها خلال وقفتها القصيرة الى جوار زوجها ، كانت نهبا لمختلف الاحاسيس : الخوف من فكرة اتهام زوجها ، خوفا يرتفع

الى مرتبة الرعب ، ثم الراحة لسقوط التهمة ، راحة تصل بها الى مرتبة السعادة ، ثم الاحتقار ... متى شعرت بالاحتقار ؟ انها كانت تشارك زوجها شعوره بالاحتقار . لقد تغير زوجها ، لم يعد ذلك الرجل المضطرب الذى يعقد لسانه العى والحصر ، لقد كان الذى واجه مفتش البوليس رجلا آخر ، كان يصول ويجول ، بل ويهدد.. هل كان يحاول أن يخدع مفتش البوليس ؟ لقد شعرت بقلبها يهبط من بين جنبيها لمجرد هذا الخاطر. لنفرض ان ملايينه مجرد اسطورة ، ولكن المائة ألف التى قدمها لوالدها كانت صحيحة ، ان جون ليث لا يمكن خداعه بهذه الوسيلة ، وسمعت الباب الخارجى يغلق ، وعاد بيتر الى الحجرة ، حيث قال فى لهجة جدية :

ــ لقد ذهبت كلاب الصيد !

ثم نظر الى ساعته ، واستطرد :

ــ أرى أن تأوى الى فراشك ، ويحسن أن توصدى الباب بالمفتاح، فلربما رأى بعضهم أن يضع أوراق نقد مزيفة تحت وسادتك !

وابتسم لاول مرة منذ الصباح عن عاطفة ، فردت فى بشاشة :

ــ أرجو الا يخبىء لى قصر لونجفورد مفاجأة جديدة هل هناك شبح للعائلة مثلا ؟

فقال وهو يومىء الى الباب :

ــ اننى لا أسمح لشبح الاسرة أن يسافر معى ...

وهكذا أمرها بالانصراف فى ليلة عرسها ، واجتاحها شعور غريب وهى تصعد الدرج الى غرفة نومها ، وكانت مستاءة : لقد تخيلت لنهاية الليلة عدة مواقف ، وكان هذا الامر بالانصراف أبعدها ، بل لم تكن حتى تتخيل انها يمكن أن تطيع هذه الايماءة الآمرة !

وعلى قمة الدرج كانت الخادم تنتظرها ، فتبعتها الى غرفة نومها. كانت حجرة عتيقة ، ولكنها سبحت فى ضوء ساطع حين أضاءتها ، وقالت الخادم العجوز فى زهو :

ــ هذا هو القصر الوحيد الذى يضاء بالكهرباء فى الضاحية ، اننا نستخدم الكهرباء فى كل شىء ، حتى الطبخ والتنظيف

ــ هل يتردد مستر كليفتون على هذا القصر كثيرا ؟

ــ ليس من المفروض ان نتحدث عن شئون الغير، وهذا سر احتفاظنا

بأعمالنا

ـ ولكنكم خدم مستر كليفتون ؟

ـ نحن خدم القصر ، نستأجر معه !

ووجدت جين مخدعها مريحا جدا ، واكتشفت أن كل شيء في الغرفة قد صنع استكمالا لهذه الغاية ، حتى الانوار كلها يمكن اضاءتها أو اطفاءها من جانب المخدع . فأطفأت الانوار ، وتمددت على المخدع المريح في لذة ، وكانت نصف نائمة حينما تذكرت انها نسيت أن توصد الباب بالمفتاح ، ولكن لم يكن في نيتها أن تقوم بعمل مسرحي كهذا ، وسرعان ما استسلمت للنوم

وبدت « انا » الخادمة عجوز جدا في ضوء الصباح وهي تحييها :

ـ صباح الخير يا مدام ...

مدام ؟ انها حقا كذلك، كم هو أمر مضحك ! ونهضت من فراشها، وارتدت ثيابها ، وأطلت من النافذة على حديقة خضراء جميلة تمتد الى مدى البصر . ورأت بيتر يبرز من جانب القصر ، وهو يسير برفقة رجل غريب ، وكان يبدو في حالة طيبة

وحين انضمت الى الرجلين ، كانت حالة بيتر المرحة قد انتهت ، وبدا جادا ، بل لقد انتهت لحظاته الحاسمة التي شهدتها أمس ، وعاد مرتبكا مضطربا كما كان ثم قال :

ـ جين ... هذا هو مستر بورك الذي حدثتك عنه

اذن هذا هو مفتش البوليس الماهر . كان رجلا ربعة ، مرح الوجه له ذقن مفلوج

ـ يؤسفني أن اتطفل عليكم في هذا الفردوس يامسز كليفتون

لم يكن بورك يبدو مثالا لرجل البوليس الذي تخيلته ، ولكنها حين نظرت الى عينيه الفاحصتين الحادتين المستريبتين ، رأت علامات مهارة الرجل . واستطرد مفتش البوليس قائلا :

ـ أرجو الا يكون روبر العجوز قد أزعجك ليلة امس يا مسز كليفتون ، انه رجل طيب ، ولكنه يقفز الى النتائج بسرعة ، أليس كذلك ؟

وتحول الى بيتر ، وقال :

ـ ربما كان البستاني يامستر كليفتون

ــ ان البستانى لايطأ أحواض الازهار ، هذا فضلا عن أنه لايملك سيارة

فأصاخت جين السمع فى دهشة ، ثم سألت :

ــ ماذا حدث ؟

فقال بيتر فى ارتباك :

ــ الواقع أن . . . أن شخصا كان فى الحديقة ليلة امس . . . ونحن لانعرف من هو ، ولكن احد الخدم رآه

وأشار الى أسفل النافذة ، واستطرد :

ــ لقد ترك آثار اقدامه هناك ، لا داعى للقلق ، ان بورك لم يحضر لهذا السبب ، وان كنا قد تناقشنا فى الامر

ورأت انه لا يريد ان يزيد الامر ايضاحا فتركتهما . وكانت تنتظر أن يبقى بورك لتناول الغداء ، ولكنه لدهشتها اختفى ، ووجدت نفسها وحيدة مع بيتر . وحين سألته عن الزائر الغريب قال :

ــ لاشك انه صعلوك ، فان هذا الضرب من الناس يعلم أن القصر مهجور معظم أيام السنة . لاشك انه كان يبحث عن نافذة مفتوحة

وتحدث عن بورك فى حماس ، وأشار الى أعماله العظيمة كرجل بوليس . وأصغت الى حديثه دون ان تشترك فيه . وبعد الطعام خرجت الى الحديقة ، فسألته :

ــ كيف عرفت رجال أسكوتلانديارد هؤلاء ؟

وفجأة تحول الرجل الهادىء الرزين الى مايشبه المراهق المرتبك المعقود اللسان ، وقال :

ــ حسنا . . . لقد . . . لقد كانوا طيبين معى . . . انهم يهتمون بأمرى . . . ساعدونى كثيرا وعلى الاخص بورك ، من الافضل أن يكونوا فى صف المرء . . .

ــ ولماذا ؟

وكان السؤال سريعا مفاجئا ، ولكنه لم يجب على الفور ، وانما ظل برهة يدير الاجابة فى رأسه ، وأخيرا قال :

ــ حسنا . . . انه من الافضل !

وأسرع يغير الموضوع !

وقضيا بعد الظهر فى الحديقة ، وبعد العشاء كانت تتمشى فى حجرة

الاستقبال ، وكانت الليلة باردة ، وكانت بعض الاخشاب تحترق فى المدفأة ، وتبعها بيتر ، وانتظر بفارغ الصبر حتى انتهى احتساء القهوة ، لقد أصبح تناول قهوة المساء كالطقوس الواجبة الاداء ، فقد كان من الواضح أنهما يمثلان أدوارهما ، وانتحل بيتر عذرا للهرب :

ــ سأكون فى المكتبة اذا كنت فى حاجة الى . . .

قالها فى لهجة من لاينتظر أن تكون فى حاجة اليه على الاطلاق . وفى العاشرة القت نظرة على قاعة المكتبة . كان يجلس الى المنضدة ، وأمامه ورقة بيضاء ، وفوجىء حين رآها فانتفض ، فقالت بسرعة :

ــ سآوى الى فراشى

ولم تنتظر حتى تسمع تلعثمه بحثا عن جواب . وجذبت الستائر على النافذة المفتوحة ، واضطجعت فى فراشها وحاولت أن تنام . وبعد ساعة استغرقها نوم مضطرب . وكانت تتقلب فى فراشها وهى ترتعد ، وتذكرت أن بيتر نصحها أن توصد الباب بالمفتاح ، ولكنها لم تكن خائفة

وفجأة استيقظت ، فقد أحست بساعد رجل يطوق كتفيها العاريين ، وأحست بشفتين فوق خدها ، كانتا شفتين ملتهبتين جائعتين ، تبحثان فى الحاح ، فصرخت مستغيثة ، وهى تحاول التخلص من قبضة الرجل

وأمسكت يداها بذقن غير حليق ، وتذكرت حركة مصارعة ، فدفعت بالذقن الى أعلا ، وشعرت بقبضة الرجل تتراخى ، وفى لحظة تخلصت من قبضته . وتركت فراشها ، وقد شل الفزع تفكيرها وأعجزها عن الصراخ . وسمعت وقع أقدام فى حجرتها ، وفى غمرة الخوف جرت الى الامام فاصطدمت بأحد المقاعد، وسقطت، وفى سقوطها تشبثت بقبضة باب ، فأدارتها ، وجرت فى الظلام

وفجأة سطع ضوء ساطع ، وسمعت صوت بيتر يسأل :

ــ من هناك ؟

وادركت فى دهشة أن الزائر الليلى ليس هو هذا الرجل الذى يبدو أنه استيقظ لتوه من النوم ، لقد أحست بسترة الزائر الصوفية وياقته اللينة . ونهضت من على الارض ، وعاد بيتر يسأل :

ــ جين . . . ماذا حدث ؟

ولم تجب ، وانما أشارت الى غرفتها الغارقة فى الظلام ، وهى تتمتم بألفاظ غير مفهومة ، فاندفع بيتر الى الباب ، بينما جرت جين نفسها الى فراش زوجها ، فجلست وهى ترتجف ... لقد عرفت الخوف لاول مرة فى حياتها . وكانت تشعر بالبرد الشديد ، فنظرت حولها فى يأس تبحث عن شىء يغطيها ، فوجدت رداءه الصوفى معلقا

وحين عاد بيتر وجدها ترتجف وقد غطت منكبيها بردائه ، فقال :

ـ ان نافذة غرفة نومك مفتوحة ، وهناك سلم معلق فى اطارها من الخارج ، ماذا حدث ؟

وجلس على حافة الفراش ينصت الى قصتها . ولم يغضب كما كانت تتوقع ، وأدهشتها نبرات صوته الوقورة ، بل ساءتها ! فلم يكن اهتمامه منصبا على شخصية الغريب ، بقدر ما كان مهتما بملابسه

ـ هل أنت متأكدة من أنه كان يرتدى ملابسه كاملة ؟

ـ طبعا ، لقد أحسست بسترته ، وكان يثبت ياقته بدبوس ، انفك وجرح أصبعى ... انظر

ولكنها أدركت أنه لم يكن يهتم بأصبعها المجروح ، ولم ينظر اليه

ـ أنت متأكدة انه لم يتكلم ، وأنه كان يلبس حذاء ثقيلا ، لاشك أننى كنت مستغرقا فى نوم عميق ، فلم أسمعك تصرخين

ـ لم أكن أقوى على الصراخ ، كنت أظنه ... أنت !

وكان يصيخ السمع ، وفعلا صافح أذنيهما صوت محرك سيارة من بعيد ، فقال :

ـ انه هو ...!

ـ لماذا لم تتبعه ؟

ـ لم أكن متأكدا ، لم أكن أدرك ما حدث ، فقد يكون مجرد كابوس ، وحتى لو كنت تبعته ، فمن المؤكد اننى لم أكن لألحق به

وكان قد بدأ يجمع ملابسه المبعثرة على أرض الحجرة ، فقالت :

ـ أظنك تريدنى أن أغادر الغرفة ...

ـ كلا ، سأرتدى ملابسى ، ان الساعة الآن الرابعة ، وقد نمت بما فيه الكفاية ، يحسن أن تبقى هنا ولا تطفئى النور حتى أعود

ثم ارتدى ملابسه بسرعة وقال :

ـ سأذهب الى أسفل نافذتك لأفحص المكان ، ويمكنك أن تستأنفى

النوم ، وان كنت أعتقد أنك لن تنامى ، أو ترتدى ملابسك ، أو تبقى حيث أنت

وكان يبتسم ، وادركت انه مبتهج لشعور لم تدرك كنهه وسمعت وقع خطواته على السلم ، فغادرت الفراش وخرجت الى الصالون فوجدت المدفأة الكهربائية مشتعلة ، ولكنها لم تغرها بالبقاء ، فذهبت الى حجرة نومها وأغلقت الباب ، ثم أطلت من النافذة فوجدت بيتر واقفا ، وقد تراقص ضوء مشعله على أحواض الزهور ، ولا شك أنها أحدثت صوتا ، لانه سمعها وقال :

ـ هنا آثار أقدام جديدة

وأغلقت النافذة وهى تعجب كيف تقبل المسألة بهدوء كانما كان ينتظر ما حدث · وسمعته يصعد الدرج ، ويذهب الى الصالون ، ثم يتركه الى الصالة ، فخرجت الى الصالون لتجده قد أضاء الانوار ولم تكد تجلس فى مقعد مريح بجوار المدفأة حتى عاد الى الصالون يحمل قدحين من الشاى وطبقا من البسكويت ، فناولها قدحا ووضع الطبق على الطاولة · ولا شك أنه كان بارعا فى قراءة الافكار ، لانه قال :

ـ قد تظنين انى آخذ الامر بهدوء ، ولكنى الآن بدأت أدرك ما حدث ، ولو كنت فى تمام اليقظة لادركت المتطفل ، ودققت عنقه

وأدركت من لهجته انه صادق فى شعوره . ولو ان يدها التى تحمل القدح لم تكن ترتجف ، الا انها لم تكن قد تغلبت على الصدمة بعد ، واستطرد بيتر :

ـ ربما يكون من الافضل أن نتبادل غرف النوم ، ولو أننى على يقين من أن ذلك الرجل لن يعاود المحاولة ، هل سرق شيئا ؟

فهزت رأسها نفيا ، كانت موقنة أن الزائر لم يكن لصا ، ومن ثم لم تكلف نفسها مشقة التفكير فى السرقة · وأدركت أن تبادل الحديث مع بيتر امتحان عسير ، واكتشفت فى أسف أنهما لا يتفقان فى كثير من المشارب والميول ، ووجدت نفسها تتحدث عن حفل قرانها ، وكيف أنها رأت مارجورى ويلز فى الكنيسة وان لم تحضر الحفل ، وسألته :

ـ هل تميل اليها ؟

ـ الواقع اننى لا أدرى ، فهى يمكن أن تكون حقودة بشكل غير

عادى

ـ هل أظهرت لك هذا الحقد ؟

ـ كلا ... فأنا من حقارة الشأن بحيث لا أثير حقدها

وقفز سؤال الى طرف لسانها ، وكانت لا تفتأ تفكر فيه منذ زيارة مفتش البوليس ، ورأت أنه من الممكن الآن أن تسأله ، فقد خلقت تلك المغامرة الليلية نوعا من الالفة بينهما ، وسألت السؤال ، ولكن اعتراها شيء من الحرج حين فكر طويلا قبل أن يجيب :

ـ نعم ، حقا ان هذه السيدة كثيرا ما تزورنى ، ولكنها كما قلت لروبر طاهية ، أو هكذا كانت منذ سنوات

وأطلق ضحكة عصبية ثم استطرد :

ـ ان لها مشكلة !

وكان هذا كل جوابه،فضلا عن أنه ذكر أن اسمها مدام انترسوهن، وأنها سويدية الاصل . وكان صباحا مشرقا ، وعلى الرغم من الشاى المنعش الذى تناوله ، فقد وجدت النعاس يستولى عليها ، فذهبت الى غرفة نومها لتستلقى فى فراشها ساعة ، ومع ذلك فلم يوقظها الا ناقوس الغداء

وحدثت عدة أشياء خلال الفترة التى نامتها ، وأطلت من النافذة لتجد بيتر يتمشى فى الحديقة بصحبة رجل فى حجم بورك ، وحين نزلت كان بيتر فى انتظارها للغداء ، وبادرها قائلا :

ـ لقد طلبت منهم ألا يقرعوا هذا الجرس ، فقد كنت مستغرقة فى نوم عميق ، وكنت لا أريد ازعاجك

ـ هل كان مستر بورك معك ؟

فقال لها انه استدعاه ، وأنه ليس لديه شك فى أن زائرها الليلى هو نفس الشخص الذى ترك آثار أقدامه فى الليلة الماضية ، ولم يشرح كيف استنتج ذلك ، وانما قال :

ـ وعلى فكرة ، أرجو ألا يسوؤك اننى دعوت دونالد ويلز . وكنت أحب أن أذهب لاحضاره ، لولا اننى خشيت أن أتركك وحدك

فرفعت عينيها عن طبقها بسرعة وقالت :

ـ لماذا ؟ هل أنت مريض ؟

ـ كلا ، اننى فى صحة جيدة ، ولقد اعترض ويلز على تعكير صفونا

ولاحظت شبه ابتسامة فى عينيه ، فسألت :

ـ هل ستحضر مارجورى معه ؟

ـ كلا



وبعد ظهر ذلك اليوم كانت مفاجأة أخرى فى انتظارها

كان بيتر يطالع فى المكتبة ، وكانت هى قد يئست من التسلى بالحديث عن الازهار مع البستانى ، فعادت آلى القصر وهى تفكر فى الساعات الطويلة التى كان عليها أن تقضيها حتى يحين موعد النوم. ونظر اليها بيتر ، وأخفى الكتاب الذى كان يقرؤه ، فأثارت هذه الحركة فضولها ، وسألت :

ـ الى متى نبقى فى هذا القصر ، انه فظيع ، هل أغضبك اذا قلت اننى أشعر هنا بالملل والسأم ؟

فابتسم لها مشجعا ، وقال :

ـ الواقع أن هذا هو نفس شعورى ، ولذلك فقد حجزت جناحا فى فندق ريتز كارلتون ، حيث وسائل آلتسلية متوافرة

وأسعدها الاقتراح ، فقد وجدت فيه مهربا من هذه البيئة المملة ، وقالت :

ـ لا تخبر أبى ، فانه لن يفهم ... متى نرحل ؟

فقال انه لم يتمكن من الحجز مباشرة ، وأنهما سينتقلان بعد غد ، فسألته :

ـ وماذا كنت تقرأ حين دخلت ؟

وكأى طفل مذنب ، أبرزمؤلفا بالفرنسية عن فن الحفر،لقد نسيت أن الحفر هوايته ، فأبدت أسفها لهذا التجاهل ، فقال :

ـ الواقع اننى مدين لهذه الهواية ، فلولاها لما إلتقينت بك ...

لقد نسيت حتى هذا اللقاء الاول ، فقد كان بيتر قد أقام معرضا فى بوند ستريت ، وهناك عرفها وآلدها به ، وأخيرا قالت :

ـ يا لأبى آلمسكين ، لقد تأثر كثيرا لفقد اللوحات التى أهديته اياها

وشاركها بيتر أسفها ، فقد كان ما أهداه اياه مجموعة يعدها

رائعة • كانت اللوحات المفقودة تمثل أروع أعمال بيتر

ـ انه شيء يدعو للاسف حقا ، ولن أتمكن من القيام بعمل رائع كهذا مرة أخرى

وكانت تجلس في مقعد مريح الى جوار المدفأة ، وقد اعتمدت ذقنها على يديها ، وقالت في هدوء :

ـ أظن أن ذلك الرجل الذى يدعونه « ملك المزيفين » يجيد فن الحفر ، ان أبى يقول أن التزوير المتقن يحتاج الى فنان ماهر يقوم به

ـ أظن ذلك •••

وكانت لهجته هي عدم الاهتمام بعينه ، وكان من الواضح أنه لا يهتم بمواهب المزيف المجهول ، ولكن مجرد ذكر اسمه كان كافيا للقضاء على روح المرح في نفسه ، وعرقلة تبادل الحديث • وبعد برهة خرجت الى الصالة ، وكانت واقفة بالباب تنظر الى الحديقة ، حين رأت سيارة عتيقة تقف بالباب ، ومن داخل السيارة خرجت سيدة ضخمة ذات وجه أحمر وعينان حمراوان ويدان سمينتان ، وقد غطت الخواتم أصابعها كلها ، ومن أذنيها كان يتدلى قرط من الماس • ووقفت السيدة على عتبة الباب تمعن النظر في الفتاة ، ثم قالت :

ـ أنت زوجته ••• وأنا مدام انترسوهن

مدام انترسوهن الطاهية ، هذه اذن هي السيدة الغامضة التى تتردد على بيتر كل ليلة • وكان صوتها خشنا فظا ، فردت الفتاة :

ـ نعم ، أنا مسز كليفتون

وكانت السيدة الضخمة تتنفس في صعوبة ، كأنما هي ترزح تحت ضغط عواطف مكبوتة ، وانتظرت جين هبوب العاصفة في سرور غامض ، وصاحت السيدة :

ـ انك تحصلين على ما ليس له الحق في امتلاكه ، انك تحصلين على المال الذى سلبه زوجك من وارثه الشرعي

فاضطربت جين ، وسألت :

ـ من هو الوارث الشرعي ؟

ـ أخو بيتر كليفتون ••• ابني !

الفصل الرابع

حيرة وقلق

أخو بيتر ! ان بيتركان وحيد أبويه ، وهذه هي المعلومات الوحيدة التى حصلت عليها منه ، فقالت :

ـ أظنك مخطئة ...

ـ اسمحى لى ...

كان هذا صوت بيتر ، فقد غادر المكتبة فى هدوء ، وكان واقفا الى جوارها . وتكورت شفاه السيدة الضخمة فى احتقار وهى تقول :

ـ أسمح لك ، أنت تريد أن تتولى الحديث ، أليس كذلك ؟ ولكنك لن تتمكن من سلب أخيك حقوقه

وكان الصوت الخشن قد رق شيئا ما ، بل لقد تحول الى رجاء ، وكان ممزوجا بالحرج والخوف ، واستولى الاضطراب على السيدة ، فكانت تفرك كفيها فى نرفزة ظاهرة ، واستطردت :

ـ لقد حضرت لتسوية الامور ، اننى لا أخشاك، فاذا لجأت الى حيل والدك فاننى سأقتلك كالكلب

وكانت قد فتحت حقيبة يدها ، وهى تبحث عن شىء فى قاعها ، وأخرجت مسدسا ضخما ، وهى تقول :

ـ سأطلق الرصاص فى لمح البصر ، اننى أريد العدل ، وأنت لن تخيفنى

وكان بيتر يحدق فيها بوجه خال من أى تعبير ، وعيناه مثبتتان على وجه العجوز ، وأخيرا قال :

ـ تفضلى بالدخول يا مدام انترسوهن ...

ثم أولاها ظهره ، وتوجه الى غرفة المكتبة وفتح بابها على مصراعيه، فتبعته مدام انترسوهن ، وأغلق الباب خلفها

وخرجت جين الى الحديقة وفى رأسها دوامة هائلة : ما معنى كل هذا ؟ وما هو تفسير زيارة هذه السيدة وتهديدها ، ومسدسها ، وتلميحاتها الى أخى بيتر . وكانت تسير على غير هدى حين سمعت صوت محرك سيارة ، فرفعت رأسها وعرفت السيارة التى كانت تجتاز أبواب القصر ، فجرت الى ناحيتها وهى تلوح بيديها، وبابتسامة عريضة غادر دونالد ويلز السيارة وهو يقول :

ـ اننى جد آسف لتطفلى ...

ـ وأنا جد سعيدة لانك حضرت

ـ أرجو أن تكون الاحوال على ما يرام

وأدركت أنها لم تكن فى يوم من الايام ترتاح الى دونالد ويلز أو زوجته ، ومع ذلك فقد روت له أحداث الليلة السابقة ، فوقف جامدا يحدق فيها ، ثم قال :

ـ يا اله السماء ، أنت طبعا لا تعرفينه

وكانت دهشته تثير الضحك ، وفجأة فتح عينيه على سعتهما وهو يقول :

ـ سيارة مدام انترسوهن ، هل هى هنا ؟

ـ هل تعرفها ؟ ... من هى ؟

ولكنه لم ينتظر ليسمع سؤالها ، بل أسرع يعدو فى اتجاه القصر، وقبل أن يصل الى عتبة الباب ظهرت مدام انترسوهن ، وكان وجهها شديد الاحمرار تحت أطنان المساحيق ، وبعظمة أشارت الى سائقها، فاقتربت السيارة من الباب ، ووقفت شين ويلز حين رآها ، ولم يتكلم أو يتحرك الا بعد أن غادرت السيارة المكان بحملها الثقيل ...

ـ متى حضرت الى هنا ؟

ـ منذ دقائق ... من هى ؟

وسمعته يزفر زفرة رجل انزاح عن كاهله حمل ثقيل ، وعادت لهجته الى وداعتها وهو يقول :

ـ انها امرأة دأبت على مضايقة بيتر كثيرا

ثم استطرد بسرعة :

ـ هل رأيتها ؟ ... هل تحدثت اليها ؟

فضحكت جين وقالت :

ـ انك تزداد غموضا يادونالد ، نعم قابلت السيدة برهة ، قالت لى خلالها أن ابنها هو الوارث الشرعى ، وأنه أخو بيتر

وفر اللون من وجهه ، وضاقت عيناه ، وقال :

ـ هل قالت لك ذلك ؟ انها معتوهة ، انها مجنونة بلا شك،وأنت لم تعيرى ما قالت أى التفات ، أليس كذلك ؟

ـ لم يكن لدى الوقت لافكر فيما قالت

ـ لم يكن لبيتر أخ قط ، وهذه المرأة مجنونة ، وقد سيطرت عليها فكرة أن ابنها هو الوارث الشرعى لثروة بيتر

ـ انها لا تبدو فقيرة على أى حال

ـ كان يمكن أن تكون سيدة ثرية ، وهذا يجعل سلوكها أكثر شذوذا

وأدركت أن الرجل يحاول أن يقنعها بأى ثمن ، فقد قال :

ـ وكان يمكن لبيتر أن يطلب القبض عليها منذ زمن ، ولكنه رجل طيب ... هالو بيتر

وكان بيتر قدخرج يتمشى ويداه فى جيوب بنطلونه،وقد ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتيه . وفجأة تركها ويلز واندفع نحوه،وأمسك بمرفقه ، وقاده ثانية الى القصر

ولم تصدق أذنيها بعد ربع ساعة ، حين سمعت صوت محرك سيارة دونالد وهى تغادر القصر ، دون أن يكلف نفسه حتى مجرد كلمة وداع . وكان شعورها أولا هو الدهشة ، ثم الغضب الذى لم يهدئه اعتذار بيتر :

ـ كان عليه أن يعود الى المدينة فورا

ـ لماذا ؟

ـ لقد طلبت منه ذلك ، ما رأيك فى السيدة العجوز ؟

وتبعها الى المكتبة ، وقدم لها مقعدا وثيرا ، ولكنها بقيت واقفة الى جوار الطاولة ، وقالت وهى تنقر بأصابعها فى ثورة :

ـ هل تخبىء لى مفاجآت جديدة ؟

ـ اننى شديد الاسف ، كانت مفاجأة ، أليس كذلك ؟

ـ ماذا كانت السيدة تقصد حين تحدثت عن أخيك ؟

ـ انها احدى مشاكل الاسرة ، وهى أقلها فيما أعتقد،وربما لم أعد

مثاليا ولكن هذه المشكلة من عمل أبى ، وهى لم تعد تهمنى ٠٠ اننى آسف ، ان مدام انترسوهن ذات أفكار عجيبة ، وهى ترى ان لابنها الحق فى بعض أملاكى

ـ انه أمر قبيح ، أليس كذلك ؟

ـ نعم ، أمر شديد القبح ، هل لديك مانع من دعوة بورك لتناول العشاء ؟

ـ رجل البوليس ؟ لماذا تهتم برجال البوليس الى هذا الحد ؟

ـ أظن اننى شرحت هذا الامر ، والواقع أنه ليس لدى جديد أضيفه ٠ ان بورك صديق حميم ، وقد قدم لى خدمات جليلة ، هل يسوؤك حقا أن يحضر ، يمكننى أن أطلب اليه عدم الحضور على كل حال

ولكنها لم تكن تعترض ، ولعل شخصا ثالثا على مائدة العشاء يزيل بعض التوتر ، وسألت :

ـ هل يبيت الليلة ؟

ـ انه سيعود الى لندن بعد العشاء مباشرة

وكان تبادل الحديث يخفى علاقتهماالشاذة ، وأدركت أنها علاقة مضحكة ، وأن بيتر قد آمن بهذه الحقيقة ، وأنه يتصرف طبقا لها ٠ وكانت تجلس الى نافذة غرفة نومها تتطلع الى عالم يبدو فى نظرها مظلما قبيحا ، وهى تعجب : هل كان زواجها حلما ؟ وحين رأت بيتر يعبر ممشى الحديقة ، سألت نفسها : « هل هذا زوجك الذين تحملين اسمه ؟ » ولم تصدق هذه الحقيقة التى لا مفر منها

وحمل اليها بريد بعد الظهر خطابا من بازيل هيل ، وكان لمنظر خط يده صدى خفق له قلبها ٠ وأحضر لها بيتر الخطاب الى حجرة نومها على صحيفة مطوية ، فقالت فى دهشة :

ـ لم أر ساعى البريد

ـ لقد كان هنا منذ ساعة ، ونسيت ان اقدم لك الخطاب

وفضت الخطاب ، ماذا يقول هيل ؟ لقد عاد من رحلة الى بورتموث فى الصباح ٠ وكان ختم مكتب بريد لندن يدل على توزيعها فى بريد الصباح الباكر ، وكان يقول :

« اننى أعجب متى يمكننى أن أزوركما أيها المحبان ٠٠٠ كان والدك

مكتئبا ليلة بارحتها لندن ، للدرجة انني بقيت معه الى ساعة متأخرة ، ولست أدرى علة اكتئابه » ...

وكان باقى الرسالة سردا لاحداث شخصية لا أهمية لها ، ولسبب لا تدريه أزعجتها الرسالة ، وفى تكاسل اخذت تعبث بالخطاب فرأت فى ظهره حاشية :

« انني شديد الانزعاج من أجلك . هل هذا سلوك طيب ؟ هل كان مسلكنا جميعا طيبا ؟ أعنى اتجاهنا الى تضحية كل شىء فى سبيل المال ... »

وهنا انتهت الحاشية نهاية مبتورة ، وبحثت جين فى الخطاب لعلها تجد بقية الحاشية ، دون جدوى ، ولكنها حين فتحت الخطاب اكتشفت شيئا ، فقد تكور « لسان » الخطاب ، وكان الصمغ لا يزال لزجا ... لقد فتح أحدهم الخطاب وقرأه قبل أن يسلمه لها ... ومن يمكن أن يفعل هذا غير زوجها ؟



ووجدت زوجها فى المكتبة ، فبادرته قائلة :

ـ ربما كنت غير عادلة فى اتهامك بعمل دنىء لا يأتيه سوى الخدم ...

ـ لا حاجة بك الى اتهام الخدم ، لقد فتحت الخطاب !

ـ أنت ؟ ولماذا ؟ هل هذا أحد حقوق الزوجية ؟

ـ انني لا أعلم أن للزوجية مثل هذه الحقوق !

ـ هل تتفضل بشرح موقفك اذن ؟ لعلك فتحته بطريق الخطأ

ـ كلا ، ولكنني لا أحب أن يكتب اليك بازيل هيل ، كنت أنوى أن أقول لك هذا فيما بعد ، فلم أكن أتوقع أن يجرؤ على ذلك ، وأنت لا تزالين فى ... شهر العسل

وكانت غاضبة ، ولكنها أيضا كانت فى أوج الدهشة ، كانت تظنه وبازيل هيل من أعز الاصدقاء ، وكأنما قرأ ما يجول فى خاطرها ، فقال بسرعة :

ـ انني لا أشعر بالغيرة منه ، انني وهيل على طرفى نقيض ، فأنا لا أثق فيه ، وهو لا يحبنى

ـ لماذا لا تثق فيه ؟

ــ ان الانسان يكره أشياء احيانا دون سبب، وبازيل أحد هذه الاشياء، وأنا أعلم أنني ارتكبت خطأ فظيعا في حقك ، ولكنني في الواقع كنت أضع سعادتك في اعتباري

ــ ان الامر ليس بهذه الاهميــة ، ولــكنني انزعجت لان للرسائل قيمة خاصة

ــ هذا أمر طبيعي ، وأنا أكرر أسفي

وكان هذا الحادث سببا في زيادة شقة الخلاف بينهما، وحين وصل بورك ، كانت علاقتهما قد وصلت الى حد كبير من التوتر ، فشكرت الظروف التي أتاحت شخصا ثالثا على مائدة العشاء ٠ وكان بورك في أحسن حالاته ، حتى لقد آنست في نفسها ميلا اليه، ووجدت نفسها تناقش أمور المجرمين ، وكان الحديث يدور عن « ملك المزيفين » ، فقال المفتش بورك :

ــ انه رجل مبرز في عالم الاجرام ، وله شركاء ، ولكن أحدا منهم لم يفكر في خيانته ، لانهم جميعا لا يعرفون شخصيته

ــ من أي الجهات يختلف عن غيره ؟

فوضع بورك يديه في جيوبه ، وأخــرج حافظة نقود ، فتحهـــا وأخرج ورقة نقد من فئة المائة دولار ، وقال :

ــ انظري الى هذه ، انك لست اخصائية ، وحتى لو كنت كذلك لصعب عليك تمييزها من ورقة جيدة ، ولذلك فان أعوانه يدفعــون

ووجد صعوبة في شرح طريقته ، فقد قبض على أعوان له في باريس وبرلين وشيكاغو ، ولكنهم لم يدلوا بمعلومات تفيد ، اللهم الا أنهم كانوا في مواعيد محددة ، وفي أمكنة عامة ، يتسلمون « البضاعة » ، ويدفعون الثمن ٠ ومع « البضاعة » ورقة مطبوعة على الآلة الكاتبــة تدل على مكان وزمان اللقاء التــــالي ٠ ولم يكن مكان اللقاء وزمانه يتشابهان أبدا ، وكانت الرسائل تتداولها عدة أيد قبل أن تصــل الى يد « ملك المزورين » ٠ واستطرد بورك :

ــ ولم يكن يرتكب الخطأ الشائع وهو اغراق السوق ، فقد كان أحيانا يتوقف عن العمل لمدة تسع سنوات ، ولكنه حين يقدم «عملا» فانه يقدم « عملا » ممتازا ٠ ونحن على يقين من أن أعوانه قليلون جدا

ــ لا شك أن أرباحه طائلة

ـ تقدر بحوالى ستين ألف جنيه فى السنة ، آنه مبلغ ضـــخم ٠
وكانت المرة الاولى التى لجأ فيها الى التزوير على نطاق واسع ، حين هبطت قيمة الفرنك ، ولعله أحد أسباب هبوط قيمته ، فقد طرح فى السوق الفرنسى ٣٠ مليونا من أوراق النقد فئة الالف فرنك

وكان بيتر يعبث بسكينه أثناء هذه المناقشة ، وعيناه تحدقان فى المائدة ، وشعرت جين أنه فى حالة سأم،فدهشت كيف أن رجلا مثله يهتم برجال البوليس ، لا يجد متعة واثارة فى مثل هـذا الحديث ، وخمنت من قلقه وعدم استقراره ، أنه يريد أن يرى بورك على انفراد٠ وكان لا يشترك فى الحديث ، وانما ثبت عينيه على الصورة الوحيدة التى تحلى حائط الحجرة ، وكانت لوحة زيتية مظلمة فى اطار ضخم عتيق ، لرجل ينتمى الى العصر الفيكتورى له فم قاس وعينان ناريتان ويبدو أن اللوحة قد خلبت لبه ، فقد كانت عيناه تعودان اليها كثيرا

وتعللت جين بعذر لتترك الرجلين ، ولاحظت أن بيتر قد سره أنها غادرت الحجرة . وانتقلت من حجرة الاستقبال الى المكتبة، وحركت الاخشاب فى المدفأة ، وشرعت بدافع الملل تبحث بين الكتب عن كتاب تقرؤه ، فوجدت بين الكتب العتيقة مجلدا حديثا بالالمانية ، ولم تكن تقرأ الالمانية ، ولكن رسوم الكتاب لم تدع لديها شكا فى موضـــوع الكتاب . وهو فن الحفر ، وتذكرت اللوحات التى أهداها بيتر لابيها، وتذكرت أيضا معرضه ، فأدركت أن الكتاب خاص بزوجها٠وفتحت الكتاب ، فاذا هو قد قرأه بامعان ، فقدكانت هناك خطوط تحت بعض فقرات الكتاب ، اذن بيتر يقرأ الالمانية !

وفى العاشرة اســــتدعاها بيتر لتودع بورك ، فوقفت الى جانب زوجها ترقب أنوار سيارة المفتش الخلفية تختفى فى الظلام ، وحـين عادا الى المكتبة قالت :

ـ حسنا ، أرجو أن تكونا قد تبادلتما حديثا مثمرا

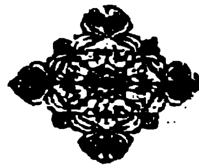
ولم تكن فى الواقع مهتمة ، ولكنها كانت تحاول فى يأس ان تعيد صداقتهما الى ما كانت عليه قبل مسألة الخطاب٠وظل زوجها صامتا، وحين حاول أن يرد على السؤال ، أكثر من التلعثم ، فأسرعت تقول : « نعمت مساء » ثم أسرعت الى حجرة نومها ٠ وفى هذه المرة أغلقت بابها بالمفتاح ، وأسدلت الستائر على النافذة بعد أن أغلقتها جيدا ٠

واستلقت فى فراشها وحاولت النـــوم ، وظلت فى حالة بين اليقظة والمنام، حتى ايقظها ماخيل اليها انه صوت وقع اقدام على حصى الحديقة فنهضت بسرعة من فراشها ، واتجهت الى النافذة · ولم تر شيئا فى بادىء الامر ، ثم تبينت شبح رجل يتحرك ، فوضعت يدها على فمها لتكتم صيحة ذعر · وبيد مرتجفة فتحت البـــاب وعبرت الصالون الصغير الى حجرة زوجها ، ولكنها وجدت فراشه خاليا ، ورأت على ضوء المصباح الصغير بجانب الفراش انه لم يمس ، وكانت الساعة المجاورة للمصباح تشير الى الثانية بعد منتصف الليـــل ، فغادرت الغرفة ونزلت الدرج ، فوجدت باب حجرة المكتبة مفتوحا والحجرة مظلمة ، ولكنها لاحظت بصيصا من الضوء ينســاب من تحت عقب حجرة الطعام فدخلتها ، ولكن الحجرة كانت خالية ، وسمعت صوت هدير يشبه صوت آلة ميكانيكية دائرة

ولكن ، أين صورة الرجل ذو الوجه القاسى ؟ لقد اختفت من الجدار، ومكانها وجدت ثغرة مظلمة ، وتقدمت جين ونظرت داخل الثغـرة ، فرأت منظرا لم تنسه فى حياتها

كان فى داخل الثغرة حجرة صغيرة يعلوها التراب ، ليس فيها من الأثاث الا منضدتين ، احداهما وسط الحجرة ، والثانيـــة الى جوار الحائط وعليها أدوات الحفر ، وعلى المنضدة التى تتوسط الحجرة كانت آلة تدور ··· آلة طباعة !

وشعرت أن قلبها قد توقف عن الخفقان ، حين شــاهدت الاوراق الصغيرة التى تخرج من فم الآلة ··· لقــــد كانت أوراق نقد ، أما الرجل الذى كان يراقب عملية الطبع ، فكان زوجها !



الفصل الخامس

اكتشاف

ولم تتمالك جين نفسها من أن تحدق فى ظهر زوجها وقد سحرها المنطق ، هنا اذن يكمن سر «ملك المزيفين» ... انه هو ...

وتاقت نفسها الى صرخة رعب ، لقد تزوجت مزورا عاتيا، تزوجت أمهر مزور فى العالم، الرجل الذى يبحث عنه بوليس أوروبا وأمريكا. ربما كانت مخطئة ، ولكن ها هو ، يفحص بعين خبير ، أوراق النقد التى تم طبعها

وغادرت الحجرة بهدوء كما دخلتها ، وحين وصلت الى الصالة تذكرت الشبح الذى رأته فى الحديقة ، ولكنه لم يعد يخيفها بعد أن شاهدت الكارثة الاخيرة ولكن المخاوف عاودتها حين صعدت الى الطابق العلوى ، فاتكأت على الدرج ، ونادت زوجها ، وبعد النداء الثالث سمعته يقول :

ــ ماذا هناك يا جين ؟

ــ هناك شبح رجل فى الحديقة !

وحاولت أن تجعل صوتها طبيعيا ، ولكنه كان يرتجف ، وأخطأ زوجها فى تعليل الاضطراب . وانتظرت وهى تصيخ السمع، فسمعته يعود الى قاعة الطعام ، وسمعت صوت باب يغلق ، ثم صوت طقة معدنية ، وسرعان ما سمعت وقع أقدامه فى الصالة ، ثم وهو يفتح الباب الخارجى

ورأته من النافذة يفحص كل شبر فى الحديقة ، ولكنه لم يجد أثرا للطفيلى الزائر . وجلست هادئة ، لقد صدمها الاكتشاف ، ولكن عقلها كان فى أوج نشاطه . لقد تذكرت الحوادث البسيطة السابقة، وفحصتها بعين مخيلتها ، ثم ربطت بينها . هذا اذن هو مصدر ثراء

زوجها، انه ملك المزورين بعينه، وهذا القصر الذى يدعى انه يستأجره هو وكره السرى

وحين أسدلت الستائر على النافذة ، وأضاءت النور ، سمعت وقع أقدامه على الدرج ، ثم ظهر فى فرجة الباب ، وقال فى أنفاس لاهثة :

ـ لم أر أحدا ...

ثم نظر الى وجهها ، وقال فى انزعاج ظاهر :

ـ يا اله السماء ، انك فى حالة سيئة، آه لو التقيت بالرجل لقتلته

ـ الرجل ؟ آه ، نعم ... لم تجده ؟

ولكنه لم يجب ، كان اهتمامه مركزا فى زوجته الممتقعة الوجه ، وأخيرا قال :

ـ سننتقل الى المدينة غدا

ـ كلا !

ـ لماذا ؟

ـ لا أدرى ، سأقول لك غدا ، اننى متعبة جدا

والواقع أنها كانت أكثر من متعبة ، نفسيا وجثمانيا . وبقيت نصف ساعة تحدق فى الظلام ، تحاول أن تفكر فى حياتها مع بيتر، وسمعته يخرج ، وظنت أنه يعاود البحث عن الزائر الليلى . وشعرت بالبرد يسرى فى جسدها : ماذا لو كان الزائر الليلى رجل بوليس ؟ ربما كان زوجها تحت رقابة البوليس ، ربما كان لفرط حرصه على صداقة رجال البوليس ، قد غفل عن أن بورك قد خمن سره ، فوضعه تحت المراقبة

واستولى عليها النعاس وهى تضرب أخماسا فى أسداس ، وحين استيقظت كانت أشعة الشمس تغرق حجرتها ، وكانت الخـــادم العجوز آنا قد أحضرت لها قدحا من الشاى ، فسألتها :

ـ من الذى يملك هذا القصر ؟

ـ لست أدرى يا سيدتى ، يقولون ان المالك يعيش فى الخارج بصفة مستمرة ، أما الوكيل فهو مستر بلومبرج ، ومكتبه فى الوسنت اند بشارع نولبى ، اننى لم أره ، وان كان يأتى أحيانا الى هنا ويقضى شهرا

ـ ومع ذلك لم تريه ؟

ـ كلا ، فهو حين يحضر يأتي بخدمه معه ، وهم خدممهملون لانهم يتركون القصر فى حالة يرثى لها من القذارة

ـ وأين تذهبين حين يحضر الى القصر ؟

ـ ان جميع الخدم يمنحون اجازة ، وأنا أذهب لزيارة شقيقى فى لندن

وقلبت جين هذه المعلومات الغريبة فى رأسها ، وتساءلت من هو بلومبرج ؟ انه شخص لا يحب أن يراه أحد ، وبدأت تدرك حقيقة الامور : ان بيتر هو المالك ، وبلومبرج هو الاسم الذىيختفى وراءه، انه الرجل ـكما قال بورك ـ الذى يعمل فى الخفاء،ولا يعلممساعدوه عنه شيئا . وشعرت بسكينة غريبة ، الا من ألم دفين فى القلب،لقد اكتشفت شيئا غريبا : انها تحب زوجها ! ولم تدر لماذا برزتصفاته الطيبة فى هذا الوقت أمام عينيها ... فجأة أدركت وحدته ، والخطر المحدق به ، ومعاملته الطيبة لها

ماذا يمكنها أن تفعل ؟ هل تكتب الى أبيها وتروى له كل شىء ؟ كلا...يجب أن تحفظ السر ـ سرها وسر زوجها ـ بل يجب أنتبعد عنه الكارثة التى تتهدده..ان البوليس فى شك من أمره ، وهويحاول أن يضيق عليه الخناق . ان روبر قد خمن السر ، ولا شك أن بورك يعرف ، ويتظاهر بصداقته حتى لا يتحقق من الخطر الذى يتهدده

كانت جين من أولئك النساء اللائى تستيقظ مشاعرهن فى وقت الخطر . لقد استيقظت مشاعرها فجأة ، بل لقد شعرت بالبهجة ! وحين خرجت الى الحديقة راعها أن ترى زوجها يذرع الممشى جيئة وذهابا ، وقد بدا ممتقع الوجه مضطرب الخطو ، وقال يعلل ذلك :

ـ لم أنم جيدا ، الواقع أن جو الريف لم يعد يلائم صحتى،وأخشى أنه لابد من البقاء ليلة أخرى فى قصر لونجفورد

ولم تره جين فى مثل هذه الحالة العصبية ، فقالت :

ـ اننى أحب أن أقضى أسبوعا كاملا هنا ... هل يمكن هذا ؟

كانت ترى أن ترك القصر نهبا لعيون الفضوليين خطر كبير ، ورأته يستريح للاقتراح ، ولكن وجهه عاد الى العبوس وهو يقول :

ـ أظن من الصعب أن أطلب اليك الذهاب الى المدينة وتركى هنا يوما أو يومين ، انه اقتراح غريب ، أليس كذلك ؟ ولكن لدى مسألة

او مسألتين أحب أن أبحثهما هنا ، ولذلك فكرت في استدعاء شين ويلز لقضاء ليلة هنا ، انني اريد ان أراه بخصوص ... أشياء !

ودهشت للاقتراح ، هل يريد أن يراه كطبيب أم صديق ؟ لاشك أن التوتر العصبي الذي يعيش فيه ضخم ، يحتاج الى كل معونة يمكن أن يقدمها الطب ، واخيرا قالت :

ـ طبعا يمكنك أن تستدعيه ، ولكنني لا يمكن أن أعود وحدى الى المدينة ، فان هذا يثير تساؤل الناس

واقتنع زوجها بالعذر ، ثم تأبطت ذراعه ، وراحت تتمشى معه ، وقالت :

ـ انني كنت قاسية جدا معك ، ولا شك أن لك كل العذر في أن تكرهني ، ولكنني في الحقيقة أرغب في مســـاعدتك ، ويمكنني أن أساعدك بشتى الطرق

ـ أنت لا تدركين انك تساعدينني فى هذه اللحظة بالذات ...

وضحك ، ثم قال بسرعة قبل ان يدري ما يقول :

ـ أرجو ألا تعلمي في يوم من الايام ...

وخشى أن تسأل ، ولكنها لم تفعل ، وأحس براحة كبيرة ، واستطرد :

ـ سنبقى هنا ، ولتثقي في ، وسيحتاج كل منا للآخر ، وأرجو من الله أن لا يخبىء لنا المزيد من الصدمات في المستقبل ، واذا حدثت مفاجآت نرجو من الله أن يقينا شرها ، ولا يمرغ وجوهنا في الوحل !



وفي صباح نفس اليوم ، وبعد أن ذهب بيتر الى القرية لارسال برقية ـ كما زعم ـ وقفت جين على اكتشاف بمحض المصادفة . فقد كانت « آنا » الخادمة هي التي افرغت محتويات حقيبتهـا في خزانة الملابس ، وحين احتاجت الى منديل لم تجده ، فاستدعت الخادمة التي قالت :

ـ لقد وضعت كل المناديل في خـزانة ملابس مستر كليفتون ، سأذهب لاحضارها يا سيدتي

ـ لا بأس ، سأذهب أنا لاحضارها

ولم تكن جين في عجلة ، وبعد نصف ساعة ذهبت الى حجـــرة زوجها ، ولم تجد عناء في البحث عن مفتاح الخزانة ، وحين فتحتهـا

كان أول شيء صافح عينيها مجموعة من اللوحات ، وأمسكت بواحدة فعرفتها في الحال ، كانت المجموعة التي أهداها بيتر لوالدها ، اذن لم تفقد اللوحات ، ولكن بيتر بطريق السهو كان قد أخذها دون أن يتذكر ۰ وحاولت أن تذكر متى فقدت اللوحات ، انها فقدت في أول أبريل ، لقد قال والدها ذلك ، وحين عادت الخادمة سألتها

ـ متى كان مستر بلومبرج هنا آخر مرة ؟

ـ في أوائل أبريل يا سيدتي !

هذه اذن هي الحقيقة ، ففي أول أبريل ادعى أنه سافر الى باريس ۰۰۰ وحضر دونالد ويلز في المساء،وفي أول لقاء معه سألته بصراحة عن حالة زوجها ، فقال

ـ ليس هناك ما يدعو للقلق ، ان بيتر يبدو منهكا ، ولست أدري لماذا ، لقد كان في أتم صحة حين كان في لندن ، أرجو ألا يكون ذلك من فعل العجوز انترسوهن

ولسبب لا تدريه ، أصبحت جين تكره وجود الطبيب ، فقد كان يمثل حاجزا يمنع التفاهم الذي بدأ بينها وبين زوجها . كانت تريد أن تبقى ثقتها فيه ، ولو من جانبها ، حتى يأتي الوقت المناسب ، فتروى له ما تعرفه ۰ ولكن المساء كان يخفي مفاجأة جديدة جعلتها توقن بأن التفاهم سيظل زمنا من جانب واحد

كانا وحدهما قبل تناول الشاي ، وتذكرت اكتشاف الصباح ، ربما لم يكن بيتر نفسه يعرف أن اللوحات لم تفقد ، فقالت

ـ نسيت أن أقول لك ، هل تعلم ان لوحاتك موجودة في خزانة الملابس ؟ اللوحات التي ظننت أن أبي قد فقدها ۰۰۰

وتوقفت فجأة عن الحديث ، فقد امتقع وجهه حتى حاكى وجوه الموتى ، وفي صوت حاد غاضب قال :

ـ كيف عرفت ؟۰۰ هل فتحت خزانتي ؟

فقالت في دهشة وألم :

ـ لقد كنت ابحث عن مناديلي ، ولكن لماذا غضبت يابيتر ؟ لقد كنت أظنك ستسر للعثور على اللوحات التي كنت تعتز بها

وبذل مجهودا جبارا ليسترد توازنه ، ثم قال :

ـ نعم ، انني آسف ، ان أعصابي لم تعد كما ينبغي ۰۰۰ تقولين

انك وجدت اللوحات في الخزانة ؟ أي أحمق مهمل أنا ، واظنني تركت المفتاح على الطاولة ، الواقع انني في حاجة الى ممرضة

وعاد الدم الى وجهه شيئا فشيئا ، وأدركت أن اكتشـــافها قد أزعجه ، وحين حاول أن ينفي علمه بوجود اللوحات ، كان من الواضح أنه يكذب ، وأن كذبه مفضوح ، وأخيرا قال :

ــ أليس الامر مضحكا ، أعني اتهام والدك بفقدها . أرجو أن تحتفظي بهذا الخبر لنفسك ، واكون شاكرا اذا لم تبوحي به لوالدك

ــ ولكنه سيفهم ...

ــ أفضل ألا تقولي له ، الواقع انه يهمني ألا يعلم

وبدا لها أن الامر أهون من أن ينال كل هذا الاهتمام ، ولكنهـــا وعدته بابتسامة مغتصبة ، ولم تفهم سر غضبه وخوفه . فحارت : ففي الوقت الذي ظنت فيه أنها فهمته ، حدث شيء ، أبعدها عنـــه وأعادها الى المكان الذي بدأت منه . وظنت أن وجـــود الطبيب هو السبب ، فان بيتر أصبح كتلة من الاعصاب الثائرة

وكان العشاء في الثامنة ، وحتى الســـابعة كان بيتر وويلز في قاعة المكتبة منهمكين في الحديث فارتدت ملابسها ونزلت الى الحديقة وكان الجو هادئا والطيور هاجعة ، ولم يكن ثمة صوت ، فكان الهدوء بلسما لاعصابها ...

وفجأة سمعت اسما ينطق همسا ، فانتفضت وقالت

ــ من هناك ؟

فبرز بازيل هيل من وراء أكمة ، فقالت :

ــ بازيل ، ماذا تفعل هناك بحق السماء ؟

ــ هل أخفتك ؟ أين زوجك ؟ مع دونالد ؟

ولم تعجبها لهجته ، فقالت :

ــ نعم ، انهما في المكتبة ، هل تبقى للعشاء ؟

ــ كلا ، ان سيارتي في الطريق ، لقد جئت لالقي نظرة على العروس ، كنت في محاكمة مجنون . هل تذكرين قضية ألكسندر ولرسون ؟ لقد كان ثريا مجنونا قتل نفسين بريئتين مع سبق الاصرار ، انهـــا قصة محزنة ، فالجنون وراثي في العائلة ، فقد مات والده في مستشفى المجاذيب ، ومات الابن في سجن دارتمور ، وكل العائلة شواذ

ـ وماذا يهمني من كل هذا ؟

ـ ان ويلز هنا ، أليس كذلك ؟ انه يرعى بيتر منذ سنين ، وهو الذى أعطاه اقرارا بأنه صالح للزواج ، ولكن بيتر يشعر بأزمة هذه الايام

ـ ماذا تعنى ؟

ـ ان بيتر مجنون ، لم أرد أن أدعك تعيشين خالية الذهن عن الخطر المحدق بك ، انه ابن الكسندر ولرسون المجنون ... هذا هو الرجل الذى زوجوك له

ـ هذا محض إفتراء ...

وسمعت وقع أقدام سريعة ، ورأت الخوف يظهر على وجهه حين سمع بيتر يقول له :

ـ ماذا تفعل هنا ؟

ـ كنت مارا ، فرأيت أن أرى جين ، أرجو ألا يسوءك هذا

وتفرس بيتر فى وجه زوجته ، ودله وجهها الشاحب على كل شيء ، فسأله

ـ ماذا كنت تقول لها ؟

ـ لا شيء ... مجرد دردشة ، و ...

فسأل زوجته :

ـ ماذا حدث يا جين ، ماذا قال لك ؟

فحاولت أن تصفى الموقف ، وقالت :

ـ لا شيء .. لا شيء ..

فتحول الى هيل وقال :

ـ ان لدى شكويين ضدك ، وسأسمع للاولى بالانتظار ...

ـ لست أفهم ...

ـ لقد هاجمت منزلى فى الليلة الماضية ، ولو كنت قد أمسكت بك لقتلتك ، واذا كان ما قلته لزوجتى هو ما أعتقد أنك قلته ، فيحسن ان تبتعد عن طريقى

وسمعت صوت لكمة ، وصرخ هيل فى ألم وهو يسقط فى حوض الازهار ، وأسرع بيتر يطلب من زوجته الذهاب الى القصر ، وهو يتهيأ لقاء هيل ، الذى نهض مستعدا للصراع

الفصل السادس

عند بلومبرج

كانت مدام انترسوهن تعيش في منزل صغير على الطراز الفيكتوري في هامبستيد . وكان المنزل من الصغر بحيث لا يبدو للعيان من خلال الاسوار العالية والاشجار الباسقة . وكانت تجلس في حجرة الاستقبال الى جوار مكتب صغير ، تحاول أن تدبر ميزانيتها . وكان دخلها المحدود يمكن أن يتيح لها حياة مريحة ، ولكنها كانت تواجه مطالب تضيق بها ميزانيتها المحدودة

ونظرت الى ساعة يدها المرصعة بالماس ، ثم نهضت وهى تتأوه ، واتجهت الى غرفة نومها ، وحين هبطت كانت ترتدى ملابس بسيطة ، بدت فيها أحسن مظهرا منها فى الثياب المعقدة الغريبة التى اعتادت أن ترتديها

وغادرت المنزل دون أن تذكر وجهتها ، وسارت الى شارع ادجوار حيث استقلت الاوتوبيس ، وفى الساعة التاسعة كانت قد وصلت الى تقاطع مارلبورولين وشارع نولبي . وكان هيجسون هاوس منزلا ذا واجهة ضيقة وغرف لا تقل عن الواجهة ضيقا ، ومع ذلك فقد كان المالك حسن الحظ بحيث وجد سكانا ، فقد كانت واجهة الباب تحمل عدة لافتات نحاسية تدل على وجودهم ،وقرأت مدام انترسوهن لوحة ذاوية الخط تقول « بلومبرج ، ممول »

وكان الباب الخارجى مغلقا ، فدقت الجرس ، وسمعت صوت طقة فى الحال ، فدفعت الباب فانفتح . وسارت فى دهليز ضيق ، ثم بدأت تصعد الدرج وصعدت ثلاث درجات لتجد أمامها بابين ،وفتحت الباب المواجه لها لتجد نفسها فى غرفة ضيقة مضاءة بمصباح خافت الضوء . وسمعت صوتا صادرا من غرفة داخلية يقول : « تفضل

بالدخول » ، فعبرت الحجرة الضيقة الى حجرة أخرى مظلمة ، وعلى ضوء الحجرة الخارجية شاهدت ما يشبه المنضدة الى جوار الحائط ، وحين جلست مدام انترسوهن أدركت أن ما خالته حائطاً ما هو الا شبكة معدنية دقيقة ، يجلس وراءها الرجل الذى جاءت تقصده ·وفى صوت أجوف قال الرجل القابع فى الظلام :

ــ لقد تسلمت خطابك ، أنت تطلبين مبلغا كبيرا

ــ اننى أساوى الملايين ، لو ظفرت بحقوقى

ــ اننى لا أهتم بحقوقك ، ولكن يهمنى شىء آخر ، فقدحضرت فى الوقت المناسب ، اذا كان ابنك يا مدام انترسوهن يجب أن يبقى حيا ، فليبتعد عن قصر لونجفورد

ــ ماذا ؟

وكان يمكن للرجل الغامض أن يرى فكها يسقط من فرط الدهشة ، واستطردت مدام انترسوهن

ــ اننى لا أعرف ماذا تعنى يا مستر بلومبرج ، ان ابنى لا يذهب الى قصر لونجفورد على الاطلاق ، اننى أنا التى ذهبت ، وحاولت عبثا أن أجعل كليفتون يرد لى حقوقى

ــ لقد كان ابنك فى قصر لونجفورد الليلة الماضية · لقد اقتحم حجرة نوم مسز كليفتون ، فحذريه ··· والآن ، كم تريدين ؟

ــ ألف جنيه ، أما بخصوص ابنى ···

ــ لن أعطيك ألفا · خمسمائة جنيه فيها الكفاية ،هل المذكرة معك؟

وبحثت فى حقيبة يدها ، ثم أخرجت قصاصة دفعت بها الى شق فى الشبكة ، وفى الحال سمعت قرقعة أوراق النقد ، وبعد برهة برزت رزمة من أوراق النقد أمامها ، وسمعت بلومبرج يقول :

ــ أغلقى باب الغرفة وراءك ، وانتظرى فى الحجرة الخارجية حتى أدق الجرس

ونهضت مدام انترسوهن وهى تقول :

ــ أردت أن أقول ان ابنى لا يأتى مثل هذا العمل ، انه طائش ولكنه جنتلمان

ــ من الافضل له أن يعيش كجنتلمان من أن يموت جنتلمان ، تفضلى بالخروج

وغادرت الغرفة المظلمة ، فسمعت الباب يغلق خلفها ، ثم صوتا يشبه النواح ، وبعد ثوان دق جرس ، فغادرت الغرفة الضيقة واغلقت الباب خلفها

وفي هذه المرة استقلت سيارة أجرة في طريقها الى بيتها ، وكانت طوال الطريق مشغولة البال بالشخص الوحيد الذى أحبه قلبها ، فنسيت أنها لا تزال تمسك بأوراق النقد التى قدمها لها مستر بلومبرج . انه كان يتحدث عن ابنها ، وكان يتحدث بلهجة فيها تهديد ، ماذا يعرف عن ابنها ؟ انها تخاف بلومبرج ، ولكنه لن يجرؤ على الحاق الأذى بابنها الذى ضحت في سبيله بكل شيء . وبهذا التبرير استراح قلبها ، فأوت الى فراشها

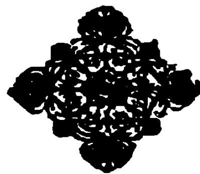
وفي صباح اليوم التالى أحضرت الخادمة قدح القهوة وصحف الصباح ، فأخذت ترتشف القهوة في لذة ، لقد دبرت المبلغ الذى طلبه ، انه ابنها الحبيب ، ولا بد من اجابة طلباته . وازاحت الخادمة الستائر ، وقدمت لسيدتها نظارة ذهبية ، فأخذت تتصفح عناوين الصحف ، وفي تراخ قرأت :

« جريمة قتل غامضة في هيرتفورد شير »

« مستر بازيل هيل يوجد صريعا في حدائق قصر لونجفورد التاريخى »

وسمعت الخادمة صرخة ، فاستدارت في دهشة لتجد السيدة العجوز تقفز من فراشها وهى تولول ، وقد أمسكت بالصحيفة :

ـ ابنى ... ابنى الحبيب ... قتلوه !



الفصل السابع

امرأتان

ظنت جين كلفتون انها مصابة بازدواج الشخصية ، وانها فى هذه اللحظة تتقمص شخصية اخرى ، فقد وجدت متعة فى الجلوس الى مائدة العشاء بصحبة زوجها وويلز ، وكانت تتحدث بطلاقة غريبة، وتسأل عن أحوال مارجورى ، بل تجد سرورا في التحدث عن هوايات امرأة تكرهها ، بل لقد وجدت نفسها تتحدث عن حفلات عقد قرانها !

وبحثت في أعماق نفسها عن شعور بالخوف أو الفزع لموقفها ، فهى متزوجة من رجل مجنون ، ابن مجنون ، رجل مزور ، يقوم بعمله الاجرامى في مهارة وخبث الرجل المجنون

ووجدت نفسها تفحص قسمات وجه زوجها فى امعان . ان عينيه ليست عينى مجنون . وتذكرت لوحة مفزعة رسمها والدها لوجه مجنون : الفم المفتوح فى بلاهة ، والتقاطيع المتنافرة ، والوجه غير المتناسق . ان بيتر لا يشبه هذه الصورة فى شيء ، فيداه المعقودتان على المائدة جميلتان ، وفمه قوى ، ونظراته ثابتة

ويبدو أن ويلز لم يكن يدرى بالجو المتوتر حوله ، فلم يذكر أحد شيئا عن اللقاء العاصف فى الحديقة ، وكانت قد قابلت بيتر قبل العشاء ، ولكنها لم تسأله عما حدث لبازيل هيل ، ولم يتطوع هو بالشرح . كان خده مجروحا وقد استقرت ضمادة حول أحد أصابعه . ولكنه أخبر ويلز أثناء العشاء أن كلبا عقره !

وظهر جليا أن ويلز لم يعلم بحادث الحديقة ، ولكنه لم يبق جاهلا بالامر طويلا ، فما كادت جين تغادر الغرفة ، حتى سأل بيتر :

— ماذا حدث يا بيتر

— لا شيء

ـ لا تكن أحمق ، لقد ساءك حدوث شيء

وتردد بيتر لحظة ، ثم روى له ما حدث في الحديقة ، وحين ذكر بازيل ، قال في استنكار :

ـ بازيل ؟ ماذا كان يفعل هنا ؟ عم كان يتحدث ؟

ـ ألم تخمن ؟ ان الخنزير يعرف من أنا ، ويعلم حالتي

ـ تعني أنه أخبر جين ، ولكن هذا مستحيل

ـ ألم ترها خلال العشاء ، ألم يكن واضحا أنها تعلم ؟

ـ ولكن كيف علمت ؟

ـ ظننت أنك ...

ـ هذا غير معقول ، فهو افشاء لأسرار المهنة

ـ هل تظن أن هناك خطرا ؟ ان الرجل أفزعني

فمد ويلز يده ، وأمسك بيد الآخر يقيس النبض ، وفزع بيتر حين رأى وجه الطبيب يقطب ، وأخيرا قال الطبيب :

ـ انك مهتاج العواطف ، لم أكن أظن أنك أخذت الامور مأخذ الجد . سأقابل جين ، لأرى هل تمانع في أن أقضي الليلة معكم

ـ أرجو ألا تخيفها . رباه ، لقد اعتمدت عليك ، انني لا ألومك ، ولكن هل تعتقد أن هناك خطرا من حدوث أزمة ؟

ـ لا يمكن حدوث أزمة طالما كانت أعراض المرض لاتظهر عليك ، وعلى كل حال سأعطيك منوما الليلة ، وسأتصل تليفونيا بمارجوري لأخبرها انني لن أعود الى المنزل الليلة

وحين نهض دونالد سمعا صوت فرامل سيارة ، فنظر كل منهما الى الآخر ، وقال ويلز :

ـ هل تنتظر زائرا ؟

ـ كلا ، الا اذا كان هيل قد فكر في معاودة الكرة

وكانت جين قد سمعت أيضا صوت الفرامل ، فأسرعت الى البهو في اللحظة التي فتح فيها الخادم الباب ، فخطت الى الوراء في دهشة حين رأت شخصية الزائر . كانت مارجوري ويلز

ـ جئت لأصحب دونالد في طريق العودة ، أرجو المعذرة لتطفلي عليكم في شهر العسل

فضحكت جين ، وقالت

ـ يبـدو أن كل امرىء يريد أن يتطفل علينا فى شهر العسل ولكننى فى الواقع مسرورة لرؤيتك يامارجورى

ـ هل تشعرين بالملل

وفجأة سمعت ويلز يقول فى غضب لم يحاول اخفاءه :

ـ ماذا تريدين ؟

ـ أهلا حبيبى ، اننى كزوجة محبة وفية ، تدرك كيف يكره زوجها العودة وحيدا رأيت ان أحضر لأصحبك فى طريق العودة

ـ لن أعود الليلة ، ان صحة بيتر ليست كما ينبغى

ـ يا للحظ الحسن ، لقد خمنت أن شيئا من هذا قد يحدث ، فأحضرت لك منامة . بيتر ، عزيزى ، هل تتفضل بدفع أجرة التاكسى ، فاننى لا أجرؤ على طلب المال من زوجى ، فان مسائل المال تثير أعصابه

واستراحت جين لما حدث ، وقادت مارجورى الى حجرة كانت قد أعدتها للضيوف . وحين وصلا ، سألتها مارجورى فجأة :

ـ وأين ينام دونالد ؟ أرجو أن يكون المكان أبعد ما يكون من هنا ، فانه يفقد أعصابه أحيانا ، ان معظم الازواج يفعلون هذا

وبينما المرأة تثرثر ، قالت جين فجأة :

ـ بازيل كان هنا ...

فانتفضت مارجورى ، بينما استطردت جين :

ـ هل تعلمين شيئا عن بيتر ، أنت تعرفينه مدة أطول منى ، هل صحيح ما قاله بازيل عنه ، لقد كنت أنوى أن أسأل دونالد ولكنى لم أجرؤ . انه يقول أن والده كان مجنونا ، وأن جده كان كذلك ، وأنه سليل أسرة من المجانين. . . . وهناك شىء آخر أريد أن أقوله لك

وصمتت مارجورى لحظة ، وراحت تفحص جين ، ثم قالت ببطء :

ـ بيتر ابن مجنون ، آه لقد فهمت الآن ، كم كنت غبية ... هل هو أيضا « ملك المزيفين » ؟

فانتفضت جين كأنما مسها سلك كهربائى ، وقالت فى حدة :

ـ كلا ... كلا ... لست أدرى ماذا تعنين بملك المزيفين ؟

ـ أقصد الرجل الذى يبحث عنه بوليس لندن

وصمتت مارجورى تنتظر جوابا ، فلما لم تجب جين ، استطردت :

ـ فهمت ... ومن أنبأك أنه « ملك المزيفين »

وبدأت جين تفطن لحقيقة الموقف ، ففي لحظة ضعف أفشت سرها لآخر امرأة في الوجود يمكن أن تثق بها ، وحاولت أن تسترد رباطة جأشها ، فقالت :

ـ أي خرافة هذه ، انني كنت أولى بما قاله بازيل عن بيتر ، وأنت بالطبع تعرفين بازيل

ـ ان زوجي العزيز لا يطلعني على أسراره ، ولكنني أستنتج الكثير، انني لم أصدق لحظة ان بيتر مجنون

ومدت مارجوري يدها فطوقت خصر جين ، وقالت في سخرية :

ـ دعيني أقوم لك بدور الام المحبة ، مع انني لم أحبك يوما ، وأنت أيضا كنت تكرهينني ، ولا شك أنك تعلمين أنني أحب زوجك بيتر بجنون !

كانت تقول هذا بهدوء ، وظنت جين أنها تتهكم ، ولكن نظرة الى وجه المرأة دلتها على ان المرأة صادقة . واستطردت مارجوري :

ـ هذا اعتراف لا يليق بامرأة متزوجة ، ولكنني كنت ولا زلت أحبه ، ولو كنت تحبين زوجك لدققت عنقي لهذا الاعتراف ، ولكنك لحسن الحظ لا تحبينه

وذهبت الى المرآة ، وشرعت تصلح زينتها ، وقالت دون أن تستدير :

ـ اذن هذا ما قاله بازيل ، انه لا يكذب ، خصوصا اذا أراد أن ينال من انسان ، هل أنبأت زوجي بهذا ؟

ـ كلا ...

وفهمت جين المرأة لأول مرة ، لقد كانت دائما امرأة ذات لسان مر ، على استعداد دائم للنيل من كل ماتحبه جين ، وكانت مارجوري تردد في صوت يزداد نعومة :

ـ اذن فقد قال لك بازيل ، انني آسفة من أجله ، انه أحمق ، ولكنه مسل

ـ ولماذا تأسفين من أجله ؟

فضحكت جين ضحكة ذات مغزى ، ولكنها توقفت عن الضحك فجأة لتقول :

ـ هذا وقع أقدام دونالد ، انه لا شك خمن ما يمكن أن يدور

بيننا ، انه ذكي أريب ، فلنخرج من هنا

وكانت مارجوري صادقة في فراسة زوجها ، لأنه لم يكد يلقي نظرة على وجه جين ، حتى قال :

ــ كان بازيل هنا ، وسرد على مسامعك بعض الخرافات عن بيتر ، لقد كنت أتوقع بعض الشر من جانب ذلك الحيوان السكير .

ولكن زوجها تمتم ببعض عبارات الاحتجاج ، فغيردونالد موضوع الحديث ، ونجحت مارجوري في تحويل الحديث الى مواضيع شتى ، فلما كانت نهاية الليلة ، صعدت جين الى غرفة نومها ، وأغلقت الباب بالمفتاح • وفي تلك الليلة قررت أن تكتب الى والدها وتقص عليه كل شيء ، لن تكتم شيئا ، قد يشعر بالفزع أو الاهانة ، ولكن النتيجة واحدة ، وهي انه سيحضر ليأخذها معه • أليس هـذا هو التصرف المعقول ؟ لقد تزوجت مزورا ، انه مجرم تهدده عقوبة السجن المؤبد ، هذا بالاضافة الى التهديد الجديد الذي تخيم سحبه على حياتها . وكتبت :

« لست أدري ماذا يمكن أن تفعل ، الا أن تحضر لتأخذني معك ولا شك أن بيتر سيفهم الموقف ، فهو يعلم أنني أعلم ، وهو في الواقع عطوف كريم • انني لست جبانة لأنني أهرب ، ولكن بقائي أسبوعا في هذا الجو سيدمر أعصابي ، ومن الافضل أن أذهب الآن قبل أن نعود الى لندن • لقد ارتكبنا خطأ فظيعا ••• »

واستمرت تكتب حتى الواحدة بعد منتصف الليل ، ثم مزقت الخطاب وألقته بين ألسنة النيران في المدفأة • وسمعت صوت باب يغلق ، فأدركت أن بيتر قد أوى الى فراشه • كانت متعبة عقليا وجثمانيا ، فاستسلمت للنوم • وفجأة سمعت نقرا على باب حجرتها ، فاستيقظت في الحال ، وبقيت برهة جالسة في فراشها وقلبها يدق بجنون ، وأخيرا سألت في صوت مضطرب :

ــ من هناك ؟

ــ انني مارجوري ••• دعيني أدخل !

كان ردها سريعا ملحا ، فغادرت جين فراشها ، ودعت المرأة للدخول ، فقالت في اضطراب ظاهر :

ــ اغلقي الباب ••• بالمفتاح !

ــ ماذا حدث ؟

ـ لا تضيئي الانوار ، إنني فى حالة عصبية ، لا أستطيع النوم ، ان هذاقصر فظيع ، أين ينام بيتر ؟

ـ انه فى الحجرة التالية للحجرة الملاصـقة لهـذه الحجرة ، هـل تريدينه ؟

فترددت برهة ، ثم قالت :

ـ ان هذه الحجرة مظلمة جدا ، هل الستائر المسدلة على النافـذة ثقيلة ؟ هل تظهر أضواء الحجرة من الخارج ؟

ـ كلا

ـ حسنا ، أضيئى النور اذن !

وظهر وجه مارجورى فى الضوء الخافت شاحبا ممتقعا ، وسألت:

ـ أين ينام دونالد ؟

ـ فى غرفة بعيدة ، فى الناحية القبلية

ـ هذا أفضل ، فانه ان سمعنى أتحدث جاء على الفور،وأنا لاأريد أن أراه الليلة

وتوجهت الى النافذة ، وفحصت الستائر ، ثم سألت :

ـ كم الساعة الآن ؟ الثانية والنصف ؟ لقد نمت فىالحادية عشرة.

وغذت جين المدفأة ببعض الاخشاب ، فقـد كانت الليلة باردة ، وكانت تعجب : الى متى تظل مارجورى معها ، ومع ذلك فقد سرتها صحبتها ولم تثقل عليها . وكانت مارجورى تجلس الى جوار المدفأة وقد مدت يديها الى النار . وأخيرا قالت :

ـ هل كان بازيل ثقيلا ، انه حيوان ، ومع ذلك كنت تميلين اليه

ـ كان مسليا

ـ مسليا على حساب الآخرين

ـ هل تعرفينه ؟

ـ منذ سنوات عديدة ، حينما كنا فى نون هيد

ولما وجدت أن اسم المكان لا يعنى شيئا لدى جين ، استطردت :

ـ انك لم تكونى تعرفين أن دونالد كان يمـارس عمـله فى أفقر أحياء لنـدن ، واذا كنت تظنين أنه وصـل الى هذه الشـهرة بفضل مهارته فأنت واهمة . لقد كان على وشك الافلاس فى يوم من الايام. وأنا شخصيا كنت أتمنى لو أنه أفلس !

الفصل الثامن

صرخة فى الليل

ونظرت اليها جين فى دهشة ، وبدا أن مارجورى تجد لذة شريرة فى اماطة اللثام عن ماضى زوجها ، فاستطردت :

ـ كان متهما فى قضية ، وأوشك البوليس أن يدينه ، وفجأة وجد مريضا ثريا . لم يكن بيتر ، لا تفزعى يا عزيزتى ، بل كان رجلا آخر مصابا بالوساوس ، وكان يثق بدونالد ، ومن هنا بدأ الجاه ، والانتقال الى عز شارع هارى ، ودخولنا الى المجتمع الراقى من أوسع الابواب . كنا نسكن فى نون هيد شقة متواضعة فوق العيادة التى كانت بالدكان أشبه . والواقع أن دونالد ماهر ، انه عبقرى فى بعض النواحى ، وهو رجل يجيد فن الحديث أكثر منه طبيب . وكانت عجائز الوست اند يثقن به ، فكان يرسلهن الى أوربا ، أرسلهن مرة الى ميز بادن ، ولكنه اكتشف أن الاطباء الالمان كانوا يعكفون على علاجهن فيشفونهن ، فأدرك أنه بهذه الطريقة مهدد بفقد مرضاه ، فلم يعد يرسلهن الى الخارج !

ـ هل هو أخصائى فى الاعصاب ؟

ـ أخصائى أعصاب ؟ ان كل من درس الفارماكوبيا ، وأجاد فن الحديث ، يمكن أن يكون كذلك

وفجأة سمعا صرخة رعب قاتلة ، ثم صوتا يشبه عواء حيوان يتعذب ، فقفزت مارجورى على قدميها وقد سيطر الفزع على جميع قسمات وجهها ، وهمست :

ـ ما هذا

وكانت جين تتحرك صوب النافذة حين تشبثت بها مارجورى قائلة :

ـ لا ، لا تفتحى النافذة ، اطفئى النور أولا

وفى هذا الجو من الفزع وجدت جين نفسها فى حالة هدوء غير عادى ، فعادت الى الفراش وأطفأت النور ، ثم عادت الى النافذة ، فأزاحت الستائر الثقيلة • كانت السماء تمطر فى المساء ، أما الآن فان الجو صاف والنجوم ساطعة ، ولم يكن ثمة صوت الا حفيف أوراق الشجر ، وسمعا من بعيد صفارة قطار • وسألت مارجورى فى رعب:

ـ ماذا رأيت ؟

ـ لا شىء ، ربما كان نعيق بومة

وأسدلت الستائر ، ثم قادت المرأة الى فراشها ، وحين أضاءت الغرفة كانت المرأة ملقاة على وجهها فوق الفراش وقد دفنت وجهها بين الوسائد ، وهى تنتشج نشيجا يهز الفراش كله • وبعد ساعة عادت المرأة الى هدوئها ، وقالت :

ـ اننى حمقاء ••• رباه اننى كنت دائما أعيش على هامش الحوادث، ماذا تظنين مصدر الصوت ياجين ؟ انه لم يكن نعيق بومة ، انه صراخ رجل مجنون لقد صحبنى دونالد الى مصح عقلى مرة ، وسمعت أحد الرجال يطلق صرخة كهذه

• وأحست جين انها ستنهار ، ولكنها تماسكت ، وسمعتا وقع أقدام فتشبثت مارجورى بجين وقالت :

ـ ما هذا ؟

ـ شخص يصعد الدرج ، سأذهب لأرى

ـ لا لا لا ••• اغلقى الباب من فضلك !

ـ واصاختا السمع ، ولكن وقع الاقدام توقف ، وساد القصر صمت رهيب ، وبعد ساعة ذهبت جين الى النافذة وأطلت منها ، فصافحت عيناها أضواء الفجر الاولى • وفى هذا الوقت كانت مارجورى قد استردت جأشها ، فقالت :

ـ اننى آسفة لاقلاق راحتك ، لن أبقى فى هذا القصر ولو أحضروا لى كنوز الارض ، متى تعودين الى لندن ؟

ـ ربما اليوم ، فان بيتر قد حجز جناحا فى فندق ريتز

ـ لدى حديث طويل معك ، ولكن يجب أن ندبر لقاء على انفراد كالمتآمرين • ان دونالد لا يريد أن أعقد صداقة معك، أظن أنه يحسن أن أذهب الآن • هل تصحبينى الى حجرتى ؟

ـ هل أنت خائفة الى هذا الحد ؟

ـ انك لاتدركين مدى خوفى

وعادت جين الى حجرة نومها ، ولكنها لم تكن تنوى النوم ، لقد كانت فى تمام اليقظة ، وكان ذهنها مشغولا بما حدث ، لقد أظهرت مارجورى زوجها فى ضوء آخر ، لقد أزاحت الستار عن رجل مشعوذ، وليس مما يطمئن المرأة أن يكون زوجها فى رعاية مثل هذا الرجل ٠ وهذه الصرخة ، هل كانت صرخة مجنون ؟ هل صدرت من بيتر ؟ وشعرت بالاشمئزاز للفكرة ، ولكنها نفتها بشدة ، ان بيتر فى فراشه الآن ٠ وجلست أمام المدفأة برهة ، ثم نهضت وخرجت الى غرفة الاستقبال الصغيرة التى تفصل حجرتها عن حجرته ، وفتحت باب مخدعه بهدوء ودخلت

وكان أول ما لاحظته أن شباك حجرته مفتوح على مصراعيه ، والستائر غير مسدلة ، وعلى حافة النافذة برزت أطراف سلم ٠ وتحولت عنها الى الفراش ، فرأت رأس وكتفى زوجها ، ولكن منظره جعلها تشهق ٠ كان مستلقيا على الفراش بكامل ملابسه ٠٠٠ملابس العشاء ٠ وسارت على أطراف أصابعها الى الفراش ، وكادت تصرخ من هول المنظر ٠ كان قميصه الناصع البياض غارقا فى الدماء ، ويده المتدلية من الفراش مخضبة بالدم ٠ وكان الدم يغطى وجهه ، وكانت ياقته منزوعة،ورباط عنقه مهدلا ٠ وكان حذاؤه غارقا فى الوحل

وسمرها الرعب فى مكانها ، واستندت الى قوائم الفراش،فوجدت على حافة السجادة ، وتحت الفراش مباشرة ، مطرقة ضخمة ، وبحركة ميكانيكية انحنت والتقطتها ، كانت الآلة الجهنمية غارقة كلها فى الدماء ، وفكرت أن ترميها ، ولكنها وضعتها على المنضدة وصاحت:

ـ بيتر ٠٠٠ بيتر ٠٠!

ولكنه لم يرد ، وهزته بعنف ولكنه لم يستيقظ ، كان الرجل غارقا فى نوم عميق بفعل مخدر قوى. وأرادت أن تصرخ أو تهرب من الغرفة، ولكن شعورا جديدا ألزمها مكانها : ان هذا الرجل هو زوجها ، وعليها واجب يبدو مضحكا فى هذا الظرف بالذات ، ان جريمة ارتكبت ، والصرخة التى سمعتها فى الليل تعنى أشياء لم تستطع تصديقها

وفى هذه اللحظة رات زوجها فى ضوء الحقيقة : رجل لا حول له ،

يعانى الوحدة . انه لا أصدقاء له ، والمرأة التى سبق ان باحت بحبها له ، قد تكون أول من يخونه . كانت كل الايدى تشير اليه بالاتهام : أيدى أصدقائه واعدائه على السواء

وذهبت الى الباب فأغلقته بالمزلاج ، وعادت تحاول أن توقظـه ولكنه لم يفتح عينيه . وفكرت فى الخدم الذين سيستيقظون بعد برهة ويجدونه على هذه الحال ، فوجدت واجبها واضحا ، فأضاءت النور ، وبدأت العمل على الفور . فكت رباط عنقه ، وياقته ، وتأكدت من أن الدماء لاتلوث الا قميصه وسترته . وبعد ربع ساعة كانت قد نزعت ثيابه حتى وسطه ، وحملت حذاءه وسترته وقميصه الى حجرتها . وسخنت بعض الماء على نار المدفأة ، وعادت الى حجرة زوجها وغسلت وجهه ويديه من آثار الدماء . وسمعته يدمدم ، فوضعت أذنها على فمه ، فسمعته يقول :

ـ بازيل ... الخنزير !

واخذت المطرقة الى حجرتها ، وغذت نيران المدفأة ، ثم القت بالمطرقة فى النار ووقفت ترقب احتراق مقبضها الخشبى ، وادركت انه يجب التخلص من ملابسه الملوثة بالدماء. كان عقلها يعمل بنشاط، وشعرت كأنما هى التى ارتكبت الجريمة ، وان عليها ان تخفى معالمها . ولم تتمكن من حرق الملابس . فحزمتها ووضعتها فى قاع حقيبة ملابسها . وعادت الى حجرة زوجها ، وفتحت دولاب ملابسه ، وأخرجت قميصا نظيفا وسترة ألبستهما له

وعادت الى حجرتها لتجد المطرقة قد توهجت فى النار ، فأخرجتها لتبرد ثم تذكرت السلم ، فعادت الى حجرة زوجها ، والقت السلم بعيدا عن النافذة فسقط فى الحديقة ، ثم أسدلت الستائر ، وعادت الى حجرتها لتنتظر

وبعد نصف ساعة حملت الخادم الشاى الى حجرتها ، وحين وجدت أن سيدتها قد استيقظت ، قالت فى دهشة :

ـ انك استيقظت مبكرة ياسيدتى

فابتسمت جين وقالت :

ـ من الاجرام أن ينام المرء فى صبيحة مشرقة كهذه !

وترددت الخادم برهة ، ثم قالت :

ـ معذرة ياسيدتى ، هل سمعت صوتا فى الليل ؟
وشعرت جين بقلبها يهبط الى قدميها ، ولكنها تماسكت،وقالت :
ـ وماذا يمكن لانسان ان يسمع ؟
ـ ضجة عظيمة ، لقد سمعها بارسون أيضا ، انه بعواء الكلب أشبه
ـ انه كلب بالتأكيد !
وكانت قد خرجت من الحمام لتوها حين جاءت الخادم ، فنزلت الى الطابق الارضى ، ثم الى الحديقة ، فلم تجد أحدا هناك ، وحتى البستانى لم يكن موجودا ، فاتجهت الى واجهة القصر ، والتقطت السلم من تحت شباك زوجها ، وحملته الى مكان بعيد فى الحديقة، ولم تكد تستدير حتى سمعت شخصا يناديها بالاسم ، فالتفتت لترى البستانى يعدو نحوها ، وهو يبدو كمن أصابه مس
ـ آه يا سيدتى ، لقد رأيت شيئا
وجمدت جين وقد كاد قلبها يتوقف ، بينما آستطرد الرجل :
ـ رجل ميت ... مقتول ... انه الرجل ذو الشعر الاحمرالذى كان هنا أمس ، انه هناك ، وراء اكمة ... مقتول !
وتماسكت جين . انها الآن تعرف أن بيتر قتل بازيل هيل !



وعادت جين بخطوات مضطربة الى القصر ، وحين وصلت الى البهو الرئيسى رات دونالد ويلز يهبط الدرج ، والقى نظرة الى وجهها جعلته يسرع الى جانبها قائلا :
ـ ماذا حدث ؟
ولم تقو على الكلام ، فأشارت الى فرجة الباب حيث وقف البستانى فانتظر دقيقة على الدرج لينادى زوجته ، فحضرت وسألها :
ـ اعتنى بجين ريثما أعود
ولم تكن لدى البستانى معلومات كثيرة . كان فى طريقه الى حانوت أدواته حينما رأى ساقا آدمية تبرز من وراء اكمة ، فظن فى بداية الامر انه أحد الصعاليك ، ولكنه رأى ...
وقاطعه ويلز قائلا :
ـ انتظر هنا ، فسأعود بعد لحظة
ثم سأل جين :

ـ هل استيقظ بيتر ؟
ـ لا أظن
ـ تعالى معى ، أما انت يامارجورى فيمكنك أن تصعدى الى حجرتك
فقالت مارجورى ببرود :
ـ لن أذهب الى حجرتى ، ماذا حدث ؟
ـ لقد وجد بعضهم مصابا أو مقتولا فى حديقة القصر
ـ رباه ، كان هذا اذن مصدر الصوت
ـ أى صوت ؟ هل سمعته كذلك ؟ ظننتك نائمة ، لقد أيقظنى الصوت ، والآن هيا الى حجرتك
ـ لست أرى سببا يدعونى للذهاب الى حجرتى
ونقر على باب حجرة نوم بيتر ، ثم ناداه ، دون أن يظفر بجواب ، فحاول أن يدير مقبض الباب ، فلم يستجب له ، فسأل جين :
ـ هل للغرفة باب آخر ؟
وتذكرت جين أنها هى التى أغلقت الباب بالمزلاج ، وكانت الكلمات تخرج من بين شفتيها ، ولكنها حبستها فى اللحظة الاخيرة ، وقالت :
ـ نعم ، يمكنك الدخول عن طريق حجرة الاستقبال
ـ لقد أعطيته منوما الليلة الماضية ، لانه كان متوتر الاعصاب ، ولكن المنوم لايمكن أن يجعله ينام هذا النوم العميق ، هل سمعته يتحرك فى المنزل بالليل ؟
فهزت رأسها نفيا ، ثم تبعت الطبيب الى حجرة بيتر ، كان نائما كما تركته ، وكان يتنفس بانتظام . وقال دونالد :
ـ أزيحى الستائر
وانحنى دونالد على الرجل النائم ، وسمعته يطلق صيحة دهشة من بين أسنانه ، وكانت مارجورى تقف بالباب ، فسألت :
ـ ماذا حدث ؟
فقال دونالد بحدة :
ـ لاشىء
ثم تحول الى جين وقال :
ـ ماذا حدث لزوجك ، استيقظ يا بيتر ؟
وارتاحت جين حين تحركت عينا زوجها ، وتمطى

وكان دونالد يفحص كل شبر فى الغرفة ، فقال :

ـ انه مرتد نصف ملابسه ، فأين باقى الملابس ؟

فأشارت جين الى كرسى قريب وقالت :

ـ هناك

وتأوه بيتر ، وجلس على حافة فراشه وقد دفن وجهه بين راحتيه ، وقد نسى وجود من فى الحجرة ، وقال :

ـ ملابس ، ما خطب ملابسى ، ياإله السماء لقد كانت جرعة قوية يا ويلز اننى اشعر اننى رجل ميت

فنادى ويلز زوجته وقال لها :

ـ احضرى حقيبتى الطبية وقدحا من الماء

وفى الانتظار اتجه الى النافذة واطل منها ، ورأت جين وجهه على ضوء الصباح الباكر يمتقع ، وادهشتها حقيقة واحدة ، هى انه لم يحاول ان يذهب مع البستانى المذعور ليرى حقيقة الامر ، وكانت هى التى لفتت نظره الى ذلك حين قالت :

ـ انه بازيل هيل

ـ يا اله السماء ، انك لم تذهبى .. اتقصدين الرجل الميت

فهزت راسها ايجابا ، فاستطرد :

ـ كيف علمت ؟

ـ لقد وصفه البستانى ، اليس هذا فظيعا ؟

فهز راسه ، وحدق فى وجهها،ثم قال دون أن تختلج عضلة واحدة من وجهه :

ـ نعم ، كنت اظن انه هيل ، لقد انتظرت أن يحدث هذا بشكل ما ... لقد كان بيتر يكرهه

فقالت بحده :

ـ ان بيتر لا يكره اى انسان

فنظر اليها ويلز فى دهشة ، واهتزت ارنبة انفه ، فلم يكن ينتظر منها هذا الموقف البطولى ، واخيرا قال :

ـ أوه ، حسنا ، ربما لم يكن يكره اى انسان

وادركت شيئا جديدا ، ان دونالد يتحدث متجاهلا وجود بيتر ، كأنما هو يدرك أن حالة بيتر لن تمكنه من تمييز ما يقال ، ونظر اليهم

بيتر فى خمول وقال :

ــ ماذا ... لماذا كل هذا الهرج ؟ ان رأسى يكاد ينشق

فأخذ دونالد قدح الماء من زوجته ، وصب فيه نصف محتويات زجاجتين ، وقلبه جيدا ، ثم قدمه الى بيتر قائلا :

ــ اشربه هذا مرة واحدة ، ثم استلق فى فراشك

ونظر الى جين ، ثم قال :

ــ يمكننا أن نتركه الآن ، وسأذهب لارى ما حدث

ولم يذكر اسم الجريمة ، ولكنه كان حريصا على الا يترك المراتين معا ، فأمر زوجته ان تعود الى حجرتها ، ولدهشـــة جين أطاعت مارجورى ، ولكنها لم تكد ترى زوجهـــا يختفى ، حتى عادت ، وسألت جين :

ــ من هو ؟ . . ليس بازيل ؟

ــ أخشى انه هو

ــ هذا هو تعليل الصوت الذى سمعناه ، كيف حال بيتر الآن ؟

وفتحت باب حجرته ودخلت ، كان بيتر مستلقيا على فراشـــه مفتوح العينين ، فقال :

ــ أهلا مارجورى ، ان رأسى أحسن الآن ، لماذا هذه الضجة ؟

ورأى وجه زوجته ، فاكفهر وجهه وسأل :

ــ هل كنت مريضا ؟

ولا شك انه رأى شيئا فى عينى زوجته ، لانه نهض من فراشه فى الحال وحاول ان يقف ، وقال :

ــ هل حدث شىء ؟

ــ من الافضل ان تنتظر حتى تعود الى حالتك الطبيعية

ــ اننى فى أحسن حال ، ماذا حدث ؟

ــ لقد قتل شخص فى الحديقة ، شخص تعرفه

فرأت الدم يغيض من وجهه وسأل :

ــ من ؟

فلعقت جين شفتيها الجافتين ، ورأت أن عليها عبء اخباره ، ولكن مارجورى خلصتها من الحرج ، اذ قالت :

ــ أخشى أنه بازيل

فتشبث بمقعد ، وقال :
ـ بازيل ؟ تعنين بازيل هيل ؟ . . . مات ؟ . . . لماذا قتل ؟
ـ اجلس يابيتر
ـ ولكن هذا مستحيل ، بازيل قتل ؟ . . . من الذى قتله ؟
وأدركت جين أنه لم يكن يعرف ، فحدقت فيه بدهشة ممزوجة بالفزع ... انه يجهل ما حدث فى الليل ، وهو صادق الشعور ، ثم قال :
ـ يا للمسكين ، لشد ما أعجب من . . .
ثم رأت الخوف فى عينيه ، كأنما بدا لعينيه شبح والده المجنون ونظر الى يديه فى خوف ، وحينما لم يجد فيهما الشىء الذى توقعه، رأت بريق الراحة فى عينيه
ـ انه نبأ محزن ، سآخذ حماما وارتدى ملابسى اذا سمحتم
كان بادى التأثر ، ولم تره جين على هذه الحال من قبل ، فغادرت الحجرة بصحبة مارجورى ، وحين صعدا الى حجرة نوم جين،اغلقت مارجورى الباب باحكام قبل أن تتكلم :
ـ ان بيتر يظن انه ارتكب الجريمة ، هل رايته وهو ينظر الى يديه ، واننى لاعجب : هل فعل حقا ؟
ونظرت اليها جين فى غيظ ، هذه المرأة التى لم تتورع عن البوح بحبها لزوجها ، لاتتردد فى اتهامه دون دليل ، فقالت لها فى تحد :
ـ ولماذا العجب ؟ انك تعرفينه أكثر منى ، هل تظنين انه يمكن أن يرتكب مثل هذه الجريمة الشنعاء ؟
ـ ان بيتر مجنون ، لقد قلت ذلك بنفسك ، الواقع أن اخلاصك بديع ، انك ستقعين فى شراك حبه اذا لم تأخذى حذرك
وغادرت مارجورى الحجرة ، وتركت جين فى حيرة . ماذا تفعل ؟ ثم تذكرت المفتش بورك ، لا بد أن تتصل به فورا ، وأدركت بغريزتها أنه الصديق الحقيقى لزوجها . يجب أن تتصل به قبل أن يصل الخبر الى آذان البوليس المحلى . وكانت الساعة قد بلغت السابعة والنصف، ورد عليها المفتش قائلا :
ـ نعم يا مسز كليفتون ، اننى بورك ، هل حدث شىء ؟
فروت له الخبر بسرعة ، وحين وصلت الى اسم بازيل هيل سمعته

بصرخ

ـ سأحضر فى الحال ، هل علم زوجك أنك اتصلت بى ؟

ـ كلا

وحين عادت الى حجرتها ، وجدت مارجورى حائرة فقالت :

ـ لقد استدعيت بورك

ولم تجب مارجورى ، كانت مقطبة الوجه ، غارقة فى التفكير ، وأخيرا قالت :

ـ بورك ... بورك مفتش البوليس ، صديق بيتر ؟ ليتنى أعلم ما تعلمينه ، أقصد ما لم تقوليه لى ، اننى أعلم أن بازيل كان يحوم حول هذا المكان منذ جئت الى هنا ، هكذا قال لى دونالد هذا الصباح دون أن يدرى ، ولست أظن أنه كان يعلم انه يحبك ، حتى اذا تزوجت أدرك الحقيقة ، ان بازيل هكذا

ـ ولكننا كنا مجرد أصدقاء ، انه حتى لم يحاول أن يتغزل فى ، وكان لى بمثابة الاخ

ولمحت شبح ابتسامة على وجه مارجورى الشاحب ، وقالت :

ـ وهذا ما أعنيه ، ان الزواج هو الفارق ، عندما أصبحت مسز بيتر كليفتون ...

وتوقفت ، ثم هزت رأسها فى غضب وقالت :

ـ ليتنى أعرف ..!

وتوقفت مرة أخرى ، وسألت جين فى غلظة وهى تنظر اليها بامعان

ـ هل خلعت ملابس بيتر ؟

واستدعت جين كل شجاعتها لتكذب قائلة :

ـ كلا !



ركزت جين ذهنها فى موضوع بعيـــد ، حتى لايتغير لون وجههـــا فتفتضح ، ولا شك أنها نجحت فى محاولتها ، لأن مارجورى لم تجد ما يثير ريبتها ، واستطردت جين :

ـ ولماذا أفعل ؟

ولكن مارجورى كانت تنظر من النافذة ، ورأت دونالد ويلز يعود

سائرا الهوينا في مماشي الحديقة ، وقد وضع يديه في جيوب بنطلونه وهو ينظر الى الارض بامعان · فأدركت أن البستاني لم يكن مخطئا، فجرت الى الدور الارضي تتبعها جين ، فبادرهما دونالد :

نعم ··· انه بازيل ، لقد ضرب المسكين بشيء كالمطرقة حتى الموت

وعادت الى حجرتها ، واستخرجت رأس المطرقة الذى كانت قد خبأته في صندوق الفحم ، وأسرعت تخفيه في قاع حقيبة ملابسها قبل أن تعود مارجورى الى الحجرة فى عجلة

ـ لقد أنبأت دونالد أنك استدعيت بورك ، أنه غاضب لذلك ، وهو يقول أنك ستضرين بيتر ضررا بالغا

وسمعت طرقا على الباب ، ففتحت لتجد زوجها فى روب الحمام ، فقال :

ـ ماذا حدث ؟ لقد أنبأنى بعضهم أن شيئا قد حدث ، ولكني لا أتذكر ما هو

وكان بادى الاضطراب والقلق ، ففتحت الد... الت :

ـ تفضل بالدخول

لقد نسي ما حدث منذ لحظات ، نسيأنها أنبأته بحادثمقتلبازيل، فقالت :

ـ ألا تتذكر ؟ لقد وجد رجل ميت ··· مقتول فى الحديقة

فارتجفت يداه قليلا ، وسأل :

ـ مقتول ؟ من هو ؟

فقالت مارجورى :

ـ بازيل هيل

فأغمض عينيه كأنما واجههما ضوء قوى ، وقال :

ـ بازيل هيل قتل ؟ من قتله ؟ متى حدث هذا ؟

قالت جين برقة :

خلال الليل ، ربما فى الساعة الثالثة ، ولقد استدعيت بورك

فنظر اليها ببلادة ، كأنما لم يفهم مضمون الخبر ، وقال :

ـ هيل قتل ··· رباه !

ـ هل يسوؤك أن استدعيت بورك ؟

ـ كلا ، اننى أشكرك ، كيف علمت أنها حدثت فى الساعة الثالثة ؟

فأخبرته كيف سمعت الصرخة فى جوف الليل ، وللمرة الثانية أغمض عينيه ثم قال فى تحد يدافع عن نفسه :

ـ لقد كنت مستغرقا فى النوم ، لم أسمع شيئا مع أننى خفيف النوم ، هل رآه دونالد ؟

فهزت جين رأسها ايجابا ، فوقف برهة يحدق فى المرآتين ، ثم قال وهو يتجه الى حجرته :

ـ سأرتدى ملابسى وأنزل الى الطابق الارضى

وانتظرت جين حتى سمعت باب حجرة زوجها يغلق ، ثم تحولت لتواجه عينى مارجورى التى قالت :

ـ ان بيتر متأثر ...

فقالت جين فى تحد :

ـ ولم لا ، أليس الموقف يستدعى ذلك

وحين ابتسمت مارجورى ، أحست جين انها تكرهها ، وأسرعت مارجورى تقول :

ـ لا تكونى غبية ... هذا وقع خطوات زوجى ، أنه أخف من وقع أقدام قط ، وأثبت من وقع أقدام نمر !

وفتحت الباب فدخل ويلز ، وكان وجهه مربدا ، وسأل :

ـ هل أنبأ أحد بيتر بالخبر ؟

فقالت جين :

ـ لقد فعلت ...

ـ واستدعيت بورك ، اليس كذلك ؟ آن هذا ليس عملا حكيما ، انه سيكون خبر اليوم فى الصحف

ـ من الصعب أن تمنع الصحف عن نشره ، آنه حادث محزن ، ولكنى لا أرى انه يهمنا !

كانت قاسية ، ولم تكن تشعر بأى أسف لقسوتها ، وسمعت دونالد يقول بحدة :

ـ انه يهمنا جميعا ، كان لا يمكن أن يهمنا الامر ، لولم تحدث مشاجرة الامس ، ولست أظنك تعتقدين أن الخدم سيسكتون ، لقد كانا يتبادلان الكره ، وعلى كل حال لقد اتصلت بروبر تليفونيا

نحن لا نريد بورك فى هذه القضية

فقاطعته جين فى حزم :

ـ ان مستر روبر لا يحب بيتر ، كان يجب أن تستشيرنى قبل أن تتصل به

واضطرب بعض الشيء للهجتها ، فقد كان ينظر اليها حتى الآن كمجرد « كمالة عدد » لا يهمه أمرها · وقال بعد فترة صمت :

ـ أظن أنه كان يجب أن أفعل ، لقد نسيت أنك وبيتر قد تزوجتما · أن روبر فى الحقيقة طيب ، ولست أظن أنه يكن أى عداء لبيتر

كانت جين قد ارتدت ثيابها ووقفت فى مدخل القصر حين حضر روبر ، فحياها قائلا

ـ صباح الخير يا مسز كليفتون ، لقد تلقيت مذكرة الطبيب حين عدت الى مكتبى ، كانت هناك مشاجرة ، هكذا أخبرنى الطبيب تليفونيا أمس ···

وناداه دونالد بصوت ثاقب فى البهو :

ـ أهذا أنت يا روبر ؟ تفضل بالدخول ، أريد أن أتحدث معك على انفراد

وتركا جين فى حيرة ، اذن فقد اتصل به دونالد تليفونيا أمس ، ولكن فيم حدثه ··· وأدركت أن المشاجرة كانت هى محور الحديث التليفونى ، وأدركت كذلك أن المفتش لم يكن يعلم بأمر الجريمة

وبحثت عن مارجورى ، فوجدتها ترتدى ثيابها فى حجرتها ، فأنبأتها بما حدث ، وحين انتهت من روايتها ضحكت مارجورى ضحكة كئيبة ولدهشة جين أسرعت تغادر غرفتها ، واتجهت الى غرفة جين ، وتطلعت من النافذة فى الوقت المناسب لترى زوجها بصحبة المفتش يتجهان الى مكان الجثة فى الحديقة · وقالت جين ببرود وبلهجة آمرة :

ـ ما سبب هذا الغموض من فضلك ؟

ـ ستعلمين السبب فى يوم من الايام

ـ هناك أمور لا تجرى على ما يرام يا مارجورى ، ولست أظنك تعلمين الشيء الكثير · لقد قلت لى أنك تحسنين الاستنتاج ، وأظنك على صواب ، فهل أنت مستعدة أن تجعلينى موضع ثقتك ، وتدلين الى بما تعرفين ؟ اننى أسير فى الظلام ، وأنت تعرفين أن الامر يخص

بيتر ، فهل تعتقدين أن بيتر قتل الرجل ؟

ونظرت اليها مارجورى فاغرة الفم ، وأدركت جين أنها امرأة ذات أهواء . ان دونالد زوجها ، وهدفها الخاص هو حمايته ، وهى على استعداد للتضحية ببيتر اذا اقتضى الامر ، وقالت جين :

ـ أعتقد أنك مستعدة لمساعدتى الى حد ما ، وأعتقد أننا وصلنا الى هذا الحد ، فماذا تعلمين ؟

ـ لا شىء !

وكان الرد قاطعا ، فشعرت جين بعزلة قاتلة ، وأدركت أن شخصا واحدا يمكن أن يعاونها ، هذا الشخص هو بيتر . وبعد لحظات قليلة كانت تطرق بابه . ووجدته يقف الى جانب النافذة وقد ارتدى قميصه وبنطلونه ، وهو يحدق فى اتجاه الاكمة حيث اختفى الرجلان ... كان هو أيضا يرقب . وانتفض حينما سمعها تقول :

ـ بيتر ، ألا تريدنى أن أساعدك ؟

فقال فى يأس من فضح حقيقة حاله :

ـ ومن يمكن أن يساعد ؟... هل تعنين الصداع ؟

ـ أعنى بازيل هيل ، وكل ما قاله ، وأعنى ... تلك الغرفة السرية حيث المطابع و ...

وامتقع وجهه ، ولكنه لم يتحول عن النافذة وهو يقول :

ـ أنت تعلمين اذن ، كيف عرفت هذا ؟ انه أمر فظيع بالنسبة لك

ـ نزلت الى الطابق الارضى منذ ليلتين ، ورأيتك فى الغرفة ، والمطبعة تعمل !

ولم يعلق على حديثها ، وكان من الواضح أن أمرا آخر يشغل باله ، وأخيرا قال دون أن يلتفت اليها :

ـ لقد نزع أحدهم ملابسى أثناء الليل أو هذا الصباح ، وهذه ليست البذلة التى كنت أرتديها

ـ لقد نزعت ملابسك هذا الصباح

ـ لماذا ؟ هل كانت ... هل كان هناك شىء ؟

وتحول لينظر اليها بوجه جامد ينتظر الجواب، فقالت جين بهدوء :

ـ كانت ملوثة بالدماء !

فتنفس بعمق وقال :

ـ هذا ما توقعته ، هل كانت يداى ملوثتين ؟ ؟
ـ لقد غسلتهما ... انظر الى يابيتر
فأطاع ، ثم قال ببساطة :
ـ لا بد اننى قتلته ، اننى لا أتذكر شيئا ، الا أننى متعب جداً ، هل تعلمين كيف خرجت من النافذة ؟ هل كان هناك سلم أو شيء من هذا القبيل ؟
ـ كان هناك سلم !
فهز بيتر رأسه وقد تبدد اضطرابه ، وقال :
ـ كنت مضطربا أمس ، لقد فقدت الثقة فى نفسى فى الايام الاخيرة ، وكنت أخشى أن تحدث لى نوبة من تلك النوبات التى يتحدثون عنها ، ولكنى مستعد أن أقسم أنه لايوجد فى العالم من هو أعقل منى ، ولكن دونالد حذرنى وكذلك سير ويليام كليورز
ـ هل هذا أخصائى ؟
ـ انه الرجل الذى أعطانى الشهادة بخلوى من المرض ، إننى ارتكبت عملا جنونيا واحدا ، وهو أننى تزوجتك ياجين ... اذن فقد غسلت يدى ووجهى ، انه عمل نبيل
ـ ماذا تريدنى أن أفعل ؟
ـ اننى حقيقة فى حاجة الى المساعدة ، أظن أننى يجب أن أخبر بورك بكل شيء
ـ انك لن تقول شيئا ، الا عن المشاجرة ، ان عليك أن تفكر فى التخلص من دونالد فى أسرع وقت ، وبعد تحريات البوليس سنعود الى لندن
ـ كما تشائين ، ولكن ألا أحدثه عن الدم أو أى شيء ؟ اننى سأفعل ما ترين أنه الافضل ، ولكن اذا اتهم شخص برىء فلن أسكت
وكانا وحدهما حين وصل بورك ، وقال دون مقدمات :
ـ متى حدث هذا ؟ لاشك أنه حدث فى حوالى الواحدة .
ـ وكيف عرفت ذلك ؟
ـ لأنه فى هذا الوقت اتصل هيل بسكوتلانديارد ، وأنبأ الضابط النوبتجى أن قصر لونجفورد هو وكر ملك المزيفين ، وأننا سنجد الوكر فى غرفة سرية فى قاعة الطعام !

الفصل التاسع

الاتهام

وبدا لجين من فرط خوفها أن صوت المفتش يأتي من مكان سحيق. لم تكن تحتمل صدمة أخرى ، وأدركت أنها كانت تصحبهم الى قاعة الطعام حيث الغرفة السرية ، وكان بيتر يتحدث ، ولم يكن خائفا أو مضطربا . كان يقول :

ــ هذا صحيح ، ان هذه غرفة سرية ، وقد عثرت عليها مصادفة

واتجه الى الجدار ، ولمس الصورة ، فسمعت طقة، وخرج البرواز الى الخارج كأنما دفعه لولب ، وخلف وراءه فراغا مظلما في وســـطه اسطوانة حديدية ، أدارها بيتر ثم جذبها نحوه ، فانفتح باب يؤدي الى غرفة مظلمة ، ومد بيتر يده فأضاء النور ، ثم دخل يتبعه بورك

وتقدمت جين ببطء الى باب الغرفة السرية ، فاذا هي غرفة طويلة منخفضة السقف ، وفيها شاهدت الكراسي التي سبق أن رأتها ، ولكنها لم تجد اثرا للمطبعة أو الاوراق المالية .. لم تجد اثرا لاجهزة التزييف التي سبق ان رأتها منذ ليلتين .

وفحص بورك الغرفة جيدا ، ثم قال :

ــ يبدو أن شيئا كان مثبتا الى المنضدة الرئيسية ، وهذه الاسلاك كانت متصلة بما كان على المنضدة . لن يدهشني ان يكون هذا المكان وكرا للتزييف

فقال بيتر :

ــ ظننته يستخدم كحجرة تصوير !

كان بيتر يتحدث في هدوء أدهشها ، اما بورك فكان يفحص سطح المنضدة واخيرا قال وهو يغادر الغرفة :

ــ هذا تأثير أحماض • هذا الامر يمكن أن ينتظر على كل حال ..

أهلا روبر ، من استدعاك ؟

فقالت جين :

ـ دكتور ويلز

ـ هل فعل ؟ ان هذا نشاط محمود من جانبه ، كيف حالك يا روبر ؟

ـ لقد استدعانى الطبيب لأرى الرجل ...

فقاطعته جين فى حدة :

ـ لقد قلت لى انه استدعاك بسبب المشاجرة التى حدثت بين زوجى وبين مستر هيل ولست أظنك كنت تعرف أن جريمة حدثت حين حضرت ، أليس كذلك ؟

فقال الضابط فى حيرة :

ـ هذا ليس من الامور التى يصح مناقشتها معك يا سيدتى

فقال بورك فى هدوء :

ـ ناقشه معى : هل كنت تعرف أن جريمة وقعت حين قدمت ؟

فتردد الضابط ، ثم قال :

ـ كلا يا سيدى

ـ حسنا ، دعنى أرى ما الخبر

وما كاد رجلا البوليس يغادران المكان ، حتى قال دونالد ويلز :

ـ ما الذى دفعك الى احراج روبر يا جين ؟

ـ كنت أحاول أن أوقفه عن الكذب

كان ويلز يعض شفتيه، وكان عقله يبحث عن تعليل لموقفها الجديد، وكان بيتر قد أصر على مرافقة رجلى البوليس . وخرجت جين لتقابل الرجال الثلاثة فى الحديقة . كان بيتر ممتقع الوجه يبدو مريضا ، أما بورك فكان جامد الوجه ، والوحيد الذى كان يظهر المرح هو روبر . وسمعت بيتر يتحدث الى المفتش ، ويذكر اسم رآدلو ، وحين رآها قال :

ـ هل تسمحين يا جين بالذهاب الى المدينة وانتظارى هناك ؟ سأبرق لوالدك لينتظرك ، أظن أنه من الافضل أن تذهبى الى كارلتون هاوس تيراس

ـ هل كان بازيل ؟

نعم ، وبورك سيصحبك فى سيارته مع مارجورى . دعى « آنا » تساعدك فى حزم حاجياتك ، اننى أكره أن تبقى هنا دقيقة واحدة ، ان دونالد سيبقى معى

فقالت فى توسل :

ـ ألا يمكن أن أبقى أنا أيضا ؟

فهز رأسه وقال :

ـ كلا ... أرجو أن تذهبى فى الحال

وعادت الى القصر وأنبأت مارجورى بحديث العودة ، فقالت :

ـ اننى أفضل أن أبقى الى جانب دونالد ، الا اذا كنت تصرين على أن أصحبك وأرجو أن تنسى الخزعبلات التى حدثتك عنهـا بخصوص دونالد ، لقد كنت غاضبة،وأخشى أن أكون قد تناولته بما لا يرضيه

وذهبت جين لتحزم حقائبها ، وسمعت بيتر يقول :

ـ هل أنت مستعدة ؟ ان بورك سيعود الى المدينة فورا

فوضعت بعض الحاجيات فى الحقيبة التى تحمـل أدلة الجريمة فى أسفلها ، وقالت :

ـ ادخل ...

فدخل بيتر الغرفة ، ثم نظر الى الحقيبة الكبيرة فى استياء وقال :

ـ اتركيها لى ، انها كبيرة

ـ كلا ... يجب أن آخذها معى

وكان بورك يتعجل العودة ، فحملوا الحقيبة الى البهو ، وكانت صحف الصباح قد ظهرت ، وكان بورك يتصفح احداها حين نزلت جين ، فقال :

ـ هل أنت مستعدة ؟... يا اله السماء ! ...

كان قد رأى بطرف عينيه شيئا وسط الصحيفة ... عنـــوانا ضخما يقول :

« جريمة هيرتفورد الغامضة »

« الموت فى حديقة شهر العسل! »

« وجد بازيل هيل ، تاجر العاديات المعروف ، مقتولا فى حدائق قصر لونجفورد فى الساعات الاولى من صباح اليـــوم . وفى قصر لونجفورد يقضى مستر بيتر كليفتون وعروسه شهر العسل .وكان

كل من الزوجين صديقا للقتيل · ولا شك أن مسترهيل كان ضحية غدر غادر · ان بوليس هيرتفورد يحقق الحادث »

وقذف بورك بالصحيفة الى بيتر وهو يقول :

ــ اقرأ هذا ···

وأسرع بورك الى قاعة المكتبة ، وسمعته جين يتحدث فى التليفون، ونظرت من فوق كتفى زوجهـا لتقرأ الخبر بقلب واجف . وأدركت المغزى الخفى للخبر · ووضع بيتر الصحيفة وهو يقول :

ــ انني آسف لما حدث ، ولكنى لم أكن أريد أن يذكر اسمك فى الصحف

وعاد المفتش بعد لحظات ليقول :

ــ هذه هى طبعة لندن ، وهى تدخل المطبعة فى الساعة الرابعة ، لقد ارتكبت الجريمة فى الثالثة ، ولم تكتشف الا فى السابعة · ان بعضهم قد قام بعمل صحفى ··· وبعضهم هـــذا هو الذى ارتكب الجريمة

ونظر الى جين ، ثم الى السيارة المنتظرة ، ثم قال :

ــ ان عمال الخدمة الليلية التليفونية قد ذهبوا ، وسيستغرق الاتصال بهم عدة ساعات ، وهذا أيضا ينطبق على مهمة تحرى مصدر الخبر فى الجريدة والآن يا مسز كليفتون ···

ولكن الرحيل تأخر قليلا ، فما كادا يصلان الى البـــاب ، حتى توقفت سيارة أجرة ، وخرجت منها مدام انترسوهن وهى ترتدى نصف ملابس الخروج ، وكان وجهها مخيفا ، وكانت تصيح :

ــ أين هو ؟

ورأت بيتر ، فأشارت اليه وهى تصرخ :

ــ أيها القاتل ··· أنت الذى قتلته !

واندفعت اليه فى عنف ، ولكن بورك تلقاها ، فناضلت بوحشية وهى تقول :

ــ دعنى ، سأقتله ··· بيتر كليفتون ، بيتر ولرسون ، هل تعلم ماذا فعلت ؟ لقد قتلت ابنى ··· قتلت أخاك !

وتقهقرت جين كأنما تلقت صفعة قاسية على وجهها !

« بازيل هيل هو الأخ غير الشقيق لبيتر ! »

ظلت جين تردد ما قالته المرأة المعتوهة ، حتى بعـــد أن اندفعت سيارة البوليس تنهب الطريق بقيادة بورك ، لقد كانت المرأة حطاما يرتدى نصف ملابسه ، وقد تركتها في حجرة نومها تبكى بكاء مرا ، وترتعد على الرغم من المخدر الذى أعطاها اياه دونالد ... انها والدة بازيل هيل !

وسألت بورك فى ذلك ، فقال من بين أسنانه :

ـ لا تعيرى الامر كبير اهتمام

وصافح وجهها نسيم الصباح فأنعشها ، ولم تكد تغادر أراضى قصر لونجفورد حتى استعادت رباطة جأشها ، وشعرت بالراحة فى صحبة رجل البوليس وسألته :

ـ هل تقول لى يا مستر بورك ، ما هى الخصائص اللازمة لرجل البوليس ؟

ـ أظن أبرز المميزات هى الشك ، والايمان بميل الانســـان الى الاجرام ، ولكن لماذا تسألين ؟

ـ ان بيتر في حاجة الى المساعدة ، وأنت لا يمكن أن تقدمهـــا بصفتك الرسمية ، اننى أجهل كل شىء عن اسكوتلانديارد ، ولكننى أعلم أنهم يقتلون الناس لمجرد الشبهة

فنظر اليها نظرة فهم من تحت حواجبه الكثة ، فاستطردت :

ـ ربما ظننتنى حمقاء ، ولكنى أريد أن أصل الى حقيقة هـــذه الاحداث الفظيعة ، وحينئذ يمكننى أن أقول الحقيقة للبوليس ، دون أن أسبب المتاعب لبرىء ، أقصـــد بريئا يهمنى أمره ... أما الآن فأنا فى رعب ...

ـ هل تعرفين شيئا ... عن يقين ؟

ـ كلا ، اننى أستنتج فقط ، اننى لا أفهم سر بعض الحـــوادث الغريبة ، اننى أود أن أنبئك بشىء ، ولكننى قد لا أغفر لنفسى هذا ان حدث

ـ ان بيتر لم يكن محور تحرياتى قط ، أعنى انه ليس الشخص الذى يهم البوليس أمره . لقد أتعبنى فى الماضى بما يقلقه ويخيفه ، حتى اذا عرفته جيدا أحببته . ولست أدرى أى طريق ستأخذين فى

تحرياتك ، فالرجل الذى كان يعلم كل شىء عن بيتر هو بازيل هيل!

ـ بازيل ؟ ما الذى جعلك تعتقد هذا ؟

ـ لقد قضى أكثر من سنة وهو يتجسس فى الفورد ، وهو المكان الذى يقع فيه منزل والد بيتر ، وأمضى وقتا طويلا آخر فى سوثبورت حيث يقيم محامى العائلة رادلو

رادلو ؟ ... لقد تذكرت الآن الاسم الذى كان ينطقه بيتر ، واستطرد مفتش البوليس :

ـ لقد حاول أن يتصل به ، ولكن رادلو رفض أن يتكلم ، ولست أدرى ماذا كان ينتظر من المحامى ، لان بيتر لم يكن يخفى شيئا ، هل تعرفين الآن من الذى اقتحم عليك غرفة نومك ؟

ـ أظنني أعرف ، ولو أنني لا أفهم لماذا ذهب الى لونجفورد

ـ كان يحب ، أو هكذا كان يظن ، كان من ذلك النوع من الرجال ... وطبيعى هو مجنون

مجنون ! ... انها الآن تفهم لماذا ، فبازيل هيل هو ابن الكسندر ولرسون ، انه أخ غير شقيق لبيتر ... والمرض فى دمه أيضا !

ـ آسف ، لا شك أن الحقائق صدمتك ، نعم كان هيل مجنونا ، وأمه ترى أنها مظلومة ، فقد تزوجها ولرسون على طريقته المجنونة على الرغم من أنه كان متزوجا من أخرى . ان رادلو العجوز يمكن أن يحل اللغز ، ولكنه لا يتكلم

وكانا قد وصلا الى شوارع لندن . وأخيرا وقفت السيارة أمام منزل بيتر ، وتقدم رئيس الخدم يحييها وهو يقول :

ـ هناك سيد ينتظرك فى حجرة الجلوس

ـ نعم ... انه أبى

فأومأ رئيس الخدم موافقا ، ولكنها حينما دخلت الصالون المطل على جرين بارك ، وجدت مفاجأة فى انتظارها ، فلم يكن الرجل المنتظر هو جون ليث بل عجوز لم تره قبل الآن

ـ مسز كليفتون ؟

ـ نعم ...

ـ اسمى رادلو ، محام ، لقد تلقيت برقية بيتر ، وبالمصادفة اطلعت على الصحف ، انه أمر فظيع ، أن هيل هو الملوم ...

كان يتكلم بسرعة ، ويقفز بعـــض الكلمات ، كأنما هو يوفر فى التعبير ، واستطرد :

ــ ان بازيل هيل مجنون ، كنت دائما أقول هذا ، قلتــه لأمه ، الحمقاء العجوز

ــ أنت اذن تعرف مدام انترسوهن ؟

ــ أعرفها ؟ انها زائر ملح لمكتبى ، انها امرأة سوقية ، طاهية ، ان هذه الضجة في الصحف ستسىء الى بيتر ، ولا بد لى من اتخاذ اجراء فى الحال ، سأصدر بيانا ... آه لو درس الحمقى الوصية !

وسأل عن موعد عودة بيتر ، ثم استطرد :

ــ ليس من الحكمة أن يبقى هنـــاك ، قولى له أن يتصـــل بى تليفونيا

وانتهى من حديثه المتقطع بسرعة ، والتقط قبعته ، وصافحها فى قوة شاب ، وخرج قبل أن تفوه بكلمة ، وبمجرد أن أغلق البـــاب خلفه ، جاء رئيس الخدم يعلن :

ــ مستر جون ليث

وخفت جين لاستقبال والدها ، وبدا لها أن دهرا مضى على مقابلتها الاخيرة له ، وبدا لها وجهه شاحبا قلقا وهو يقول :

ــ انه أمر فظيع ياابنتى المسكينة

وكانت اليد التى تطوق خصرها ترتعد ، فانتقل اهتمامها الى تأثير الاخبار فيــه ، ولم تكن قـد قررت أن تروى له كل شىء فسر بيتر يخصه وحده ، ولكن بيتر كان قد حدثه بعرضه تليفونيا ، فقال :

ــ ليس هناك ما يمنعنى من الاعتقاد بأن بيتر هو أعقل رجل فى العالم

ثم أبعدها عنه ، واستطرد :

ــ دعينى أنظر اليك ، لقد كانت تجربة قاسية لك ، لعنة الله على المال

ــ تعنى انه لم يكن ينبغى ان أتزوج بيتر ، واننى تزوجته لماله ؟

ــ لقد زوجتك اياه لماله ، وكنت أعتقد أن فى هـــذا الخلاص من الاخطار والمصاعب فأنا لست رجلا ثريا ، وكنت أخشى المستقبل ، حتى اذا ظهر بيتر اقتنصته اقتناصا • من مع بيتر الآن ؟ بورك ؟

ـ لقد جئت الى هنا فى صحبة بورك ، ان دونالد ومارجورى معه
ـ مارجورى ويلز ؟ كيف ذهبت الى هناك ؟

فأخبرته ، وأدركت أنه شعر بالراحة ، وسأل :

ـ هل كان مستر رادلو هو الذى خرج الآن ؟ اننى أعرفه ، فهو محامى بيتر ، ماذا كان يريد ؟

فأنبأته بحديث المحامى العجوز ، فأصغى فى اهتمام ، وسألها سؤالا او اثنين ، ثم قال أخيرا :

ـ كنت أحب أن تأتى معى ، ولكن هذا قد لا يبدو معقولا بالنسبة لبيتر ، هل تحبينه ؟

ـ اننى أميل اليه كثيراً ، وأعتقد اننى سأحبه

ولاحظت أنه فزع ، فسألته :

ـ ألا تريدنى أن أحبه ؟

ـ كان من الافضل الا تفعلى بعد كل ماحدث ، اذا صح ما قيل

وكان الغداء برفقة والدها نوعا من الروتين ، على الرغم من حبها الشديد لوالدها ، وسرها أنه خرج بعد الغداء مباشرة ، لتعود الى خواطرها ٠ ان مقابلة المحامى قد حطمت أحد معتقداتها ، فقد كانت تظن أن التزوير هو مصدر ثراء زوجها ، وأن الوالد الثرى الذى أورثه ثروة ليس الا مجرد اسطورة ، ولكنها الآن موقنة من أن المحامى العجوز لم يكن كاذبا ٠ لماذا اذن سار بيتر فى هذا الطريق الاجرامى ؟ هل هذا من مظاهر الجنون فى العائلة ؟

وكانت تريد أن تقول لوالدها شيئا ، تذكرته بعد أن غادر المنزل ، هذا الشىء هو اكتشاف اللوحات ، فقد كانت تدرك مدى قلق والدها لهذا الاهمال من جانبه ، وقررت أن تنبئه بالخبر فى أول مقابلة تالية

وبعد الغداء اتصلت بقصر لونجفورد تليفونيا ، فعلمت أن بورك قد عاد الى هناك ، وان ويلز قد غادر المكان الى لندن فى صحبة زوجته ، وكان الذى يرد عليها صوت غريب خمنت انه أحد رجال البوليس ، الذى قال :

ـ سيعود مستر كليفتون الى لندن هذا المساء فى صحبة المفتش

وحين سألت عن مدام انترسوهن قيل لها انها ذهبت ، ولم يقل لها كيف . وكان أمامها ساعتان قبل قدوم بيتر ، فأرسلت فى طلب

صحف المساء وهي تردد لنفسها « آه لو درس الحمقى الوصية » وعجبت : ماذا كان المحامي يقصد ؟ وماذا في الوصية يمكن أن يضيء لها الطريق ، وقررت أن تحصل على صورة من الوصية فى أقرب فرصة

ووصلت صحف المساء قبل مندوبها بعدة دقائق ، فوجدت فيها عمودا عنوانه : « جريمة لونجفورد » وما كادت تبدأ فى القراءة حتى أعلن قدوم مندوب الصحيفة . وكانت جين قد قابلت صحفيين من قبل ، فلم تر مانعا من أن تراه . وقال الصحفى :

ـ يؤسفنى أن أزعجك يا مسز كليفتون ، الواقع أنه يهمنا أن ندرس وقت حدوث الجريمة ، وأظنك سمعت صراخ مستر هيل

ـ كيف عرفت ؟

ـ انه منشور فى صحف المساء ، انها تقول انك استيقظت فى جوف الليل على صوت صراخ ، وأنك حاولت أن توقظى زوجك ، وأنك حين دخلت حجرته لم يكن هناك ...

ـ من قال هذا ؟

ـ هذا سر المهنة ، ولكنه منشور فى الصحيفة

وقدم اليها الصحيفة ، فقرأت الخبر ، وأدركت على الفور أن مارجورى أو ويلز هما مصدر الخبر ، فقالت بهدوء :

ـ هذه قصة ملفقة ، حقيقة اننى ذهبت الى حجرة نوم زوجى ، ولكنه كان قد تناول مخدرا فى أول الليل ، فلم أتمكن من ايقاظه ، أما باقى القصة فمحض خيال

واسترعت نظرها فقرة أخرى فى الجريدة ، فقرأت :

« ان سير ويليام كليورز ، اخصائى علم النفس المشهور ، الذى زار مستر كليفتون هذا الصباح ، قال ان الجريمة من فعل رجل مجنون »

وبوجه جامد ناولت الصحيفة للرجل ... اذن فقد ذهب سير ويليام كليورز الى هناك ، من الذى استدعاه ؟ انها لم تعد الآن فى حيرة ، لقد بدأت الغيوم تنقشع عن الحقائق أمامها !

الفصل العاشر

أدلة الاتهام

واستطرد الصحفي يقول :

ـ هناك قصة تقول ان مشاجرة وقعت بين زوجك ومستر هيل الليلة السابقة للجريمة ، فهل هذا صحيح ؟

فأومأت برأسها ، وقد سيطرت تماما على مشاعرها ، وأدركت أن الكذبة ينبغي أن تقابل بكذبة مماثلة ، وأخيرا قالت :

ـ لقد هاجمه هيل ، وكان قد اقتحم علينا المنزل في الليلة السابقة ، فلما قابله زوجي يتلصص في الحديقة طرده ، فحاول هيل أن يعتدى عليه ، ولم يفعل زوجي أكثر من مجرد الدفاع عن النفس

ـ هناك نقطة أخرى تحتاج الى الايضاح ، فالمفهوم أن الجريمة وقعت حوالى الثالثة بعد منتصف الليل ، وتقول وكالة الانباء التي أذاعت الخبر ، أنها تلقته في الرابعة الا عشر دقائق ، مع أن الجريمة لم تكتشف الا في السابعة ، فهل تعلمين من الذى أدلى للوكالة بالخبر ؟

ـ اذا كنت تعرف ، فأسرع بأخبارك الى المفتش بورك ، فالذى أدلى بالخبر لوكالة الانباء ، هو الذى ارتكب الجريمة

وبعد أن بارح الصحفي المنزل ، ذهبت الى حجرة نومها وأغلقت عليها الباب ، ثم بدأت تفرغ محتويات حقيبتها ، وأخرجت الملابس الملوثة بالدماء ، وشعرت بالراحة حين اكتشفت أن الملابس الملوثة لم تترك أثرا في الحقيبة . وحزمت الملابس جيداً وقد عزمت على التخلص منها في الحال ... ولكن كيف ؟

وأخذت الحزمة الى قاعة الجلوس ، ودقت الجرس ، وسألت رئيس الخدم عن نظام التدفئة في المنزل ، فقال :

ـ انه نظام التدفئة المركزى ، والفرن الرئيسى فى البدروم ، ويشرف عليه رجل خاص ، فهل تريد سيدتى التخلص من شىء ؟
ـ كلا ! ...

وكانت هناك بركة ماء فى حديقة جرين بارك التى يشرف عليها المنزل ، ولكنها كانت تعلم أن البركة تجفف فى أوقات متباعدة ... هل تلقى بالملابس فى النهر ؟ فكرة رائعة ، ولكن منظر سيدة أنيقة تلقى ربطة كبيرة فى نهر التيمز ، ليس من المناظر المألوفة ، اذن تقوم بالعمل ليلا ، ولكن ...

ـ مستر بورك يريد أن يراك

كن هذا صوت رئيس الخدم ، فجفلت ، ثم قالت :

ـ مستر بورك ؟ آه نعم ، سأراه فى الصالون

وأسرعت تخفى الربطة فى دولاب فىحجرة نومها ، قبل أن تقابل المفتش الذى قال بعد أن صافحها :

ـ كلا ... ان بيتر لم يحضر معى ، أراد أن يمضى الليل هناك ، وأظن أنه من الحكمة أن يفعل ذلك ، لانهم سيحققون معه فى الصباح ، ولكن لا تقلقى عليه ، لن يحدث له شىء ، فقد تركت ثلاثة من أمهر رجالى هناك ، وليس مستر روبر بينهم

وقبل أن تعلق على حديثه استطرد :

ـ هل قرأت صحف المساء ، انها قاسية أليس كذلك ؟! ان هناك رجلا يريد أن يهيل أدلة الاتهام على رأس بيتر أو يموتدونالمحاولة!

ـ من هو ؟

ـ ربما كانت امرأة ، انها أغرب قضية مرت بى ، هاهو بازيل هيل يقتل ، ولا يحاول القاتل أن يفر بجلده ، بل يبذل جهده ليحول الاتهام الى بيتر ، وعلى فكرة ، لقد علمت من الذى أرسل الخبر الى وكالة الانباء ، لقد أرسل الخبر تليفونيا فى الرابعة الا ١٢ دقيقة

ـ من أين ؟

ـ من قصر لونجفورد ، أليس هذا غريبا ؟ كان عامل تليفون لونجفورد نصف نائم حين طلبت منه المكالمة ، فسأل عن اسم المتكلم

ـ من هو ؟

ـ من تظنين ؟ انه بيتر الذى أرسل الخبر ، انعامل التليفونيقول

انه يعرف صوته !

وسادت فترة صمت ، وأخيرا تكلم بورك .

ـ مسألة غريبة ...

ثم ، وفجأة قال :

ـ هناك نقطتان أريد عنهما ايضاحا يامسز كليفتون : النقطة الاولى هى : أين توجد الملابس التى كان بيتر يرتديها ليلة الجريمة . والنقطة الثانية هى : مطرقة فحم كانت موجودة فى حجرة المكتبة . لقد انبأنى خادم بيتر انه كان لدى بيتر بذلتان وان سترة احداهما مفقودة ، وهو متأكد أيضا من فقد القميص

وصمت برهة ، ثم استطرد دون أن ينظر اليها :

ـ حين وجد بيتر كان يرتدى قميصا وبنطلونا ، ومعنى هذا أن بعضهم قد خلع ثيابه وهذا البعض أيضا قد غسل وجهه ويديه ، ولكنني لست متأكدا من الحقيقة الاخيرة ، ولكن أريد أن أتأكد ...

وفجأة التفت اليها ، وحدق فى وجهها الشاحب وسأل :

ـ أين توجد هذه الاشياء الآن ؟

وهمت أن تجيب ، غير أنه أسكتها باشارة من يده ، واستطرد :

ـ دعينى اكمل حديثى ، وتذكرى يا مسز كليفتون اننى أحتل منصبا كبيرا فى اسكوتلانديارد وانه من المفروض أن أكون فى الخدمة ٢٤ ساعة كل يوم ، ومع ذلك فان لى ساعات الراحة التى أتحول فيها الى مجرد مواطن ، وحين أكون مواطنا عاديا ، أنسى تماما أننى مفتش بوليس ، والا أصبت بالجنون ...

ونظر بورك الى ساعته ثم استطرد :

ـ اننى مواطن عادى منذ ثلاث دقائق ، وربما بقيت مواطنا عاديا حتى السابعة من مساء اليوم ، وفى هذه الفترة تأكدى اننى صديق حميم لبيتر

فهزت رأسها دلالة على الفهم ، واستمر المفتش يقول :

ـ والآن بخصوص هذه الملابس ، وربما مطرقة الفحم ...

وبحث فى جيوبه ، واستأذن فى التدخين ، فمدت يدها اليه بعود ثقاب ، وكانت يدها الممدودة ترتعد ، ويبدو أنه لم يلاحظ ذلك ، اذ قال :

ـ شكرا ... بخصوص تلك الاشياء ، يقلقني جدا ـ بصفتي مواطن عادي صديق لبيتر أن تقع هذه الاشياء في يد أعداء بيتر ، أو تختفي في مكان قد يصل اليه أعداؤه ، ولكن ...

وأرسل حلقة من الدخان الى السقف ، وبقي برهة يرقب باهتمام ، ثم استطرد :

ـ ولكن اذا تأكدت أن هذه الاشياء في حوزة شخص يهتم بأمر بيتر ، ويريد أن يساعده ، فانني لن أقلق أبدا !

ـ اذن لا حاجة بك الى القلق

فنظر اليها برهة ، ثم قال

ـ حسنا ، انني مرتاح الآن ، ولنعد الى موضوع المواطن العادي . فأقول انني قد أزورك في السابعة مساء اليوم بصفة أخرى ، وأسألك جميع أنواع الاسئلة المحرجة ... هل يمكن أن أحصل على قدح من الشاي ؟

فدقت الجرس ، وعلمت أن بورك يحتاج الى بعض الوقت لدراسة الموقف ، وطلبت الشاي ، وحين فرغ الخادم من تقديمه وخرج استأنف بورك حديثه :

ـ انني رجل أعطف على الفقراء ، وأحب أن أقدم لهم الملابس القديمة ، ولنفرض أن لديك سترة قديمة ، وقميصا ، فانني سأجد من يحتاج اليهما . واذا كان لديك أدوات قديمة : مثاقب ، مبارد ، فان لدى الكثير من المجرمين التائبين الذين يحتاجون الى مثل هذه الادوات ليمارسوا أعمالا يرتزقون منها . انني أطلب الكثير ، وأنا أفهم سر ترددك حتى لا تقع هذه الاشياء في أيد غير أمينة . ولكن لنفرض أن لديك مثل هذه الاشياء ، وتريدين التخلص منها ، ان القانون لا يبيح القاء مثل هذه الاشياء في النهر ، وروبر رجل يحب القانون ، فاذا وجدك تغادرين المنزل حاملة لفافة ، ربما اقتفى أثرك ، فاذا كان لديك ما تريدين التخلص منه ...

ونظر اليها ، فقالت على الفور :

ـ في هذه الحالة أعطيه لك أنت ...

ـ يسرني أن أسمع ذلك ، فان روبر حين يأتي باذن تفتيش ، سيحمل جميع الملابس القديمة التي قد يعثر عليها ، ليقدمها الى

أصدقائه !

ـ يبدو أنك لا تحب روبر ..

ـ اننا فى اسكوتلانديارد مجموعة من الاخوة ، وانا رئيس روبر ... هل تعرفين كيف يقومون بالتفتيش ؟

فهزت رأسها بالنفى ، فاستطرد :

ـ هل ترين أن تشاهدى كيف يفعلون ؟

ـ هل تعنى أنهم سيفتشون المنزل ؟

ـ نعم ، الليلة ... حوالى السادسة على ما أظن ، وأحب الآن أن أريك كيف يقومون بالتفتيش ، ولكن بشكل غير رسمى

فنهضت فى الحال ، وقالت

ـ بأى غرفة تحب أن تبدأ ؟

ـ غرفة بيتر ، هل له غرفة مكتب ؟

ـ ألم تزر المنزل من قبل ؟

ـ عدة مرات ... ولكنى الآن أتصرف كما يمكن أن يفعل أى شخص لا يعرف المنزل ... روبر مثلا

وكانت حجرة المكتب حجرة واسعة فى الطابق الثانى . ووقف بورك فى فرجة الباب ، وهو يفحص كل شبر فيها بنظره ، ثم قال:

ـ انهم لن يعبثوا بالمكتب ، اليس كذلك ؟ وأظنه مغلقا بالمفتاح

وكان المكتب على الطراز القديم ، وحاول بورك أن يفتح أدراجه ، فاذا هى كلها مفتوحة ، ولا تحتوى شيئا ذا بال ، وسأل بورك :

ـ هناك خزانة فى مكان ما ...

ووجد الخزانة فى الجدار ، ولدهشتها أعمل أصابعه فى حروفها وفتحها !

ـ نعم ، اننى أعرف الحروف ، انه أحد الاسرار التى أشاطر بيتر فيها ، انه كان دائما يخشى ...

وتوقف عن الكلام بغتة ، وقطب ، ثم نظر خلال النافذة ، وهو يفكر بصوت مسموع :

ـ اننى لم أفكر أبدا فى هذا !

ـ فيماذا ؟ ما الذى يخشاه بيتر ؟

ولكنه لم يجبها ، وانما عاد يفحص الخزانة ، كانت تحوى عدة

مظاريف مختومة ، فأخرجها الواحد بعد الآخر ، وفحصها ثم أعادها الى مكانها ، وأخيرا قال بصوت حاد :

ــ ها هى ٠٠٠

وأخرج أجندة سميكة حمراء ، تحمل تاريخ السنة الجارية ، وفحصها ، ثم ابتسم للفتاة وقال :

ــ اننى أبدو غامضا ، ولكنى ــ كموسى روبر ــ قد عثرت على الشىء الذى كنت أبحث عنه

ــ ما هذا ؟٠٠٠ أجندة ؟

وجذب كرسيا الى المكتب ، وجلسا جنبا الى جنب يفحصان الاجندة ، حتى وصلا الى أول صفحة مكتوبة بخط بيتر المتميز ٠ وكان فى الصفحة سطر واحد :

« ٢٤٠ ن ٠ ١ ٠ ف ١٠٠ أرسلت بالبريد الى بالتيمور »

وسألت جين

ــ مامعنى هذا ؟

ــ معناه ٢٤٠ ورقة نقد أمريكية من فئة المائة دولار ، أرسلت الى أحد العملاء فى بالتيمور

ودارت رأسها ، وخيل اليها أنه سيغمى عليها ، وأسرعت ذراع بورك تسندها ، فقالت بصوت غريب :

ــ أن الامر صحيح اذن ؟

ــ لا تنسى الآن أننى روبر ، سأعود بورك بعد لحظات !

وقلب الصفحات ، وتوقف ثانية ، وأرادت ألا تنظر ، ولكن دافعا كالسحر جذب أنظارها الى الصفحة وسمرها فيها ، فقرأت :

« ٣٠٠ ن ٠ ١ ٠ ف ١٠٠ أرسلت الى س ٠ ح شيكاغو »

واستمر يقلب الصفحات ، ليقف عند ٣ مايو ، فقرأت :

« ٧٠٠ ألف ب ٠ س ٠ م على دفعتين ! »

وقال بورك موضحا :

ــ ب ٠ س ٠ م معناها بنك سويسرا المركزى ، ولم تكتب الجهة ، الواقع أن عددا كبيرا من أوراق النقد الزائف ظهرت فى السوق فى أواخر مايو

ــ انه شىء فظيع ٠٠٠ فظيع ، لا أريد الاستمرار فى القراءة ، هل

الامر حقيقى يا مستر بورك ؟
– روبر من فضلك ! لا تسألى روبر ان كان الامر صحيحا لأنه سيقول نعم ، انه لا يعلم الحقيقة
ونهض قائلا :
– يحسن أن نضع هذه مع الملابس القديمة ، اننى أعرف فقراء يتوقون الى اقتناء الاجندات .. حتى ولو كانت مستعملة !
واعتراها رغب قاتل أن يكون الرجل قد خدعها ، ولاحظ هو ذلك ، فقال :
– يجب ان تثقى بى يا مسز كليفتون ...
وعاد الى الخزانة فأغلقها ، وقاس المسافة بينها وبين الشباك ، ثم فتح النافذة ، وقاس المسافة بينها وبين الخزانة ، ثم خرج على الافريز الموازى لها الى الشرفة المجاورة ، ثم عاد وهو يقول دون أن يوضح :
– عمل داخلى ، لا شك فى هذا !
وأجرى فحصا سريعا شاملا لباقى محتويات الغرفة ، واخيرا بدا عليه الارتياح ، وقال :
– لن أفتش غرفا أخرى ، سأعود الى حجرة الجلوس ، واذا كان لديك ملابس قديمة تقدمينها ، فاننى أكون شاكرا !
وبعد دقائق عادت الى حجرة الجلوس وهى تحمل الربطة ، وقالت وهى تبتسم :
– ها هى الملابس القديمة يامستر بورك .. أم لعلك لا تزال مستر روبر ؟
– بورك الآن ، أما روبر ...
وفتح الباب قبل أن يعلن رئيس الخدم اسم الزائر ، ورات جين وجه روبر يبرز من ورائه ، ودخل دون استئذان ، وصرف رئيس الخدم بايماءة من يده ، وقال :
– يؤسفنى يا مسز كليفتون اننى حضرت اليوم لمأمورية لا تسر ..
ثم تنبه الى وجود المفتش ، فقال فى خشونة :
– لقد سبقتنى قليلا يا سيدى ..
– لقد حضرت توا ياروبر ، استمر فى عملك

فابتلع روبر ريقه ، ثم بحث فى جيوبه ، وآخرج قصاصة وهــو يقول :

ـ لدى امر بتفتيش هذا المنزل

ـ انه واجبه يامسز كليفتون ..

والتقط قبعته ، ووضع الربطة تحت ابطه ، وقال للمفتش وهو يبتسم :

ـ هذا غسيل العائلة يامستر روبر !

واومأ لجين مودعا ، وغادر الغرفة ، وترك ضــابط البــوليس الحائر ، الذى يريد أن يبحث كل ركن من المنزل بحثــا عن مــلابس ملوثة بالدماء .. ومفكرة ! وكان اول مكان قصده هو المكتبة ، ومن هناك قصد الخزانة ، وسأل :

ـ هل تعرفين سر هذه الخزانة ؟

ـ كلا ...

وكانت صادقة ، وان كان من الواضح انه لا يصــدقها . وكان سؤاله مجرد شكليات ، فقد اخرج قصــاصة من جيبــه ، ودرس محتوياتها بامعان ، ثم فتح الخزانة بعد دقائق ! واستخرج المظاريف وفتحها واحدا بعد الآخر ، ولكنها لم تكن تحوى شيئا خاصا ، عقد ايجار أو عقدين ، مجموعة من الخطابات تتعلق بزيارة بيتر لجنوب أفريقيا ، ووثيقة قانونية رأت جين من فوق كتفى المفتش انها نسخة من الوصية ، فتذكرت كلمات رادلو :

« آه لو درس الحمقى الوصية ! »

وصممت على الحصول على سر الخزانة ، لتقرأ الوصية بامعان ..

ولم يسفر بحث روبر عن شيء ، فأغلق الخزانة بعنف ، وسأل جين :

ـ هل فتحت الحقائب التى احضرتها من لونجفورد ؟

فقادته جين الى الحقيبة ، وفحص محتوياتها جيدا .. ثم ارتكب خطأ حين قال :

ـ ما الذى كان يحمله المفتش بورك ؟

ـ هذا سؤال يحسن أن توجهه الى المفتش نفسه

ـ الواقع أننى كنت أمزح يا مسز كليفتون

وأدركت أنه تراجع ، وأدركت كذلك ان بورك هو الرجل الوحيد الذى يخشاه ، فقد استطرد :

ــ أرجو الا تذكرى هذا لمستر بورك ، فقد لا يفهم قصدى

ورحل فى الحال . . وقبل العشاء اتصل بها بيتر تليفونيا ، وأدركت من حديثه أنه متوتر الاعصاب ، قال :

ــ آسف لاننى لم أتصل بك من قبل ، الواقع اننى منهمك فى مشغوليات لا تسر . اذا شعرت بالملل اتصلى بوالدك تليفونيا ليقضى الليلة معك

وكانت هذه الفكرة قد مرت بخاطرها ، ولكنها رفضتها ، واستطرد بيتر :

ــ سأعود غدا ، هل رأيت بورك . . وروبر ؟

فروت له كيف زارها روبر ، ورأت من الحكمة الا تروى تفاصيل زيارة بورك ، فقال :

ــ اننى فى ورطة ، والظاهر اننى الشخص الذى روى خبر الجريمة لوكالة الانباء ، ولو اننى أعجب لماذا يمكن إن أفعل هذا ، لاننى لم أكن أعلم بوجود وكالة الانباء ولا عنوانها أو رقم تليفونها . .

ــ ماذا ؟ هل انت متأكد من أنك لا تعرف رقم تليفونهم ؟

ــ طبعا متأكد ، فلم تطرأ اية ظروف تستدعي اتصالى بالصحف ، ولكن لماذا ؟

ــ لانه لايوجد دليل تليفون فى قصر لونجفورد . ففى أول يوم زرت القصر أردت أن أجد رقم تليفون ، ولكن « آنا » قالت لى أنهم رموا الدليل ظنا منهم أنه قديم ، وان الدليل الجديد لم يصل بعد

ولم تر من الحكمة أن تروى له تفاصيل زيارة رادلو ، خصوصا وأنه لم يشر اليها ، ولكنها قالت بصوت منخفض :

ــ بيتر ، اننى أريد أن أراك فى شأن ضرورى غدا ، بخصوص الاجندة . .

ــ ماذا ؟

ــ اجندتك . . .

ــ ولكنى لا أحتفظ بأجندة !

فقالت فى سرور بالغ :

ــ كنت أعلم ذلك ؟ !

الفصل الحادى عشر

لغز اللوحات

ولم تكد تترك التليفون ، حتى دق مرة ثانيــة ، وظنت أن ذلك رجع الصدى من الطرف الآخر ، ولكن الدق استمر ، فعادت الى التليفون ، وصافح سمعها صوت عميق قاس يقول :

ــ بيتر كليفتون ؟ هل انت بيتر كليفتون ؟ . . . أيها القاتل !

كان صوت مدام انترسوهن التى استطردت :

ــ اننى أعرفك يابلومبرج . . . اننى أعرف . . .

وسمعت عدة أصوات مختلطة فى الطــــرف الآخر ، وخمنت ان بعضهم يجر المرأة المعتوهة بعيدا عن التليفون ، وأخيرا سمعت صوتا هادئا يقول :

ــ هل ضايقتك يا سيدتى ؟ . . . اننى الممرضة

وشعرت جين بجفاف فى حلقها ، وسألت :

ــ أين هى ؟

ــ انها فى منزلها بسانت جونز ودد ، هل أنت مسز كليفتون ؟ لقد كانت تحاول أن تغادر فراشها لتتصل بك تليفونيا طوال الصــــباح ، ولكنها لم تنجح الا الآن لاننى كنت خارج الغرفة . . .

وكانت الممرضة رقيقة ، وحاولت مرارا أن تعتذر ، ولم تسمع جين الكثير من كلماتها ، فقد كان ذهنها فى واد آخر . . ان بلومبرج هو وكيل قصر لانجفورد ، وهو الرجل الذى أجر المنزل لبيتر ، فما هو دوره فى هذه المسرحية ؟ هنا يبدأ الخيط !

وكان المساء من أطول الامسيات وأكثرها مللا ، فاتخذت الصبر هواية ، وحاولت أن تعزف على البيانو ، وفى التاسعة ارتدت ثيابها ، وطلبت من والكر أن يستدعى لها سيارة أجرة . وحين وصلت الى

شارع افينيو بدا لها غريبا ، وحتى المنزل الذى قضت فيه طفولتها وزهرة شبابها بدا لها غريبا . واتجهت جين الى مؤخرة المنزل حيث يوجد الاستديو . ولكنها وجدت الاستوديو مظلما خاويا ، فعبرته الى الحجرة الضيقة التى يتخذها جون ليث مكتبا ، وحاولت ان تفتح الباب فوجدته مغلقا ، وسمعت صوت والدها يقول :

ــ من هناك ؟

ــ اننى جين يا أبى . . .

وسمعت آهة دهشة ، وصوت كرسى ينزاح الى الخلف ، وبعد برهة فتح الباب . كان يعمل في لوحة ، وجدتها نصف مرسومة حين دخلت ، وسألها :

ــ ما الخبر يا حبيبتى ؟

ــ اننى اشعر بالملل

ــ آه . . . هل عاد بيتر ؟

ــ انه سيحضر غدا

ــ انه لامر فظيع ، اننى لم آسف على هيل ، لقد كان حيوانا . لقد اضطررت الى توبيخه بشدة فى الليلة السابقة لعرسك ، هل تذكرين؟

ــ هل تعلم انهم يتهمون بيتر ؟

فأومأ برأسه ، ثم اضطجع فى كرسيه ، وزفر زفرة حارة ، وقال :

ــ نعم ، لقد قرأت الصحف ، وشكرا لله أنك لاتحبينه !

ــ ولكنى أحبه !

فاعتدل فى جلسته بسرعة ، وحملق فيها ، وقال وهو يحاول ان يخفى قلقه وجزعه :

ــ لا شك أنك لا تعنين ماتقولين ، كنت أعلم أنك تميلين اليه،وكنت آمل على مرور الوقت أن . . . تحبيه

كان مثالا للتردد والحيرة وعدم الارتياح ، وأدركت انه لم يكن يأمل فى شىء مما قاله على الاطلاق . ولم تعرف فى الجالس أمامها والدها القديم الحبيب ، وبدا كأنما هو استبدل شخصيته الحبيبة بشخصية غير معروفة لها على الاطلاق . . . وقال وهو يتلعثم :

ــ لقد قلت أنك تحتاجين الى بعض الوقت لتعرفيه و . . .

ــ لقد مضى من الوقت ما يكفى لاعرفه على حقيقته ، وانا احبه ،

وان كنت لا أدرى لماذا ، ولست ادرى أيضا ان كنت سعيدة بهذا أم لا

فنظر اليها وقد قطب وجهه ، ثم قال :

ـ حسنا من الطبيعى ان يرجو الانسان . آه لو لم يحدث الشىء الفظيع :

وفى هذه اللحظة تذكرت الشىء الذى جاءت من أجله ، فقالت :

ـ هل تعلم أن بيتر قد عثر على اللوحات ؟

فانتفض جون ليث كمن لدغته أفعى ، وشحب وجهه ، وسقط فكه من فرط الدهشة ، وقال :

ـ لوحات ؟.. آه !

ثم سيطر على نفسه بسرعة ، واستطرد :

ـ حسنا ... هل قال لك أين وجدها ؟

ولم تجب ، كانت فى دهشة بالغة ، لماذا يكون لمثل هذا الخبر التافه وقع الصاعقة على جون ليث ؟ ولماذا هرب الدم من وجهه ؟ لماذا اضطرب وارتعدت يداه وجحظت عيناه ؟ لقد رجدت جين ثقتها فى والدها تتبدد فى لحظة ، ولم تصدق عينيها

وعاد جون ليث يقول :

ـ يسعدنى أنه وجدها ، انها لم تكن لوحات عظيمة ، ولكنها تتنبأ لبيتر بمستقبل عظيم فى عالم الحفر ولو كنت مكان بيتر لحملت لها نفس الاعزاز

وبدا لها أنه يريدها ان تنصرف ، ولم يبد رغبة صادقة فى تبادل الحديث ، وان عاد الى موضوع عواطفها تجاه زوجها :

ـ لو كنت مكانك لما أصررت على زيادة الاقتراب عاطفيا من بيتر لقد ناقشت الامر مع ويلز ، فقال لى أنه استحضر اخصائيا لفحص بيتر ، وكانت النتيجة مقلقة . يجب أن تهيئى نفسك لأسوأ الظروف

ـ وبعبارة أخرى انت تظن أن بيتر مجنون

ـ لست أدرى ، ان ويلز رجل ماهر ، وهو فى صف بيتر ...

ـ أحقا ؟

فنظر اليها بغتة ، وقال :

ـ لماذا تقولين هذا يا حبيبتى ؟

ـ اننى فقط أعجب ...

ـ انها حقيقة لاشك فيها ، ان ويلز طبيب كبير ...
ـ ومتى كان طبيبا كبيرا ؟!
وعاد ينظر اليها في دهشة...انها أمسية مفاجآت بالنسبة له..
ـ اى أسئلة حمقاء هذه ، ظننتك تميلين الى دونالد ...
ـ كنت أسأل : متى كان طبيبا كبيرا ، ومتى بارح نون هيد ؟
وفغر جون ليث فاه دهشة ، وقال :
ـ من أنبأك بهذا ؟ لاشك أنك سمعت بتلك القصة البغيضة ، اننى أعلم كل شىء عنها، لقد كان دونالدبريئا ، انالتهمة ناشئة عنالحسد، لقد توفيت العجوز وفاة طبيعية ، ولم يسفر البحث عن وجود أى اثر للسم ، وعلى كل فان دونالد لم يجن اية فائدة من وفاة السيدة ، انه مجرد تشنيع حاسدين
ونهض عن كرسيه ، ثم استطرد :
والآن يحسن أن تعودى الى المنزل ، فقد يتصل بك بيتر !
لم يكن جون ليث خلال المقابلة على سجيته أبدا ، كان متململا ضجرا لا يستقر فى مكان واحد عدة ثوان.ولم تره أبدا على هذهالحال من توتر الاعصاب . وأدهشتها حاله ، وان سرتها المعلومات القليلة التى رواها عن دونالد
وتركت والدها عند باب مكتبه ، وعبرت الاستوديو الى الحديقة ، وهناك قابلتها الخادم لتشيعها الى الباب ، وكانت تثرثر :
ـ لقد انقلب المنزل رأسا على عقب بعد أن غادرته ، وفى الطـــابق العلوى عمارة لاعداده لك من جديد ...
ـ لى انا ؟... ماذا تعنين ؟
فجزعت الخادم ، وقالت بسرعة :
ـ آه ، أرجو الا تخبرى مستر ليث بما قلته لك ، فهو يعد الطابق العلوى من أجلك سرا ... فى حالة ما اذا أحببت العودة !
وعادت جين الى منزلها وفى رأسها دوامة عنيفة : لقد كان جون ليث ينتظر عودتها منذ اليوم الاول للزفاف!كان يعلم أنه زوجوحيدته لرجل ... مجنون !
ونامت تلك الليلة نوما عميقا لم تكن تحلم به . واستيقظت فى التاسعة لتتناول الشاى من يد خادم جميلة . وكان بريدها خطابين

وكارت بريد . وكانت الرسالة الاولى من بيتر ، أما الثانية فكانت رسالة طويلة من والدها ، كان يقول :

«وبما ظننت انني لم أكن طبيعيا ليلة أمس ، ولكن الواقع انني كنت مستاء جدا لما سمعته من ويلز عن بيتر ، ولم أكن فى حالة تمكنني من مناقشة مستقبلك معه . أخشى أن موقف بيتر سيء . ان ويلز يقول أن الضابط المحقق سيأمر بالقبض عليه ، وكان يمكن أن يفعل هذا فورا ، لولا نفوذ شخصية كبيرة من رؤسائه ...»

وابتسمت جين حين تذكرت علاقة روبر ببورك ، وعادت تقرأ :

« .. لقد زارني ويلز بعد أن غادرتني أمس ، ان زوجته تعاني من انهيار الاعصاب ، وقد اضطر لارسالها الى الخارج لتغيير الهواء . وقد سرني أن أصبحت أنت وزوجته اصدقاء . انها امرأة ثرثارة تحب الخوض فى سير الناس بالباطل . ان دونالد يقول انها هي التي أخبرتك بمسألة نون هيد . انني وويلز متفقان على انه يجب عليك ان تتصلي بأحد المحامين ، وأفضل سير جون ليف » ...

سير جون ليف ، أشهر محامي فى لندن !.. وكانت بقية الرسالة تصف حالته النفسية أمس ، وأسفه لانه وافق على زواجها من بيتر ، ثم ...

« ان دونالد يعتقد أن بيتر هو «ملك المزيفين» ... المزور الذى يتحدثون عنه هذه الايام . وهو يقول أن الجنون قد يدفع الى مثل هذا العمل ، وأشار الى مهارة بيتر غير العادية فى الحفر ، وحدثني عن اكتشاف البوليس لغرفة سرية فى قصر لونجفورد ، وانه ليس لدى المفتش روبر أى شك فى أن الحجرة كانت تستعمل اما لحفر أو لطبع الاوراق المزيفة ، ولا شك انك تعلمين أن بيتر كان دائم التردد على القصر منذ سنوات ، وهناك احتمال كبير بأنه هو مالك المكان» ..

قرأت جين الرسالة مرتين قبل أن تلقي بها الى المدفأة ، ثم نظرت الى كارت البريد ، كان من مارجوري ، وكانت تقول :

«هل تتناولين الغداء معي يوم الثلاثاء فى فندق كارلتون فى الساعة الواحدة ؟ ... م»

ولم يكن فى الرسالة ما يوحي بانهيار الاعصاب ، أو بسفرها الى الخارج . وهزت جين رأسها فى يأس . هناك شيء واحد على الاقل

يمكن حسمه . ودقت الجرس ، وطلبت سيارة ، وبعد أن اطلعت على دليل التليفون ، أسرعت الى شارع نولبى . ولم تجد صعوبة فى الوصول الى هيجسون هاوس ، وبحثت بين اللافتات حتى عثرت على لوحة تحمل اسم «بلومبرج ... ممول» وتحتها بخط جديد : «الاستعلامات فى الدور الثالث » ، فصعدت السلالم الضيقة حتى وصلت لاهثة الى باب زجاجى يحمل لوحة تقول : «استعلامات»

وحين دخلت الغرفة وجدت بابا آخر مكتوب عليه «بلومبرج خاص» فطرقت الباب ، وسمعت صوتا ثاقبا يطلب منها الدخول ، فوجدت نفسها فى مكتب صغير غير مرتب ، وكانت فتاتان تكتبان على الآلة الكاتبة ، أما الثالثة فكانت تدمدم شفتيها ، فقالت لها :

ــ أريد أن أرى مستر بلومبرج ...

ــ هل انت على موعد معه ؟

ــ أرجو ان تقولى له ان مسز كليفتون تريد أن تراه

وغابت الفتاة وراء أحد الابواب ، وعادت بعد دقيقتين لتفتح لها الباب على مصراعيه ، فدخلت جين

كانت الغرفة أضيق من السابقة ، والى مكتب صغير قذر جلس رجل ضئيل غير مهندم ، يرتدى ياقة قذرة ، ولاحظت جين أن يديه أيضا قذرتان . وقال الرجل :

ــ تفضلى بالجلوس ياسيدتى

ولاحظت جين ان تقاطيع الرجل متنافرة ، وان راسه الصغير مغطى بشعر اشيب ، وانه لم يحلق ذقنه منذ أيام ، واستطرد الرجل :

ــ اية خدمة يمكن أن اؤديها لك ياسيدتى ؟

ــ هل انت وكيل قصر لونجفورد ؟

فأومأ برأسه عدة مرات ، ثم قال :

ــ لقد خمنت من تكونين منذ اللحظة التى سمعت فيها اسمك ، أنت السيدة التى تقطن القصر الذى وقعت فيه الجريمة ، أى حادث محزن ياسيدتى ...

ــ أريد أن اعرف من يملك القصر ؟

ــ اننا مجرد وكلاء وهناك وكلاء آخرون ، والرجل المسن الذى يملك قصر لونجفورد يعيش فى فينيسيا بايطاليا ، اننا لانراه أبدا ،

بل نرسل المال الى وكيله فى باريس ...

ـ انك تذهب أحيانا الى هناك ، أليس كذلك ؟

فنظر اليها بخبث من تحت اهدابه ، وقال :

ـ نعم ، اننى أذهب أحيانا ، انها عطلتى الوحيدة ، وهى لاتكلفنى شيئا

ـ هل تعرف مدام انترسوهن ؟

فهز رأسه ، وقال :

ـ ان الاسم يبدو غريبا ، لم أسمع به من قبل،سأسال سكرتيرتى

ومد يده الى الجرس ، وقبل أن يدقه قالت :

ـ هل أنت متأكد انك لاتعرفها ؟

ـ لم ارها فى حياتى ، ان نساء كثيرات يحضرن الى هنا لاقتراض المال ، ولكنى لا أذكر اسمها

وظل يثرثر عن نشاط « مؤسسته » ، وجهودها ، فقاطعته :

ـ هل انت مستر بلومبرج ؟

ـ نعم .. ..

ـ هل أجرت القصر لزوجى ؟

ـ نعم بالتأكيد ، انه زبون قديم ، يستأجره فترات متفرقة منذ ست سنوات ...

وادركت أنها لن تعرف جديدا من الرجل ، ولم تعرف لماذا أنكر معرفته بمدام انترسوهن ، مع أن المراة المعتوهة كانت قد جعلت جين تعتقد أنه يحمل مفتاح السر . وأدركت فى مرارة انها لاتملك صفات مخبر البوليس فلو كانت تملك مهارة بورك لامكنها استخراج بعض الحقائق من الرجل الجالس أمامها ، وقررت أن تطلب من مستر بورك ـ حين تراه ـ أن يستغل مهارته مع الرجل . ومن ثم لم تجد بدا من مغادرة المكان

وما كادت تفتح باب سيارتها حتى سمعت صوتا مألوفا يحييها ، واذا به بورك ، وقد ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهه ، وسأل :

ـ لم تكونى تقترضين أموالا ، اليس كذلك ؟ أن بلومبرج لا يقرض الاموال بسهولة

ـ أوه ... انت تعرف أين كنت ؟

ـ نعم رايتك تدخلين ، وكنت فى الطابق الاسفل حين خرجت ، واظنك كنت تحاولين أن تعرفى من هم أصحاب قصر لونجفورد ... اننى أرى فيك علامات مخبر نشيط . ان أول تحرياتى كانت عن أصحاب القصر : انه رجل يدعى برانس، ويعيش فى مونتكاتينى دائما وهذا يعنى أنه رجل شاذ ، وبلومبرج ـ وكيله ـ رجل معتوه !

ـ من هو بلومبرج ؟

ـ مجرم تائب ، لقد صدرت ضده ثلاثة أحكام فى الماضى ، ولكنه استقر فى عمل اجرامى قانونى ، أى الاقراض بالربا ، ولا شك انه بدأ برأس مال مسروق . ولست أعلم كل شىء عن برانس ، ولكنى أرجح أن قصر لونجفورد مرهون لدى بلومبرج نفسه ... أرجو عفوك ، هل أرافقك فى العودة ؟ بشرط ان تتركينى فى ميدان الطرف الاغر

وحين جلس الى جانبها ، سألته :

ـ لماذا ترجو عفوى ؟

ـ هل تذكرين تلك الملابس القديمة التى أعطيتنيها لاقدمها للفقراء؟ انك لاتعلمين ماحدث لها، فقد كنت أحملها الى منزلى فى الليلة الماضية، ووسط كوبرى وستمنستر وقفت لاشعل سيجارة ، وبغباوة وضعت اللفافة على حافة السياج ، فماذا تظنين حدث لها ؟

وخفق قلبها ، فى حين استطرد هو :

ـ لقد سقطت فى الماء ، لاشك أنك لايمكن أن تعتقدى أن مثل هذا الاهمال يمكن أن يصدر من رجل مجرب مثلى . لقد كانت لفافة ثقيلة لانها هبطت راسا الى القاع . هل يمكن ان اقدم اليك نصيحة ؟

فقالت فى ابتهاج ، وقد استعادت روحها المعنوية :

ـ يسرنى أن تفعل ...

ـ حين تتبرعين بملابس قديمة ، خصوصا ملابس الرجال، تذكرى ان كبار الخياطين يطرزون اسم الزبون وعنوانه عليها ، فمن الافضل نزع هذه الاسماء من الملابس قبل التبرع بها ، والا عرف الفقــراء عنوانك ، وعادوا لطلب المزيد من الملابس !

وكانت جين تصغى فى ذعر ، لقد كان اهمالها اجراميا ، واستغرقت فى خواطرها بحيث نسيت أن تشكره ، ولكنه لم يعطها الفرصة ، فقد

غير الموضوع بسرعة ، وتحدث عن بلومبرج طويلا ، وفجأة عاد الى حديث الجريمة ، فقال :

ــ اننى أريد أن أتبادل الحديث مع مسز شين ويلز ، فقد قالت أنها سمعت الصرخة ...

ــ مسز ويلز سافرت الى الخارج

ــ ماذا ؟!..

لقد نطق كلمة «ماذا» فى صوت معدنى حاد !

وعاد المفتش يسأل :

ــ هل أنت متأكدة يامسز كليفتون ؟ أين سمعت بهذا الخبر ؟

فروت له ما جاء بالخطاب الذى وصلها من والدها ، وأصغى بورك وأصابعه تعبث بوجهه الكبير ، ثم قال :

ــ لم تكن آثار الانهيار تبدو عليها أمس ، والواقع اننى لم ار امرأة فى مثل حالتها يمكن ان تصاب بالنوراستانيا ، هل تعلمين اين ذهبت ؟

ــ يمكننى أن أعرف ، اذا رافقتنى الى البيت

ولدهشتها وافق ، وحين عادت الى البيت اتصلت بويلز ، فقال :

ــ نعم ، لقد سافرت الى الخارج هذا الصباح ، أردت أن ابعدها عن مسرح هذه الاحداث الفظيعة ، لقد سافرت الى المانيا وستبقى هناك عدة اشهر . كانت تريد أن تتصل بك تليفونيا ، ولكنى رأيت ألا تزعجك ، كيف حالك الآن ، سأعود لزيارة بيتراليوم ، وسأحضر التحقيق . اين بورك ؟ لقد كنت انتظر ان يزورنى هذا الصباح

وكان التليفون من النوع العالى الصوت ، فسمع بورك الحديث ، ورأت شفتيه تقولان « لونجفورد » ، فردت على دونالد قائلة :

ــ انه فى قصر لونجفورد

ــ لست أفهم لماذا يتخذ بيتر صديقا مثل هذا الرجل ، انه رجل سكير ...

ورأت من طرف عينيها المفتش يبتسم لهذه الملاحظة ، فأدركت انه سمعها . وعاد دونالد يقول :

ــ يجب ان تأخذى حذرك منه ياجين ، فمثل هؤلاء الناس يدعون صداقة الغير ، ليكتسبوا ثقتهم ، فقد تقولين شيئا يضر بيتر

ــ سآخذ حذرى ...

وقنع ويلز بهذا الوعد ، فأنهى المحادثة ، وقال بورك فى تهكم :

ــ انه يميل الى .. !

فوجدت الفرصة سانحة ، واغتنمتها :

ــ ماهى مسألة نون هيد يامستر بورك ؟

ــ نون هيد ؟ آه تعنين حكاية ويلز ؟ لقد حدثت منذ سنوات ؛ كانت هناك ثرية عجوز تعيش فى بركلى ، وكانت احدى مريضات ويلز ، وقالت له ــ وربما لشخص آخر ــ انها ستترك له ثروتها . وكانت من نوع العوانس الدائمى الشجار مع أقاربهن ... ثم ماتت فجأة ، فلم تعتمد النيابة شهادة ويلز وأمرت بالتحقيق . وكان هناك اعتقاد بأنها ماتت بالسم ، ولكن المحققين اختلفوا ، والوصمة هنا ان ويلز اخصائى فى خلط السموم ، وهو بلا شك يعلم عن خصائص السموم النباتية أكثر من اى طبيب آخر . ولكن القضية كلها انهارت حين وجد انها لم تترك له شيئا . وبعد ذلك بستة اشهر اضاف « شين » الى اسمه ، بعد أن انتقل الى شارع هارلى ، ولست أدرى كيف حدث هذا ، مع انه كان مدينا لعدة اشخاص ...

ونظر الى ساعته ، ثم استطرد :

ــ ارجو الا تكون قد حدثت جريمة قتل فى غيابى ، فقد تركت بعض رجالى الاشداء ، الا اذا كانوا قد قتلوا روبر ، فهو غير محبوب اسكوتلانديارد ، هل بقى هنا طويلا أمس ؟

ــ كلا ...

ــ لقد فتش بالطبع ، وفحص كل شىء ، هل عرف سر الخزانة ؟

فهزت رأسها ايجابا ، فقال وهو يبتسم :

ــ كنت أعلم انه سيعرف ، ان السر ليس عويصا ، ولا شك انك تعرفينه ، انه « جانيت » ، وهو اسم والدة بيتر

ولم يكد بورك يغلق الباب وراءه ، حتى اسرعت جين الى غرفة المكتبة ، وفتحت الخزانة ، وبعد بحث بسيط عثرت على الوصية . وسألت نفسها : أى سر تخفيه هذه الوثيقة ؟ وجلست لاهثة الى مكتب بيتر ، ونشرت الوصية ، وكانت تبدو نسخة من الاصل ؛ فقرأتها بامعان ، وبعد الديباجة قرأت :

« اننى اهب ضيعتى لبيتر كليفتون ولرسون ، المولود فى الم هاوس

فى قرية شادويك ، فى الرابع من مايو سنة ١٩٠٢ ؛ بشرط ان يعيش حياته مثالا للاخلاص والتواضع والرحمة المأثورة عن والدته ، وأن يعكس حياة النشاط ونكران الذات المأثورة عن والده ... »

وابتسمت جين لما ظنته أنانية ، وعادت تقرأ الوصية من جديد ، ولكنها لم تجد فيها مايضيء امامها الطريق

وقضت بعد الظهر فى المكتبة ، فوجدت بين الكتب آثار اوجه نشاط المرحوم مستر ولرسون المتعدد ، فقد وجدت اسمه على أحد الكتب ، وحين قرات عنوانه وجدته : « تاريخ العملة الورقية » ! وكانت محتويات الكتاب بحثا مستفيضا معززا بالصور ، ووجدت فى الكتاب فصلا عن التزوير ، مع صور تبين كيفية التزوير . ووجدت كتبا اخرى لولرسون ، فقد كانت هوامش الكتاب تشير اليها ، وحين اغلقت الكتاب وجدت على الصفحة الاولى ، وبخط يد المتوفى عبارة : « الى زوجتى العزيزة جانيت ولرسون » ... وبين قوسين :

« تم طبع هذا الكتاب فى العام الذى ولد فيه ابننا الحبيب بيتر »

واعادت الكتاب الى مكانه وهى تطلق زفرة عميقة ، وكانت تنتظر اخبارا من رادلو العجوز ، ولكن البريد لم يحمل اليها اى انباء ، واتصل بها بيتر تليفونيا ليقول ان التحقيق قد تأجل اسبوعا ، وانه سيعود الليلة

واحضر اليها رئيس الخدم برقية بلا توقيع ، وحين فحصت الظرف وجدت انها ارسلت من امستردام فى الساعة الواحدة ، وكانت تقول :

« لاتقولى لاحد اننى أبرقت لك ، اكتبى لى بعنوان « كونتيننتال برلين » لتروى لى تفاصيل ماحدث اثناء غيبتى . يجب ان تثقى بدونالد ، فأنت لاتعرفين اية خدمات يقدمها لبيتر »

وكان من الواضح ان البرقية من مارجورى ، ولكن لماذا لم توقعها ، وما هو سر اختفائها العجيب ؟ وكانت قد تعلمت الاختزال ، فدونت به صورة من البرقية فى مفكرة صغيرة ، وألقت بالبرقية فى نار المدفأة

ولم يحضر بيتر فى الرابعة ، ولا فى الخامسة ، وفى السادسة اتصلت به تليفونيا ، فقال لها :

ـ آسف ياجين لانني مضطر الى التأخر الى مابعد العشاء ، وسيخبرك بورك بالسبب

وشعرت بقلبها يغوص فى قدميها ، وسألت فى جزع :

ـ لماذا تبقى هناك ؟ انهم لم ...

فسمعته يطلق ضحكة عالية ، ويقول :

ـ يقبضوا على ؟ كلا ... شكرا لله ، وان كنت لا أعلم الى متى تستمر هذه الحالة ، لقد طلبت من بورك ان يضع احد رجاله فى حراسة كارلتون هاوس تيراس

ـ لماذا ؟

ـ حسنا ، اننى لا أريد أن يزعجك رجال الصحافة ، وسأعود فى العاشرة ، هل والدك معك ؟

ـ كلا ...

ـ هل هو غاضب منى ، اننى لن الومه ان فعل

ـ لا ... لا ...

ولم يحضر بورك الا فى التاسعة ، وكان الجو فى الخارج ممطرا ، وسألته فى دهشة :

ـ الم يحضر بيتر معك ؟

ـ لقد قال انه لن يكون هنا قبل العاشرة ، وقد غادر لونجفورد منذ ساعة

فقالت فى جزع :

ـ وحده ؟

ـ نعم ، وغادر ويلز والطبيب الذى كان معه المكان فى السابعة

وكان يشير الى برقية احضرها والكر ، ففضت الظرف ، وقرات البرقية ، ثم قدمتها الى بورك . كانت من رادلو الى بيتر :

« بالاشارة الى حديثنا التليفونى ، قررت بعد قراءة الصحف اليوم واكاذيبها ، أن أكتب بيانا الليلة . تعال الى ضاحية سيدنهام فى العاشرة والنصف ، وسيكون البيان فى يد النائب العام غدا »

وقالت جين :

ـ اننى لا أفهم معنى هذا ، ان مستر رادلو مقتضب فى برقياته كما هو مقتضب فى حديثه ، مامعنى سيدنهام ؟

— معناها منزله فى سيدنهام

وفحص بورك البرقية ، ولم يجد خاتما لمكتب الاستلام اللهم الا « لندن » ، ومعنى ذلك انه أرسل البرقية عن طريق التليفون. وقالت جين :

— ان بيتر لن يحضر قبل العاشرة ، وأرى ان نذهب الى سيدنهام الآن

— هل سيارتك جاهزة ؟

فاستدعت والكر ، وطلبت السيارة الرولز ، وقالت للمفتش :

— اذا حضر بيتر الآن اصطحبناه ، والا تركت له مذكرة

— اننى مندهش ، كان ينبغى أن يكون هنا الآن ، فالطريق جيد ، ولا تستغرق المسافة اكثر من عشر دقائق

وكانت الليلة دافئة على الرغم من المطر ، وسرها انها اخذت معها معطفا واقيا من المطر ، فقد كان المطر من الغزارة بحيث ابتلت ملابسها لمجرد السير من الباب حتى السيارة . وكان الجو مظلما ، والطريق مزدحمة تستوجب الحذر فى القيادة ، وفى الطريق قص عليها بورك طرفا من تاريخ حياة رادلو

انه رجل مشهور ، يحب العزلة ولذلك فهو يعيش وحده ، ولا يقوم بخدمة بيته الكبير — حيث أصر ان يبقى حيث ماتت زوجته — الا ثلاث خدم ، وكان البيت مبنيا على ربوة تحيط به حديقة واسعة. وكان بورك يعتمد على ذاكرته ، فأخطأ حين انعطف الى طريق جانبى ، على أساس أن الباب الرئيسى فى الشمال ، ومع ذلك فقد غفر الخطأ انه وجد فى المنحنى مباشرة ، وبجوار باب خشبى كبير ، أنوار سيارة ، فأمر السائق بالوقوف ، وقال لجين :

— انتظرى لحظة

وترك السيارة ، واتجه الى البوابة الخشبية ، وأدرك أنه باب الحديقة ، فعاد الى جين التى كانت تحدق فى السيارة الواقفة أمامها ، وقال المفتش :

— هذا هو باب الحديقة ، ويحسن ...

فقاطعته جين فى صوت منخفض :

— سيارة من هذه ؟ اننى متأكدة انها سيارة بيتر

الفصل الثانى عشر

الجريمة

وغادرت سيارتها بسرعة ، وحين رأت السيارة الاخرى قالت :

ــ انها سيارته

ورأى بورك السيارة فى ضوء مصباح الطريق ، وقد غطتها الاوحال ، واخرج مشعلا كهربائيا صغيرا ، وارسل شعاعه داخل السيارة ، فوجد حزاما من الجلد ففحصه ، ثم سار الى مؤخرة السيارة ، فوجد المقعد الخلفى نصف مفتوح ، فقال وهو يتجه الى باب الحديقة :

ــ انها سيارته بالتأكيد !

ودفع الباب فانفتح ، ووجد نفسه امام ممشى مغطى بالحصى بين اكمتين من الازهار البرية ، وبعد برهة عاد الى جين وقال :

ــ اننى لا أفهم هذا ، وربما كان بيتر يتردد كثيرا على هذا المكان ، ويتخذ هذا الطريق ، ومع ذلك انتظرى لحظة هنا

وعاد الى الممشى ، وماكاد يبلغ منحناه حتى سمع آهة عميقة ، فدار على عقبيه وشعاع مصباحه الكهربائى يفحص المكان ، فرأى يدا ممدودة ، فنحى الازهار جانبا ليرى رجلا مستلقيا على ظهره !

وكان الرجل بيتر كليفتون ! ...

وارسل بورك صفيرا منخفضا من بين شفتيه ، وانحنى ليجلس الرجل الفاقد الشعور ، ووضع المصباح على الارض ليجمد يديه ، ولكن لدهشته سقط شعاع الضوء على شىء جعله يجفل ، كان هذا الشىء مسدسا أوتوماتيكيا وقد ثبت على فوهته جهاز لكتم الصوت ، فالتقطه وشم فوهته ثم ثبت صمام الامان ، ووضع السلاح فى جيبه

وكان بورك رجلا قويا ، وبجهد بسيط أوقف بيتر على قدميه ، ثم حمله الى البوابة الخشبية ، ولكنه تذكر السائق ... وجرت جين

اليه وهي تهمس .

ـ هل كل شيء على مايرام ؟

ـ هل يمكنك ان تقودى سيارة بيتر ؟

ـ نعم

ـ اذن اطلبى الى السائق ان يذهب الى واجهة المنزل وينتظر.

وفي تلك اللحظة شاهدت ماكان يحمله بورك،فهمست في جزع :

ـ يا اله السماء ... اليس هذا بيتر ؟

ـ افعلى ما أمرتك به

وجذب حمله الى الظلال ، فقد خشى ان يراه عابر سبيل ، أو جندى مار ، فيقلب خطته رأسا على عقب . كان يخاطر ، ولكنه كان مفتوح العينين موقناً من أنه يتصرف التصرف الصحيح . وسمع السيارة تبتعد ، وعادت جين ، فقال لها :

ـ افسحى الطريق

وحمل بيتر على كتفيه ، ثم عبر الطريق بسرعة ، والقاه فى مقعد السيارة ، ثم قال لها :

ـ عليك أن تقودى هذه السيارة عائدة الى كارلتون هاوس تيراس ، وربما أفاق خلال الرحلة ، لانه يتحرك الآن . ادخليه المنزل وانتظرينى

وراقب بورك أضواء السيارة الخلفية حتى اختفت ، ثم أخرج المسدس من جيبه ، وشم فوهته مرة أخرى ، ثم ابتسم ابتسامة ذات مغزى ، وهو يفتح باب الحديقة ، ويسير الهوينا الى واجهة المنزل ، وتحدث الى سائق سيارة جين ، ليتأكد من أن السائق لم يعرف سيارة بيتر ، ولكنه لحسن الحظ لم يكن قد لاحظ وجود السيارة على الاطلاق ، ولم يسمع حتى ملاحظة جين ، فقال للسائق :

ـ لقد أحست مسز كليفتون بوعكة ، فعادت الى المنزل مستقلة سيارة أجرة ، وعليك أن تنتظرنى هنا

وتقدم بورك الى الباب الرئيسى ، ودق الجرس ثلاث مرات قبل أن تفتح له الخادم ، وهى تقول :

ـ هل انت مستر كليفتون ؟ ان السيد ينتظرك ياسيدى ، ويؤسفنى أن البهو غير مضاء ، ان السيد لايحب اضاءته

وكان من الواضح انها لم تر مستر كليفتون ابدا ، فقد اخطأت

المفتش فى شخص بيتر كليفتون ، واستطردت الخادم تقول :
ــ ان السيد طلب الينا الا نزعجه حتى تحضر
ــ حسنا ، سأعلن حضورى بنفسى
وفتح باب غرفة المكتبة ، فصافحت وجهه لفحة من الهواء البارد ، فأدرك أن شباك الحجرة مفتوح ، فقال للخادم :
ــ انتظرى هنا
كان شمعدان غازيا يرسل فى الغرفة ضوءا ثابتا على الرغم من نفحات الهواء ، وفى وسط الغرفة وجد مكتبا عتيق الطراز ، والى المكتب انكفأ شبح رجل وقد سقط ورأسه على النشافة ، وتدلت يده الى جانبه . فسأل الخادم :
ــ هل لديكم تليفون ؟
فردت الخادم وهى ترتجف :
انه فى البهو ، هل حدث حادث ؟
ــ نعم ... استدعى رجال البوليس ، وقولى لهم ان المفتش بورك هنا ، واطلبى منهم أن يرسلوا الطبيب الشرعى ، والضابط المنوب
واغلق الباب دونها ، ثم تقدم الى المكتب . وكانت احدى النوافذ مفتوحة على مصراعيها ، فأغلقها قبل أن يتقدم الى الجثة . كان النشاف ملوثا بالدم ، وكانت تحت القلم الذى تمسكه اليد المتيبسة بقعة كبيرة من الدم . ومن فوق كتفى الرجل الميت قرأ ماخطته يداه . كانت الصفحة مرقمة ٧ ، وقرأ :
« ... لقد شعرت أن الظروف تبرر رغبات عميلى . ولم تكن هناك فى ذلك الوقت أية اعراض لذلك المرض المخيف ... »
ولم يجد أثرا للاوراق الستة الاولى ، ونظر فى سلة المهملات ، فاذا هى فارغة . لقد اختفى الجزء الاكبر من بيان رادلو !
ووصل رجال البوليس ، فاصطحبهم بورك الى مسرح الجريمة ، وعلى الارض بجوار القتيل لاحظ الضابط صندوقا فضيا مربعا لم يره المفتش من قبل ، فانحنى والتقطه وهو يقول :
ــ ماهذا ؟
وفتح الغطاء ، كان صندوق سجاير من النوع الذى يوضع فى السيارات ، وعرفه بورك قبل أن يغلق الضابط الغطاء ويقرأ عليه

الحرفين : ب . ك . ولم تتحرك عضلة واحدة من وجه المفتش ، وهو يقول للضابط :

ـ لقد سقط منى ، انه صندوق سجاير يخص بيتر كليفتون

كان قد رآه عدة مرات ، وكان من عادة بيتر ألا يدخن الا اذا كان يقود سيارته ، ولذلك كان يحتفظ بهذا الصندوق فى سيارته ، لتكون السجاير فى متناول يده . وفحص بورك محتويات الصندوق ، فاذا به مملوء بالسجاير ، فأخرج احداها وفحصها ، فاذا هى من النوع الرخيص ، فقال :

ـ انه شخص مدهش !

... ثم وضع الصندوق فى جيبه ، وكان اثنان من رجال البوليس يفحصان الغرفة بدقة ، فقال بورك :

ـ على فكرة ، لقد كانت النافذة مفتوحة عندما اكتشفت الجريمة ، ولكنى اغلقتها بعد ذلك ، ولربما طارت الاوراق الى الخارج

وفجأة قال أحد رجال البوليس :

ـ هنا آثار اقدام على السجادة ، وهى طرية

فقال بورك :

اتصل تليفونيا بسكوتلانديارد ، واطلب حضور المفتش واتكنز ليكون مسؤولا عن هـــذه القضية ، وعلى فكرة ، حين تسأل الخدم ، سيقلن أنهن كن ينتظرن زيارة مستر بيتر كليفتون ، فقد كان رادلو محاميه ، ولكنى حضرت هنا بدلا عنه

وكان بعض الناس قد تجمهر أمام الباب الرئيسى حين عاد بورك ليستقل السيارة ، وقدم اليه أحد رجال البوليس رجلا قال انه جار القتيل ، وانه كان فى الحديقة ساعة ارتكاب الجريمة ، ورأى القاتل ! ... فعاد به بورك الى القصر ، ثم سأله :

ـ ماذا سمعت ؟

ـ سمعت صوتا يشبه صوت الطلق النارى من مسدس عليه جهاز لكتم الصوت ، فقد كنت فى كلية أركان الحرب أثناء الحرب ، وشهدت بعض التجارب على بعض أجهزة كتم الصوت ، ومن ثم كان الصوت مألوفا لدى ، فضلا عن أن الريح كانت تهب فى اتجاهى ، مما جعلنى اسمع الصوت واضحا

ـ هل سمعت شيئا آخر ؟

ـ كلا ، ولكني حين لم أر شيئا من مكاني سرت في محاذاة السور الذي يفصل بين الحديقتين ، حتى وصلت الى مكان يمكنني من رؤية ما يحدث هناك ، وماكدت انظر حتى ابصرت رجلا قصيرا يعبر الحديقة متجها الى الباب الخلفي ، فناديت ظنا مني انه رادلو ، ولكني لم أتلق ردا ، ومن مكاني شاهدت نافذة في بيت رادلو مفتوحة ، وحيث أنه حدثت عدة سرقات في هذه الناحية أخيرا ، فقد فكرت في استدعاء البوليس ، ولكني عدت ورأيت ألا أتدخل في شؤون غيري ، خصوصا واني اعلم ان رادلو مغرم بالهواء الطلق

ـ الم تر الرجل جيدا ؟

ـ ليس من الوضوح بحيث أتعرف عليه

ـ هل كان طويلا ام قصيرا ؟

ولم يتمكن الرجل من الاجابة ، فسأله :

ـ هل كان يسير بسرعة أم ببطء ، هل كان يسير طبيعيا أم يترنح؟

ـ كان يسير بسرعة وثبات

فهز بورك رأسه هزة ذات مغزى ، وصرف الرجل ، ثم عاد الى كارلتون هاوس تيراس ، ولم يجد سيارة بيتر بالباب ، ولكن حين دق الجرس كانت جين هي التي فتحته ، وقالت له بصوت هامس :

ـ انه نائم الآن

ـ الم يفق بعد ؟

ـ لقد أفاق لحظة بسيطة ، ولكنها كانت كافية ليدخل المنزل ، وانا متأكدة انه لم يكن يعرفني ، أو يعلم أين هو . وشكرا لله ان الكر كان في حجرته ، وأمكنني أن أسحبه الى حجرته دون معونة .. هل حدث شيء . . . فظيع ؟

فلما أومأ المفتش برأسه ، عادت تسأل :

ـ مستر رادلو ؟

ـ لقد أطلق الرصاص على رادلو من مكان قريب ، ولو كنت في موقفك لما سألت المزيد من الاسئلة ، اين زوجك ؟

فقادته الى حجرة نومه ، وكان بيتر مستلقيا بملابسه الكاملة على الفراش ، مستغرقا في النوم . ولم يحاول بورك أن يوقظه ، بل فتشه

جيدا ، وكان أول ما أخرجه هو « مشط » رصاص لم يشك لحظة أنه خاص بالمسدس الذى وجده الى جانبه . وفى جيبه الداخلى وجد ربطة تحوى مجموعة من أوراق النقد المزيفة من فئة المائة دولار ، فقال بورك :

ــ بقى أن نجد اعترافا مكتوبا !

ووجد علبة سجاير ذهبية فارغة فى جيب بيتر ، فدهش لانه رأى بيتر وهو يملؤها بالسجاير قبل أن يستقل سيارته،وهز بيتر، ففتح عينيه فى بطء ، فقال المفتش فى لهجة الامر :

ــ انهض !

وأطاع بيتر ! فقال المفتش :

ــ اخلع سترتك !

فأطاع بيتر مرة أخرى وهو مغلق العينين ، وساعدته جين والمفتش ، وكان غير قادر على الكلام . كان غارقا فى النوم . بحيث أنهم حين وضعوه على الفراش استغرق فى النوم على الفور . وكشف على ساعده وفحصه ، وكان ما رآه باعثا على ارتياحه ، لأنه استدار الى جين التى كانت تنظر اليه فى قلق ، وابتسم ثم قال :

ــ هل تعرفين ماذا يحتاج اليه زوجك ؟ انه يحتاج الى الضوء !

واشار بورك الى مصباح قريب من الفراش ، ونزع غطاءه ، ثم أضاءه وقربه من عينى النائم ، فرأت عينى بيتر ترتعشان ، ورأت وجهه يقطب فى ألم ، وحاول أن يبعد الضوء عن عينيه ، فقال له المفتش :

ــ استيقظ !

وكأنما هو تحت تأثير منوم مغناطيسى ، أطاع ، وفتح عينيه ، ونهض جالسا دون معونة ، ثم سأل :

ــ ما هى المسألة ؟

ــ المسألة هى انت ، لقد حطمت خبرتى البوليسية الطويلة

فنظر بيتر الى المفتش ، ثم الى زوجته ، ثم حوله ، وقال :

ــ لقد عدت الى المنزل ، أليس كذلك ؟

ــ نعم ، لقد عدت الى منزلك حقيقة ...

ونظر الى جين ، فغادرت الغرفة ، وبعد ربع ساعة ، حين غادر

الرجلان الغرفة ، كان بيتر شاحب الوجه ، أما شعر المفتش فكان اشعث مبعثرا ، وسألها المفتش :

ـ هل يعلم الخدم أن زوجك قد عاد ؟

ـ نعم ، فقد أخبرتهم أنه عاد بعد وقت قصير

ـ ألم يسمعوه وهو يدخل البيت ؟ لقد عدت الى هنا فى العاشرة الا عشر دقائق ، ألم تجدى بوابا أو عامل مصعد ؟

ـ كلا ...

ـ حسبنا ، من قاد سيارته الى الجاراج ؟

ـ أنا ، فبعد أن وضعته فى الفراش ، قدت السيارة الى جراج عمومى كنت أستعمله لاننى لم أكن اعرف أين يوجد جراج بيتر

ـ جميل ، معنى هذا أن سائقكم لن يراها

وأن بيتر ، ثم قال :

ـ لقد غللت يدى يا بورك

فسألته جين :

ـ ماذا كنت تريد ان تفعل ؟

فرد عليها المفتش قائلا :

ـ ان بيتر يريد أن يذهب الى أقرب قسم للبوليس ، ويعترف بأرتكاب جريمتين ، لكنى جعلته يعد بالامتناع عن هذا العمل ، من أجل زوجته ، وسمعة صديقه المفتش جو بورك . أين يوجد ذلك الجراج يا مسز كليفتون ؟

فدونت عنوان الجاراج على قصاصة ورق ، واستطرد المفتش :

ـ سأذهب لفحص السيارة ، وانت يا بيتر عليك ان تأوى الى فراشك ، أما أنت يا جين فعليك ألا تسمحى لاحد بالاتصال بزوجك تليفونيا مهما حدث . واذا حضر موسى روبر فاسمحى له بالدخول ، وربما جئت قبله ، ولكنى سأعود على كل حال

فتكلم بيتر قائلا :

ـ هل تحب ان ارافقك ؟

ـ انت آخر من أريد ان يرافقنى ، ابق هنا ، ولا تسمح لاى صحفى بأن يعكر صفوك

وخرج بورك ...

الفصل الثالث عشر

فى شارع هارلى

كانت جين قد أودعت السيارة جراجا عموميا ، وحين قدم بورك بطاقته ، قادوه الى السيارة . وكان العمال منهمكين فى تنظيفها ، وبمعونة مصباحه فتش داخل السياره تفتيشا دقيقا ، وكان البحث سريعا لان عمال الجاراج كانوا قد نظفوها جيدا من الداخل ، فاستدعى رئيس فرقة التنظيف وسأله هل وجد شيئا بالسيارة ، فقال :

ـ كلا ، لم نجد شيئا ، اللهم الا مجموعة من أعقاب السجاير

ـ هل يمكن الحصول على هذه الاعقاب ؟

ـ نعم ، فنحن نستخدم المكانس الكهربائية ، ولحسن الحظ لم نفرغ جراب المكنسة بعد

وأفرغت محتويات الجراب ، فوجد أحد الاعقاب سليما ، فلفه بعناية فى ورقة ووضعه فى جيبه . ووسط التراب وجد ذرة لامعة ، ولما فحصها اتضح له انها حبة صغيرة بيضاء . وسأل المفتش :

ـ هل أجرى تنظيف سيارة أخرى بهذه المكنسة ؟

ـ انها السيارة الاولى يا سيدى ، وكل التراب الذى تراه الآن جاء من هذه السيارة . ونحن عادة نستعمل جرابا جديدا لكل سيارة، ونفحص التراب لعلنا نجد شيئا مفقودا من صاحب السيارة وكثيرا ماوجدنا لآلىء وخواتم ، وأشياء من هذا القبيل

وفتح بورك اللفافة التى تحوى عقب السجاير ، واضاف اليه الحبة الصغيرة ، وعاد يسأل :

ـ الم تجدوا شيئا آخر

فهز رئيس فرقة التنظيف رأسه نفيا ، ولكن يده اشارت لاشعوريا الى جيبه ، فلم يجد بدا من الاعتراف بأنه وجد ثلاث سجاير على المقعد ،

وظن أنها مهملة ، فأخذها لنفسه • وأخرج الرجل السجاير من جيبه وقدمها للمفتش ، ففحصها باهتمام ، فوجدها ، كما توقع ، من نفس النوع الذى كان فى الصندوق الفضى

واستقل المفتش سيارة أجرة الى اسكوتلانديارد ، وهناك قابل رئيس احد الاقسام ، وقدم له الصندوق الفضى ، وقال له :

ـ على هذا الصندوق نصف دستة من البصمات ، أريد صورها على مكتبى غدا صباحا ، على أن ترسلوا نسخة منها الى مصلحة تحقيق الشخصية لمعرفة أصحابها • وبحث فى أحد أدراج مكتبه ، وأخرج أنبوبة اختبار ، وضع فيها عقب السيجارة ، وأحكم سدها وقال :

ـ وهذه للتحليل

ثم وضع الحبة الصغيرة على ورقة ، وقال :

ـ وأريد أيضا تحليل هذه ، ولو أننى واثق أنها حبة هيوسين

لقد كانت الاكتشافات التى وجدها فى السيارة فوق ما كان يحلم به ، وكان بورك مرحا حين دق جرس باب المنزل رقم ٩٠٣ بشارع هارلى . ولم يكن الخادم يريد أن يسمح له بالدخول ، فقد كان يقول :

ـ ان الطبيب قد أوى الى فراشه ، ومسز ويلز فى الخارج

ـ قل للدكتور ويلز ان المفتش بورك يريد أن يراه

وتركه الخادم فى الصالة ، وصعد الى الطابق العلوى ، وحين عاد كان دونالد ويلز فى أعقابه ، وكان يرتدى روبا مشجرا فوق ملابسه الكاملة . وقال :

كنت على وشك ان آوى الى فراشى يا مستر بورك ، هل تريد أن تقابلنى لامر هام ، اننى أعانى صداعا الليلة

ـ ان كل الناس سيصابون بالصداع غدا ، الا اذا كنت مخطئا ، اعنى كل الناس ما عداى !

وفتح الطبيب باب غرفة مكتبه ، وأضاء النور ، واشار الى زائره أن يدخل ، وسار الى منضدة ، وضغط على زر فيها ، فانفتح سطحها عن مخزن صغير للخمور ، وقال :

ـ ماذا تحب أن تشرب ؟

ـ ماء•فأنا رجل حين يصل الامر الى مرتبة الجريمة ، أفضل الماء !

فضحك ويلز ، وهو يصب لنفسه كأسا من الويسكى ، وقال :
ـ من تريد أن تقتل الليلة ؟
ـ هذا ما أريد أن أعرفه ، اننى لست وآثقا من شخصية القتيل ، ولكنها مسألة أيام ، ثم أضع يدى عليه . لقد اتصلت تليفونيا بسولبى : المحامى الذى يعمل فى قضية لا نجفورد ...
واستمر بورك يثرثر ، وفجأة سأل :
ـ أظنك تعرف طبعا أن المحامى العجوز قد اغتيل ... أطلق عليه الرصاص فى غرفة مكتبه فى الساعة العاشرة من مساء اليوم ؟
وكان شعور شين ويلز واضحا على وجهه ، وقال :
ـ رادلو قتل ؟ ... يا اله السماء !
فقال المفتش فى لهجة صارمة كحد السيف :
ـ هل ذكرت اسم رادلو ؟
فلزم ويلز الصمت ، فعاد المفتش يقول :
ـ هل قلت رادلو ؟ لقد كنت أتحدث عن سولبى ، أليس كذلك ؟ انه أيضا محام ، وهو محام عجوز ، لماذا ظننت فجأة اننى اعنى رادلو ، وأنت لا تعرفه ؟
فاستعاد ويلز رباطة جأشه بسرعة ، وقال :
ـ اننى أعرفه،انه محامى بيتر،وكان يتحدث عنه فى الايام الاخيرة
ولم يرد عليه بورك ، كانت عيناه الحادتان مثبتتين على عينى الطبيب وحين استأنف الحديث ، كان حديثه بطيئا حاسما :
ـ لقد قتل رادلو رميا بالرصاص الليلة ، وان كان أحد جيران القتيل قد رأى القاتل ، وهذا يحدث دائما فى جرائم القتل ، فان أقل الاحتمالات حدوثا تحدث بالفعل . من كان يظن أن مواطنا محترما يقطن ضاحية سيدنهام يمكن أن يخرج من منزله فى جو ردىء كهذا الجو ، ليبحث عن كلبه الضال . وقد رأى القاتل ، وأمكنه أن يصفه لى ، وقد جئت لالقى القبض ...
وجمد الرجل الواقف أمام مفتش البوليس من فرط الرعب ، واستطرد المفتش :
ـ ... على اى متآمر يروج الاشاعات عن بيتر كليفتون !
وهنا فقط ، وبمجهود جبار ، امكن لويلز أن يخفض بصره،وكانت

الكأس التى رفعها الى شفتيه تهتز ، ولكنه بذكائه وجد المخرج :

ــ يا لرادلو المسكين ، انه أمر فظيع ، أليس كذلك ؟

ــ متى تركت بيتر ؟

ــ لقد تركته فى قصر لونجفورد ، قال ان لديه موعدا فى المدينة ، وكنت أعرف انه سيقابل رادلو

ــ كانت هذه فكرته ، وكنت عند باب منزله فى كارلتون هاوس تيراس حينما عاد فى العاشرة الا عشر دقائق ، وكان يبدو مريضا جدا ، لقد اصبت الحدس يا سيدى الطبيب ، لقد كان ذاهبا لمقابلة رادلو ، ولكنى اقنعته بالذهاب الى فراشه ، وذهبت أنا الى رادلو ، لاراه بعد مصرعه بنصف ساعة ، فلم أتمالك نفسى من التفكير فى موقف بيتر لو كان هو الذى ذهب الى هناك

وبقى ويلز صامتا ، وقد خفض بصره كأنما هو يفحص السجادة التى يقف عليها ، وسأل دون أن يرفع عينيه :

ــ من تظن قتل رادلو ؟

ــ سيكون هذا سهلا حين نعثر على المسدس ، ان البوليس سيفتش الحديقة غدا ، ولو أنه لا أمل فى العثور على شىء ، لان القاتل الذكى لا يترك سلاح الجريمة وراءه ، الا اذا اراد أن يلفق التهمة لشخص آخر ، لقد رأيت مثل هذا العمل مرارا ، وكانت صناديق السجاير الخاصة تستخدم أيضا ليتأكد رجال البوليس الاغبياء من أن بيتر هو القاتل

وبحثت عينا المفتش عن عينى ويلز ، فلما التقت النظرات ، لم تطرف عينا ويلز ، بل ابتسم وقال :

ــ ان هذا يبدو مثل القصص البوليسى الممتع

فقال المفتش وهو ينظر الى السقف :

ــ انك طبيب ، وأنا أريدك ان تدلنى على ترياق ضد الهيوسين والمورفين ، اذا أعطيت حقنا تحت الجلد . . .

وبسرعة عادت عينا المفتش تفحص وجه الطبيب ، ومع ذلك فلم تختلج عضلة من وجه الطبيب ، بل قال :

ــ يقول العامة ان اغفاءة تكفى . . .

ــ لقد عثرت على حبة الهيوسين فى قاع السيارة ، ولكنى لم أجد

المورفين فالطبيب الماهر لا يكون من الاهمال بحيث تسقط منه حبتان !

فهز الطبيب راسه ، وقال :

ـ لست أدرى عم تتحدث ، أية سيارة ؟ تفضل بالجلوس يا مستر بورك ، اننا على طرفى نقيض ، فأنت غامض جدا ، وأنا صريح لا أفهمك ، فقل لى ماذا تعنى ؟ هل تعنى بيتر ؟ ومن هو الطبيب الماهر ، اننى لا أعرف أحدا سواى ، فهل تتهمنى بالصاق التهم ببيتر ؟ وما صلة هذا برادلو ؟

ولم يخف على المفتش التوتر الذى يعانيه ويلز ، على الرغم من طلاقته فى الحديث ، واستطرد ويلز قائلا :

ـ أحب أن أعرف ماذا تقصد أيها المفتش

فقال المفتش بهدوء :

ـ سأقول لك ماذا اقصد يا دكتور ويلز ، اقصد انك تحمل الانباء التي حملتها لك محملا آخر ، فأنت صديق مستر كليفتون ، وأنا أيضا صديقه . ومع ذلك لم يكن رد فعل هذه الانباء لديك مفيدا . لقد انبأتك ان أحد معارف بيتر قد قتل ، فلم تهتم ، وقلت لك ان بيتر يعانى من اثر مخدر ، فلم تبد استعدادا لزيارة بيتر فورا لتبذل جهدك فى شفائه ، وهو ما كنت أنتظر منك أن تفعله . كنت طوال الحديث تدافع عن نفسك . فمم كنت تدافع عن نفسك ؟ وحين نطقت بكلمة « أقبض » كدت تنهار ، فلماذا ؟ ما الذى تخافه ؟ اننى اسألك هذا السؤال فى معزل عن الشهود

وكان ويلز يقف أمام المدفأة وهو يراقب المفتش ، وكان قد استعاد رباطة جأشه ، فقال فى هدوء :

ـ افرض ، أيها المفتش ، اننى قلت للبوليس أن بيتر كليفتون الذى يقطن رقم ١٧٥ بكارلتون تيراس قد اعترف لى انه فى نوبة جنون ، قد قتل بازيل هيل حين وجده يتطفل عليـــه فى قصر لونجفورد ، افرض اننى كتبت هذا الاعتراف وقدمته لك ، فماذا أنت فاعل ؟

فرفع المفتش رأسه ، وقال فى صوت عميق ، وقد ضاقت حدقتاه :

ـ سأقول لك ماذا أفعل ؟ سأقبض عليك فورا وفى هذه اللحظة ، واذا كان يجب أن يقدم شخص للمحاكمة ، فهو أنت ، ولدى من الادلة

ما يبرر القبض عليك فى الحال !

وامتقع وجه ويلز ، على الرغم من محاولته التماسك ، وسأل :

ــ بأية تهمة ؟

ــ بتهمة ترويج ورقة نقد مزيفة من فئة الخمسين جنيها ، فى حلبة سباق هيرست بارك ، مع علمك بأن الورقة مزيفة . ويمكننى أن أؤكد لك انه فى صباح الغد ، أكون قد أضفت الى قائمة التهم تهما جديدة

وسقط القناع ، وبدت البغضاء واضحة فى عينى ويلز فقال :

ــ يبدو أنك لا تعرف معنى ما تقول أيها المفتش ، انك لا تحدث دكتور ويلز الذى عرفته فى نون هيد كما تعلم

ــ انك لا تفهم فيما يبدو أن البوليس لا يبحث عن المتاعب ،ولكن حين تأتى المتاعب يكون لها على استعداد . اننى اعرف أنك لست ويلز الذى عرفته فى نون هيد ، فبعد اثنى عشر شهرا من ذلك الحادث انتقلت الى شارع هارلى . فمن أين أتيت بالمال ؟

ــ وما شأنك انت بهذا ؟

ــ شأنى واضح ، افرض أننى قدمتك للمحاكمة ، فهل يمكنك ان توضح كيف هبطت عليك الثروة ؟ اننى أحذرك : ابتعد عن بيتر كليفتون ، واذا كنت تدبر خطة للاستيلاء على ملايينه ، فالافضل لك أن تنساها . لقد ارتكبت جريمتين ، وكنت فى قصر لونجفورد حين قتل بازيل هيل

ــ ولكنى لم أغادر المنزل فى تلك الليلة

ــ أنت كاذب ، لقد كان أحد رجالى يراقبك طوال اليوم ، ولكنه فقد أثرك فيما بين التاسعة حتى عدت الى هذا المنزل

ونهض المفتش واقفا ، والتقط قبعته ، واتجه الى الباب ، وفتحه بعنف على مصراعيه حتى كاد يخلعه ، ثم استدار ليقول للطبيب :

ــ سيلقى القبض على مقترف الجريمتين يا ويلز ، ولن يكون هو بيتر كليفتون ، افهم هذا جيدا . ولن يساعدك روبر ، ولا علب السجاير المملوءة بلفافات لا يدخنها بيتر ، ولا حتى الاجندات التى يدسها صديقك ملك المزيفين !

وغادر المفتش الغرفة بعد أن صفق الباب خلفه بعنف !

الفصل الرابع عشر

البئر

استيقظ بيتر من نوم عميق هادىء ، ليجد شخصا واقفا الى جوار فراشه ، وليسمع أصوات آنية الشاى الفضية ، ثم صوتا عذبا يقول :

ـ أتريد شايا ثقيلا ام خفيفا ؟ تصور اننى لا أعرف حتى الآن هل زوجى يفضل الشاى المحلى بالسكر أم لا ؟

فأغمض بيتر عينيه ثم فتحهما مرة أخرى قبل أن يجيب ، فوجد جين وقد ارتدت ثوبا أنيقا وحملت ابريق الشاى ، فقال :

ـ ماذا ؟ اننى هنا ، أليس كذلك ؟

ـ أنت هنا بكل مافى هذه الكلمة من معان ، هل تعلم انه من المسلى حقا أن يكون للمرء زوج غير متأكد دائما من الفراش الذى ينام فيه ؟

فابتسم بيتر فى مرارة وقال :

ـ اننى أعلم أن زواجك منى كان من التجارب المريرة التى يمكن أن تمر بامرأة ... كم الساعة الآن ؟

ـ السابعة والنصف

ـ هل بورك هنا ؟

ـ مستر بورك ليس هنا ، لقد كنت أفكر جديا فى تخصيص حجرة له فى هذا البيت ، ولكنى لا أظن أنه سيوافق

وارتشف الشاى فى امتنان ، وقطب وجهه وهو ينظر الى قوام زوجته البديع ، وهى تجلس على حافة الفراش ، ثم قال وهو يحاول أن يتذكر أحداث الليلة الماضية :

ـ لقد حدث شىء ليلة أمس ، ماذا حدث ؟ آه ، رادلو قتل

ـ نعم ، لقد أطلق عليه الرصاص

ـ يا للفظاعة ! اظن ..

ـ لن تظن شيئا قبل ان يحضر بورك ، خصوصا اذا كنت تظن انك قتلته !

ـ لا فائدة ، لقد كنت كريمة جدا معى ، والآن وأنت تعلمين عن سلفي المسكين ، يمكنني أن أتحدث اليك فى حرية . لقد ظننت أننى شفيت وأنه ليس ثمة خطر ، والا لما سمحت لنفسى بالزواج منك . لقد قال دونالد أن هناك خطرا ... لماذا تنظرين الى هكذا ؟

ـ هل كنت انظر ؟ ربما ، ولكنى لن أقلق أبدا لما يقوله دونالد ويلز ، انك تأخذ آراءه قضية مسلمة ، لا تحدق فى هكذا ياحبيبى ـ انت طبعا لا تمانع فى استعمال هذا اللفظ الذى تطلقه الزوجات على أزواجهن فعلينا أن نبدو كأسعد زوجين ، ويجب ان تعتاد ذلك

فابتسم ، وكانت أول ابتسامة حقيقية تشهدها جين منذتزوجته، وقال بيتر :

ـ فى وسعى أن أسمع الكثير من هذا ...

ثم استطرد فى جد :

ـ لماذا تكرهين دونالد ؟ لقد كان صديقا حميما لى ، ولست أدرى ماذا كنت افعل بدونه

فقالت عابسه :

ـ ان المخبرين يشتبهون فى كل امرىء ، هذا ما قاله لى بورك

ـ المخبرون ؟

ـ نعم ، فأنا الآن مخبر سرى ، وقد شغلت هذه الوظيفة أخيرا عن اهتمام . وأنا أشتبه فى دونالد ويلز . ومارجورى ، ومستعدة للشك فى مستر بورك نفسه !

ـ وفى ؟

ـ كلا ... ولكنى أشتبه فى أنك تعنى بالنسبة لى عدة أشياء جميلة ، وأخرى حمقاء . وسأطلب اليك أن تقص على كيف تعرفت على عدة أشخاص ، وخصوصا ويلز . وسأتركك الآن لترتدى ثيابك، وستجدنى فى غرفة الاستقبال متأهبة بالاوراق والاقلام... وبالاسئلة

فضحك هذه المرة وقال :

ـ سأكون شاهدا مطيعا ...

وكان عليها هي أيضا أن ترتدي ثيابها ، ولكنها تأخرت قليلا في قاعة الاستقبال لتلقى نظرة سريعة على الصحف . فلم تجد غير صحيفة واحدة أشارت الى مصرع مستر رادلو . وسرها أنها لم تجد أية اشارة الى بيتر . وارتدت ثيابها ، وحين عادت الى غرفة الاستقبال كان بيتر قد وقف الى جوار النافذة يرقب الحديقة الغارقة في أشعة الشمس . وكان من الواضح انه قرأ أنباء الجريمة ، لانه قال :

ــ لقد قال لى بورك شيئا لست أدرى ماهو ، ولاشك أن ما قاله شيئا مفزعا . هل كنت في سيدنهام أمس ؟

ــ نعم !

ــ انني لا افهم شيئا ، هل قال بورك ..

ــ لا تهتم بما قاله بورك ، والآن أريد حديثا مدعما بالتواريخ . كيف قابلت دونالد ويلز لاول مرة ؟

ــ هل هذا ضروري ؟

ــ نعم ، فقد سألني بورك ان اقدم اليه هذه الحقائق

فراح بيتر يذرع الغرفة ، ويداه معقودتان خلف ظهره ، وجبينه مقطب ، وبدأ يجيب :

ــ قابلته .. متى قابلته ؟ كان ذلك بعد عودتي من أفريقا ، كنت اعاني من ضرس تالف وأنا على ظهر الباخرة ، وأوصاني أحدهم أن أزور طبيب أسنان في شارع هارلي . وتذكرت الرقم ٩٠٣ . ولكن الالم اختفى لمدة شهرين أو ثلاثة . وفي احدى الامسيات عاودني الالم ، فذهبت الى شارع هارلي حيث التقيت بدونالد ويلز . ولاشك انك تدركين أن الخطر الاكبر كان ماثلا في مخيلتي منذعرفت بالمصادفة أن والدى قد توفى في مستشفى الامراض العقلية في برود مور

ــ متى عرفت ذلك ؟

ــ حين بلغت الحادية والعشرين ، فقد اضطر محامي أن يقولوا الحقيقة ، وكان على ان أوقع أوراقا كثيرة ، فعلمت أن اسمي ولرسون ، وقرأت مكان وفاة والدى على الاوراق . وكان رادلو قد حجب عني الحقائق ، بل وابعدني عن انجلترا ، ولكن المحامي الذى ارسله الى لتوقيع الاوراق ثرثر لى بكل شيء

ــ والآن حدثني عن دونالد

ـ ذهبت الى شارع هارلى حيث التقيت بويلز ، وعرفت انه اشترى المنزل من طبيب الاسنان ، ولكنه اصطحبنى الى آخر فى شارع ديفونشير ، فعالج لى الضرس ، وانتظرنى ويلز فعدت معه الى منزله ، وكانت زوجته فى الخارج ، وكان يبدو طيبا ، فرويت له ما كان يقلقنى منذ سنين ، فلم أكن قد استشرت طبيبا من قبل عن حالتى ، ومدى احتمال وراثتى لمرض والدى ، فلما سنحت الفرصة رويت كل شيء . وجعلت أتردد عليه حتى صرنا أصدقاء،هذا فضلا عن أنى مدين له بفضل معرفتى بك ..

ـ اننى أذكر ليلة زرتنا برفقته ، لقد كانت حفلة عيد ميلادى ، هل حضرها بازيل هيل ؟

ـ اننى لا أتذكر جيدا ، ولكنى أعتقد انه كان هناك

ـ هل تذكر العذر الذى تذرع به دونالد ليصحبك الى حفلنا ؟

ـ كان والدك يريد أن يرانى ، فقد كان شاهد بعض لوحاتى

ونحت الاوراق جانبا ، فشعر بالارتياح لانه ظن ان الاسئلة قد انتهت ، ولكنها عادت تسأله :

ـ هـــل كنت تعانى الازمات كثيرا يابيتر ؟ أعنى الفترات التى لا تدرى فيها شيئا عن تصرفاتك

ـ لم يحدث لى هذا الا أخيرا ، ولكن دونالد كان قد قال لى أن الازمات لا تحدث الا فى هذه السن ، وقد عزز كليورز الاخصائى كلامه

ـ هل حدثت لك أزمات قبل حادث بازيل هيل ؟

ـ كلا ... وان كانت قد حدثت أيضا أمس . والواقع أننى لم أفهم ماحدث اننى أذكر اننى غادرت قصر لونجفورد ، ولكنى لا أذكر ما حدث بعد ذلك

ـ هل تذكر انك مررت بسيارة تقف الى جانب الطريق ؟

وقفزت جين من فرط الدهشة ، فقد كان السؤال الاخير صادرا عن بورك ، وقال بيتر :

ـ هالو ... من أين جئت ؟

ـ لقد انشقت الارض فخرجت منها ، لقد كنت بهلوانا قبل أن أعمل فى البوليس ، صباح الخير يا مسز كليفتون ، آسف لاننى ازعجتك

ـ انك لم تزعجنى ، وان كنت قد أدهشتنى

ـ اننى أعترف بأننى أحب المفاجآت • والآن ماذا عن السيارة ؟

ـ سيارة ؟ نعم كانت هناك سيارة كبيرة سوداء

ـ مررت بها ، ثم رأيتها تتبعك ، أليس كذلك ؟

ـ نعم ، اننى اتذكر هذا أيضا ، كنت أقود السيارة ببطء ، وكنت مندهشا لماذا لم تسبقنى ، فقد كانت سيارة قوية

ـ هذا الكفاية ، ماذا كنت تسألينه يا مسز كليفتون ؟

فقدمت اليه الاوراق ، وقرأها بامعان ، واخيرا قال :

ـ جميل ، ولكنى أعرف معظم هذه المعلومات ، ولكن مالم أكن أعرفه هو :

هل تعرف قصر لونجفورد جيداً ؟

ـ نعم

ـ وتعرف ان فى الفناء الخلفى للقصر بئرا مهجورة ؟

فأومأ بيتر وقد اصفر وجهه :

ـ انها بئر جافة لم تستعمل منذ سنوات ، ماذا عنها ؟ لقد قال البستانى انه سيملؤها بالماء

ـ انك لغز .. لقد فهمت كل شيء ، الا هذا !

وانتظرت جين أن تسمع جديدا مخيفا ، ولكن المفتش قال :

ـ ان هذا الرجل يحيرنى ، لقد قادنى الى خيوط كثيرة لا قيمة لها ، انك لن تغادر هذا المنزل اليوم أبدا ياصديقى !

ـ اننى لا أنوى الخروج

ـ لدى شعور بأن الضباب المخيم على هذه القضية سينقشع خلال ٢٤ ساعة . لقد جرتنى هذه الجرائم الى ملك المزيفين ، وربما كانت هذه آخر جرائمه ، وان لم اكن مخطئا ، فاننا سنقبض على رجل يعرف الكثير عنه ، وسيدلى الينا بالمعلومات التى نريدها

وصمت ينتظر تعليقا من بيتر ،ولكنه بقى صامتا،فاستطرد المفتش:

وسأقول لك أيضا ، سنقبض على ملك المزيفين أيضا فقد ارتكب خطأ كبيرا لم ينتبه له ، والا لغادر هذه البلاد الليلة !

فقال بيتر ، دون أن يرفع عينيه عن المنضدة التى كان يجلس اليها :

ـ هل تعرف من هو ؟

ـ نعم ، أعرفه جيدا يابيتر !

ولم تر جين زوجها لعدة ساعات بعد أن غادر المفتش المنزل ، فقد اعتصم بغرفة مكتبه كأنما هو ينتظر المزيد من الحوادث . وحين خرج للغداء كانت تخمن سبب توتر أعصابه ، فلم تحاول أن تسأله عما كان يقصده المفتش من ذكر البئر ، ولماذا أفزعه ذلك ، وقرب نهاية وجبة الطعام كان بيتر قد انبسط قليلا ، وابتسم مرة حين قالت له جين : « ياحبيبى » ، فقالت :

ـ من أجل المظاهر فقط ، عليك أن تناديني هكذا أيضا ، ويمكنك ان تتدرب على هذا سرا ، وسأقدم لك كشفا بالاصطلاحات التى يقدمها الازواج لزوجاتهم

ـ انني أعرف معظمها ، والواقع انني أفكر فيك كثيرا

فاحمر وجهها لذلك ، واستطرد بيتر :

ـ لست أدرك ماذا ستفعلين معي ياجين ، فأنت لن تحصلى على الطلاق الا اذا ارتكبت شيئا فظيعا ، وهذا لن أفعله

فضحكت جين للفكرة ، وقالت :

ـ ربما أحببت رجلا آخر !

وادهشته ان تضحك ، فهى امرأة تعيش على فوهة بركان وفى أى وقت قد يدق الباب أحد رجال البوليس ، ويلقى القبض على روجها بتهمة التزوير وربما القتل . وهزت رأسها بعنف للفكرة الاخيرة ، وقالت لنفسها : « كلا .. انه ليس قاتلا » . فسألها بيتر :

ـ لماذا تهزين رأسك ؟

ـ كنت أفكر ..

ـ فى الطلاق ؟ اسمعى ياجين ، اذا حدث لى أى شىء ، كأن ألقى القبض على أوسجنت ، ستؤول اليك جميع أموالى وأملاكى ...

يا اله السماء ، ماذا حدث لك ياجين ؟

كانت تقف الى جانب المنضدة ، وكان وجهها الشاحب يحدق فيه .. لقد عرفت الآن فقط سر الخطط الاجرامية التى تدبر ضد بيتر كليفتون . وفى هذه اللحظة تحول حبها الشديد لوالدها الى كراهية باردة قاسية !

الفصل الخامس عشر

المتآمران

كانت آمال دكتور ويلز كبيرة حينما انتقل الى شارع هارلى . كان يريد أن يحول جزءا من منزله الكبير الى مستشفى عقلى خاص وكانت المصادفة التي قادت بيتر اليه ، هي التى أوحت اليه بهذه الفكرة ، وكان قد أعد جناحين من منزله لهذا الغرض ، ولكنه حينما انتهى من العمل اكتشف أن السلطات لن ترخص له بذلك . فأهمل مشروعه وقد أوشك أن يتم

وبعد أن غادر المفتش بورك منزله ، جلس الى مكتبه ، وكتب عدة ورقات بحجم الفولسكاب ، أودعها ظرفا عنونه : « الى سلطات الامن » ، ولكنه فى اللحظة الاخيرة عدل عن ارساله ، ووضع الظرف فى جيبه ، ثم اتجه الى السلم ، وصعد الى حيث تتفرع السلالم وكان أحد الافرع قد أغلق بباب ، ففتحه ، ثم أغلقه خلفه ، ودخل شقة صغيرة

ونهضت السيدة التى كانت تجلس فى الفراش ، وقالت فى جزع :

ــ ماذا حدث يا دونالد ؟

ــ لاشيء ، لا داعى للقلق ، لن أقطع رقبتك !

واضاء النور فقالت مارجورى فى ضراعة :

ــ انك ستكون معقولا يا عزيزى دونالد ، أليس كذلك ؟ اننى اقسم لك أننى لن أكون مصدر متاعب . لن أثرثر بعد الآن ، فقط اسمح لى بالخروج من هنا

ــ انك فى المانيا ! وستبقين هناك ثلاثة أو اربعة اشهر . لقد نشرت الخبر فى الصحف ! ...

ــ ولكن لماذا فعلت ؟

ـ انت ثرثارة ماكرة ، لقد كنت من الذكاء بحيث عرفت انني أروج اوراق النقد المزيفة ، وبدافع من الحقد ختمت اسمي وعنواني على حداها . لقد استغرقت وقتا طويلا لاعرف هذه الحقيقة ، وحينما عرفت لم أجد امامي سوى طريقين : ان ابقيك كزوج محب وفي زوجته ، أو أن أضعك فيمكان يبعد عني ضررك . الواقع يامارجوري انك اصبحت خطرا حقيقيا ، خطرا اسوأ من صديقنا المفتش بورك الذي كان هنا الآن ، يهددني بالويل والثبور وعظائم الامور

ـ ولكنني زوجتك يا دونالد ، ولا أصلح للشهادة ضدك ، هكذا يقول القانون

ـ لقد عرفت هذا اذن ... انه لايساعد كثيراً على كل حال ، فلا يمكن أن تثرثري بالمعلومات الى أي شخص آخر ، وهذا ما تحاساه ، لا تقلقي فكل امرىء يعرف انك سافرت الى الخارج ، لقد تحملت نفقات ارسال أحد رجالي الى هوننذا ليبرق الى صديقتك مسز كليفتون

فقالت بلهجة تهديد :

ـ ان الخدم لن يسكتوا

ـ لقد احتطت لهذا أيضا ، فأرسلتهم جميعا في أجازة ، ما عدا فرانك الذي سيبرح الدار غدا ، وسأقوم انا بالاعمال المنزلية

ـ لن تتمكن من حبسي هنا الى الابد !

ـ سأبقيك حتى أعلن على الملا انك شريكة في الاجرام

ـ يا اله السماء ! انت لا تعني أنك ستجعلني أقتل أحدا ؟

ـ ولم لا ؟!

ثم ضحك واستطرد :

داعي لذلك ، انني لا أريد ان تغمسي يديك الجميلتين في الدم ، ان الحالة التي أريد خلقها بسيطة : انني سأخيفك الى أقصى حد ، حتى لا تعودي الى ارتكاب خدعك . ولن يحدث هذا الا اذا أشركتك في خطة من خططي

واجاب على سؤال لها قائلا :

ـ نعم ، ان بورك يحمي بيتر ، واعترف انه كاد يفقدني توازني ، لقد انفقت ألف جنيه على روبر ، وهو لا يساوي مليما

فقاطعته مارجورى قائلة :

ــ دونالد ... هل انت ملك المزيفين ؟

ــ ان لى أعمالا كثيرة ، ولكن التزييف ليس احدها

ــ ولكنى رأيت الكثير من أوراق النقد المزيف معك ، فمرةوجدت ربطتين فى حجرتى ، وحين مزقت غلاف احداهما ، وجدتها تحوى رزمة كبيرة من أوراق النقد الاجنبى

ــ وهذا سبب جديد يبرر ابعادك عن الطريق ، ان العشرة الطويلة تجعل المرء أحيانا عاطفيا

ــ لست أفهم ماذا تعنى

ــ اننى أحاول أن أبرر لماذا ابقيتك على قيد الحياة حتى الآن . الواقع يا عزيزتى أننى لست مزيفا ؛ اننى مجرد ترس فى آلةضخمة معقدة ، و هكذا كنت ، أما الآن فأنا أحد العمد ، بفضل مثابرتى وجدى . هيا اختزنى هذه المعلومات حتى تلتقى بأصدقائك ، لتكون مادة خصبة للثرثرة !

كان يعرفها جيدا ، ويدرك انها أصبحت فى حالة رعب شديد ، فاذا أمكن أن يبقيها على هذا الشعور ، فقد أمن شرها ، واستطرد :

ــ ان زعيمى رجل قاس . وكنت أخشى أن يطلب الى التخلص منك نهائيا ، ولكنه لحسن الحظ لم يطلب منى ذلك حتى الآن

ــ ماذا تريدنى أن افعل ؟

ــ عليك ان تشتركى فى الجريمة ، وسيكون اول عمل اجرامى لك خطابا الى بيتر . لقد اعترفت لى مرة بانك تحبينه ، ومن ثم فان « العمل » سيكون سهلا ، خصوصا واننى لن اشعر بالغيرة مهما كان الخطاب عاطفيا ، وستكتبين الخطاب على ورق « كونتيننتال برلين » وعليك أن تشيرى الى الاوقات « الطيبة » التى قضيتها معه ، وأن تلمحى الى أنها لم تكن أوقاتا بريئة ، ثم تعبرى عن شوقك الى رؤيته !

ــ أتريد اثارة غيرة « جين » ؟

ــ ارجو ان توقفى استخدام ذكائك ، فجين لا تحبه

ــ ولكن متى أخرج من هذا المكان ؟ انه فظيع !

ــ عليك أن تمارسى الالعاب الرياضية !

ولم يكن قد نام فى الليلة الماضية ، ولكنه انتعش بعد الحمام وبدا كأنما استيقظ من نوم عميق منعش . كانت امامه مهـام كثيرة ، فقد بلغ قمة « العمل » ، وأى خطوة خاطئة قد تدمره ، وزاره روبر بخصوص قضية لونجفورد . وكان متوتر الاعصاب فقال له :

ـ يؤسفنى اننى لن أتمكن من تقديم خدمات جديدة لك ، لقـد اوقعتنى فى مآزق كثيرة ، وأحرجتنى مع بورك ، انه اكبر رجل فى اسكوتلاند يارد ، وهو رجل غامض لا أفهمه . انه لا يتستر على بيتر كليفتون الا اذا اعتقد انه برىء ، أو عرف الذى ارتكب الجريمة

ـ هراء ، من غيره ارتكب الجريمة ؟

ـ هذا ما كنت افكر فيه ، اننى اعرف أساليب بورك ، انه يحتفظ بمعلوماته حتى الوقت المناسب . ودعنى أقول لك شيئا آخر ، ان بورك لا يتستر حتى على أخيه ، وانت لا يمكن ان تشتريه ، فاذا كان يعتقد ان بيتر هو الذى ارتكب الجريمة ، فانه يضع بيتر فى السجن .. حقيقة اننى خائف !

ـ أنت خائف ؟

ـ نعم ، فأنت لا تعرف كم من مخبرى البوليس المرتشين كشفهم بورك وطردهم ، ولهذا فانى خائف ، ان الرؤساء يأخذون كلام بورك قضية مسلمة

ـ وأنت تخشى بأسه ، لا تكن أحمق يا روبر ، ليس هناك ما يمكن أن تخشاه فقد أديت واجبك جهد طاقتك ، وأنت لا تتستر على أحد ، بل تحاول أن تقدم القاتل الى العدالة . وهم لا يطردون الناس من اسكوتلانديارد لهذا السبب

ـ قد يصح هذا القول اذا قدم المجرم الحقيقى . ان فى هذه القضية كثيرا من النقط التى لا أفهمها . فأنت تقول أن بيتر كليفتون ارتكب الجريمة ، وانك رأيته نائما فى فراشه وقد تلوثت ملابسـه بالدم،وقلت لى اننى سأجد ملابسه الملوثة فى شقته فى كارلتون هاوس تيراس ، وانه يحتفظ بأجندة يدون فيها أعماله عن التزوير ، ولكنى لم أجد شيئا من هذا . وقد نقلت المعلومات التى أعطيتنيهـا الى الضابط المحقق فى سيدنهام ، فلم يجد المسدس ، أو أى دليل على أن بيتر كان هناك ليلة الجريمة .. فكيف علمت أنه كان هناك ؟

وكانت لهجة روبر واضحة العداء ، وبدأ دونالد لاول مرة يشك فى نجاح خطته . لقد أنفق مبلغا جسيما على الضابط ، وكان له العذر ان اعتقد انه كسبه الى جانبه

واستطرد روبر يقول فى ارتياب :

ــ لماذا لا تتقدم بشهادة رسمية تقول فيها ان بيتر اعترف لك انه ارتكب الجريمة .. ان كان ما تقوله صحيحا ؟

وكان دونالد يوشك أن يقول للضابط أنه يحمل الشهادة فى جيبه، ولكنه سأله :

ــ هل هناك أنباء عن ملك المزيفين ؟

وتردد روبر ، الذى لم يكن من قبل يتردد فى الافضاء له بأدق اسرار اسكوتلانديارد ، واخيرا قال ببطء :

ــ نعم ، يقول البوليس الفرنسى انه من المنتظر اغراق السوق بكميات ضخمة من أوراق النقد الهولندى خلال هذا الاسبوع ... وعلى فكرة لقد شفيت مدام انترسوهن ، هل كنت تعرف أن هيل ابنها ؟

ــ انه أغرب اكتشاف وقفت عليه !

وكان روبر فى طريقه الى قصر لونجفورد ، فانتظر دونالد حتى انطلقت سيارته ، ثم خرج الى شارع اكسفورد ، كان على موعد مع مدير البنك الذى يتعامل معه ، وكان دونالد رجلا ذكيا ، يعرف متى يسحب أمواله . وكانت سوق الاوراق المالية فى هبوط بسبب الحرب فى الشرق الاقصى ، فقال له المدير :

ــ انتظر ... لدينا أخبار بأن قيمة الاوراق المالية سترتفع خلال أسبوع

ــ اننى أفهم ، ولكن خلال الاسبوع القادم سأحتاج الى مبلغ جسيم من المال ، ولابد لى من البيع ، حتى ولو خسرت !



وحين غادر المبنى كان يفكر فى « عمل » كبير . كان تهديده بحبس زوجته ثلاثة أو أربعة أشهر مجرد تهويش . فاذا لم تنجح خطته خلال الاسبوع القادم ، فانه سيكون فى حاجة الى جميع أمواله ... وذكائه !

كانت مشكلته فى الواقع هى مارجورى . لقد حبسها فى نوبة غضب ، واخترع حكاية سفرها الى الخارج . والواقع أن بقاء مارجورى خلف الابواب المغلقة لا يقل خطرا عن حبسها . فقد تلجأ الى النافذة وتستنجد بالمارة ، فى حين أنه اذا أطلق سراحها فقد يكسب طاعتها ، بل وقد تخدم أغراضه ... الخطوة التالية اذن هى أن يكتسبها الى صفه ، ويضمن تعاونها باخلاص معه

وحين عاد الى منزله كان الخادم يرتدى ملابس الخروج تأهبا للقيام باجازته . وقال لسيده ان روبر اتصل به تليفونيا مرتين

ـ حسنا ... على فكرة يمكنك أن تبقى ثلاثة اسابيع فى الاجازة بدلا من يومين ، واذا احتجت اليك سأبرق لك

وانتظر حتى أغلق الخادم الباب ، ثم صعد الى سجن زوجته ، وقال وهو يفتح لها الباب على مصراعيه :

ـ يمكنك أن تخرجى الآن !

فأسرعت تغادر الغرفة وهى لا تصدق أذنيها ، وتمتمت ببضع كلمات غير مفهومة تشكره ، وظلت تثرثر وهو يقودها الى حجرة الطعام . وأخرج طعاما محفوظا من الثلاجة وضعه على المائدة ، وفتح زجاجة من الشمبانيا وملأ لها قدحها ، فقالت فى ارتياح :

ـ كان من الحمق أن تبقينى هناك ، ويمكنك أن تثق فى يادونالد

ـ هل كتبت الرسالة ؟

فقدمتها له وهى تقول :

ـ أرجو الا تجرحك محتوياتها ، لقد قلت لى أن ...

وشرع يقرأ الرسالة ، واختصر سطرا أو سطرين ، ثم أضاف جملة هنا وجملة هناك ، ثم قال :

ـ هذا أفضل ... سأجعل منك متآمرة ، والآن تفضلى الغداء

ولم يأكل هو الا قليلا ، وان شرب الجزء الاكبر من زجاجة الخمر وكانت هناك منضدة صغيرة للكتابة فى قاعة الطعام ، فوضع عليها بعض الاوراق وظرفا ، وقال لها :

ـ هيا أعيدى كتابة الرسالة ، وبعد ذلك لى حديث معك

واشعل لفافة تبغ وهو ينتظرها ، حتى اذا فرغت من كتابة الرسالة قرأها بامعان ، ثم طواها ووضعها فى الظرف الذى كانت قد كتبت

عليه العنوان ، ثم قال :

ــ حسنا ، اشربى قدحك

ــ هل ستكتب الى الصحف قائلا اننى عدت ؟ اننى لا أطيق البقاء فى هذا المنزل طوال الوقت

ــ ستبقين هنا على الاقل خمسة أيام لن تخرجى قبل تقديم بيتر للمحاكمة . وسأراه اليوم ، اننى لا أثق بك الا حين تكونين فى عزلة عن أصدقائك

ــ لقد وثقت فى من قبل ، هل قلت للبوليس فى نون هيد اننى رأيتك تضع شيئا فى دواء مسز ستيلمان العجوز ؟ !

ــ لا ، ولو كنت قلت فما كان لشهادتك ضد زوجك اية قيمة

ــ ماذا تنوى أن تفعل مع بيتر ؟ ماهى خطتك ؟ آه ، ليتنا بقينا فى نون هيد بعيدا عن هذه المشاكل

ــ اسمعى يا مارجورى ، انت امرأة تكره الفقر ، وسأقنعك بمنطقك اذا لم تتعاونى معى ، فقد يحدث لى شىء ، وفى هذه الحال ستفقدين كل شىء . وأنت تعرفين أن لك موهبة فى خلق الاعداء ، فلن تجدى صديقا واحدا يقرضك قرشا واحدا ، ومعنى هذا هوالفقر ،واضطرارك ان تعملى لتكسبى قوتك ، ويمكننى الآن أن اتخيلك فى فقرك تجوبين الشوارع سيرا على الاقدام ، وتتطلعين الى أصدقائك القدامى فى سياراتهم الفارهة فى طريقهم الى حفل أو مسرة . أيسرك هذا ؟

ــ لا تكن أحمق يادونالد ، اننى سأتعاون معك بالطبع

ــ اننى اريد صداقتك ، وأنا مستعد للدفع

وأخرج قصاصة ورق من جيبه ، واستطرد :

ــ لقد دفعت هذا الصباح مبلغ عشرة آلاف جنيه فى حسابك الخاص لاضمن لك السلامة

ــ جميل منك ان تقدم لى كل هذا المال ، فماذا تريدنى ان أفعل ؟

ــ اولا ــ وهذا مهم ــ عليك أن تبقى فى المنزل ولا تظهرى ، ويبدو أن عليك أن تقومى بالخدمة والطبخ ، ولكن هذا سيكون لأيام قليلة ثانيا ــ أريد أن تكونى على أهبة الاستعداد للسفر الى الولايات المتحدة وقد أعددت جواز سفر ك

ــ سأفعل اى شىء ...

ـ وسأزيد العشرة الاف الى خمسين الفا ، اذا كنت فتاة عاقلة
وكان متأهبا للخروج حين دق جرس التليفون، وكان المتحدث روبر :
ـ لقد كنت أحاول أن اتصل بك طوال الصباح
ـ ماذا حدث ؟
ـ لقد عثرنا على شيء هناك في بئر مهجورة في الفناء الخلفي لقصر لونجفورد ، وكان أحد رجالي قد أزاح عنه الغطاء بالمصادفة ، فماذا تظنه رأى ؟
وكان يمكن دونالد أن يخمن ، ولكنه لم يفعل ، واستطرد روبر :
ـ مطبعة وكليشيهات ··· انه جهاز كامل لتزييف البنكنوت ، ولدينا شهادة ابن البستاني ، لقد رأى كليفتون يحمل شيئا ويسير في اتجاه البئر !
ـ هل يعلم بورك ؟
ـ كلا ··· كان رجاله قد ذهبوا في مهمة بالقرية، ولكنه سيعرف، لقد أخرج رجالي كل شيء من البئر الآن
وابتسم دونالد وهو يضع السماعة ، ولم يكن متأكدا ان كانت الاخبار الاخيرة ستساعده أم تعرقل خطته · ودخل الى معمله وفتح خزانة في أحد الاركان ، وأخرج صحيفة قديمة مطوية ، وسار بها الى مكتبه فأودعها ظرفا . انه لن يدع شيئا للظروف ، فقد يحضر بورك ويفتش محتويات المنزل، فآمن مكان لوثائقه هو خزانة محاميه، فكتب على الظرف كلمة « خاص ، يحفظ مع وثائقي ولا يفتح أبدا »! ثم وضع الظرف في مظروف كبير ثم أغلقه ، ثم دخلت مارجوري وقالت:
ـ هل أنت مشغول ؟ لقد كنت أفكر فيما قلته لجين ، انك لن تخطيء في حقها ، أليس كذلك ؟
ـ ماذا تعنين ؟
ـ أعني انها ليست غبية ، وليست سهلة كما تظن، فهي تحب بيتر
ـ هراء ، انها تدافع عن بيتر من باب الواجب ليس الا
ـ انها تحبه ، وهي تشك فيك ··· وفي !
ـ الفضل في هذا لثرثرتك . ولكنها أيضا تحب والدها
ـ صديقي ـ فاذا تحرج الامر فانها ستأخذ جانب والدها
ـ انني لا أعتقد هذا

ـ حسنا ، أظنك مخطئة ، ولكنى سأكون على حذر

ولم يكن دونالد يؤمن بذكاء النســـاء ، ومن ثم لم يكن يعد جين كليفتون عقبة . وكان غارقا فى هذا التفكير حين كتب العنوان على الظرف بسرعة ووضعه فى جيبه • انه سيراها هذا المساء ، وسيحكم عليها فى ضوء هذا التحذير

وسارع الى شارع وينجمور ، وسجل خطـابه وهو لا يزال يفكر فى الفتاة • وشعر بقلق لم يدر كنهه • واستقل سيارة أجرة ،وفى طريقه الى سانت جون وود كان هذا القلق الغامض لا يزال يساوره• وبارح التاكسى أمام منزل جون ليث ، وطلب من السائق أن ينتظر• وكان جون ليث ينتظره فى الحديقة ، فبادره ويلز :

ـ سأجرب حظى الليلة

ـ أتمنى لك التوفيق !

وكان جون ليث بادى الاضطراب ، فقال ويلز :

ـ اننى أعجب كيف أتيح لرجل مثلك أن ينضم الى جماعتنا

ـ ربما بنفس الطريقة التى انضممت أنت بها ، ولو أنك أفضل أهلية منى لهذا

ـ هل قابلت ملك المزيفين ؟

ـ ليس وجها لوجه ، وربما حدث لك نفس الشىء ، لقد تبادلت الحديث معه فى غرفته المسرحية ، وأخـــذت نقودا ، وحملت نقودا والخوف يتملكنى ، وكان أبعد مكان هو بوخارست

ـ اننى قلق على نفسى ، وعليك ، وعلى جين

ـ أى وحش أنا ؟ لقد كنت أظن أن الامور يمكن أن ترتب بسرعة وسهولة ، ولم أكن أضع فى حسابى قتل بازيل ، كنا نريد ان نرتب جريمة مزيفة !

ـ لقد قتله أحد الصيادين المتسللين خطأ ، ان بورك يعتقد هذا

ـ ورادلو ؟ هل قتله الصيادون خطأ ؟ لقد قتل عن عمد يادونالد، اننى خائف ، لقد تعدت هذه المسألة الحدود ، لقد كانت فكرتك أن تضع جين فى هذا المأزق

ـ ووافقت أنت

ـ انها تحبه ، لقد كنت مجنونا حين وافقت على خطتك ، ولكن

المليونين أزاغا بصرى ، وكان كل شيء يبدو بسيطا سهلا

ـ هراء ، كيف يمكن لأي امرأة أن تحب رجلا مجنونا

ـ يخيل الى أنك ترمى الى شيء خاص ...

ـ ان أعصابك ليست على ما يرام

ـ معذرة ، ولكنى حين أرى رجلا يتأهب لمغادرة البلاد ، فانى اما أن أتخيل خطرا ماحقا ، أو هدفا خاصا ، لقد كنت تبيع سنداتك طوال الايام الثلاثة الماضية ، وكنت اليوم مختليا بمدير مصرفك أكثر من ساعة

فنظر اليه دونالد فى فزع ، ثم قال ساخرا :

ـ تحياتى الى رئيس جواسيس ملك المزيفين

ـ اننى أؤدى الجانب الذى أختص به ، فأنا لم أعد شابا أقوى على السياحة فى طول أوروبا وعرضها ، لأوزع طرود البنكنوت المزيف

ـ لا داعى لانتحال الاعذار ، ودع من رأسك فكرة أننى أخدع رئيسنا ملك المزيفين ، وسأحيطك علما بما يقوله بيتر ، ولو أن هذا لن يكون له فائدة ، فلا شك أن أحد جواسيسك سيخبرك قبلى

وراح جون ليث يرقب الطبيب وهو يعبر الحديقة وهو فى طريقه الى الباب ، ثم جلس يفكر ، ثم قام ليتلقى مكالمة تليفونية :

ـ معذرة يا سيدى ولكنى أعرف أن مدام انترسوهن تحتفظ بمسدس ضخم فى حجرة نومها . رأيتها تطيل النظر اليه اليوم

فرد جون ليث فى مرح مفاجىء :

ـ شكرا !...



دق الدكتور ويلز الجرس ، ففتحت جين الباب ، فقال فى دهشة:

ـ ماذا حدث ؟ هل طردتم الخدم ؟

فلم تجب جين ، وبنظرة واحدة أدرك الرجل الذكى أى تغيير حدث لها منذ رآها لآخر مرة ، لقد بدت له الآن امرأة ناضجة ، وعاد الى ذهنه تحذير مارجورى . وقالت جين :

ـ تفضل ...

ـ كيف حال بيتر ؟ أليس هنا ؟

ـ انه هنا !

ـ ماذا حدث يا جين ؟ هل أزعجتك بطريقة ما ؟

ـ كلا يا سيدى الطبيب ، هل تتفضل بالدخول ؟

ـ سيدى الطبيب ؟ منذ متى كنت لك بمثابة « سيدى الطبيب » ؟ ماذا حدث ؟ ربما كانت زوجتى الثرثارة هى السبب فى هذه الجفوة. الواقع أنه لا ينبغى أن تأخذى كلام مارجورى على محمل الجد ...

ـ لقد كنت أطلب الى بيتر ألا يأخـذك أنت على محمل الجد ، ان مشكلة بيتر أنه ، وهو الرجل المخلص المستقيم ـ يعتقد أن جميـع الرجال على شاكلته

ـ يبدو أننا سنكون عرضة للتقريع ... أين بيتر ؟

ـ فى المكتبة ، سأقول له أنك حضرت ، ولكننى أريد قبل هذا أن أتحدث اليك على انفراد

وكانت رسمية جدا فى حديثها الجم الادب ، فاحتار : هل يغضب أم يندهش :

ـ معنى هذا أن شيئا فظيعا فى الطريق ، ما هو ؟

ـ هل بيتر مجنون ؟

ـ يا له من سؤال ، ألسنا جميعا مجانين ...

ـ سؤالى هو : هل بيتر مجنون خطر بحيث يحتاج الامر الى وضعه فى مستشفى خاصة ؟

ـ ان صحة بيتر تخصه وحده ، ولا يمكننى الخوض فى الحـديث عنها الا بموافقته

ـ ان الامر يخصنى أيضا بصفتى زوجته ، وحين أصبحت كذلك تحملت مسئولية فادحة ولى حقوق منحنى آياها القانون يا دكتـور ويلز ، فلى الحق فى معرفة حالة زوجى الصحية والواقع أننى الشخص الوحيد الذى يملك هذا الحق

ـ ولماذا لا تتحدثين الى والدك ...

ـ اننى أتحدث اليك ، وسأكون صريحة جدا معك ، آذا لم تدل برأيك فى صحة بيتر الآن وقبل أن تراه،فاننى سأطلب اليك مغادرة هذا البيت فورا

وفغر فاه من فرط الدهشة ، وقال :

ـ ولكن يا عزيزتى جين ، هذه طريقة جافة مع صديق قديم،وأنا

فى الحقيقة لا أحب الطريقة التى تتحدثين بها مع والدك ...

ـ أظن من الافضل ان تنادينى من الآن فصاعدا «مسز كليفتون»

وهنا أدرك ويلز حرج موقفه ، فان البرود والتعالى من جانبها أدهشاه فى بداية الامر ، ثم أغضباه ، فقال فى جفاء :

ـ ما هذا ؟ من الخرق أن يتظاهر المرء ...

ـ نعم اننى أتظاهر ، ومنذ هذا الصباح سأكون أنا المتصرف الوحيد فى حياة زوجى

وساد صمت مؤلم ، وأخيرا قال :

ـ حسنا ، ان بيتر ليس فى حالة عقلية طيبة ، لقد كان والده كما تعلمين قاتلا مجنونا ، وكان جده يعانى من نفس المرض ، ولدى من الاسباب ما يرجح أن بيتر قد ورث هذه الخصال عن أسلافه

ـ ما الذى جعلك تصل الى هذا القرار ؟

فقال وهو يحاول أن يضبط أعصابه :

ـ هناك عدة أسباب ، لست مستعدا فى هذه اللحظة أن أناقشها ، فأنا موقن من أن بيتر قد ارتكب جريمة فظيعة وهو فى حالة غيبوبة ، أى وهو فى حالة عقلية لا تمكنه من أن يتذكر ما فعل

ـ تعنى مقتل بازيل هيل ؟

ـ نعم ، وأنا أيضا مقتنع أنه ارتكب جريمة الليلة الماضية ، لقد فحصه كليورز الاخصائى المشهور ، وهو يعتقد أن هناك خوفا من عودة المرض

ـ هذه ليست القصة التى قلتها لبيتر

ـ انها القصة الحقيقية على كل حال ، وصدقينى يا جين اننى لست مستعدا لاضاعة الوقت فى محاولة اقناع فتاة ...

ـ أنت لا تناقش فتاة ، وانما تناقش زوجة بيتر كليفتون

ولدهشته نهضت ، وفتحت أحد الابواب وهى تقول له :

ـ سآخذك الى بيتر

وكان عليه أن يمر بالصالون ، فأدرك على الفور أن الزوجين لم يكونا وحدهما ، وانما كان لديهم عدة ضيوف ، فقد وجد على المنضدة ابريقا للشاى وعدة أكواب مستعملة ، وطرقت جين أحد الابواب ، فسمع صوت بيتر يأمر بالدخول ، ولدهشة ويلز لم تدخل الغرفة

معه • وكان بيتر يكتب حين دخل ، فوضع قلمه،وقام يرحب بضيفه :

ـ هالو دونالد ، انك تبدو أحمر الوجه ، هل تشاجرت معك جين؟

ـ لست موقنا أنها كانت مشاجرة ، ولكنها صعبة المراس على كل حال

ومد يده وأخذ سيجارة ، ثم سأل :

ـ من كان هنا ؟ بورك ؟

ـ كلا لقد دعت جين ثلاثة من أصدقائها الرجال لتناول الشاى . لقد كانوا مسلين جدا ، وان لم أكن فى حالة تسمح بالتسلية ..

ـ لقد كان أمرا فظيعا ذلك الذى حدث ليلة أمس

ـ أتعنى رادلو ؟

ـ نعم ..

ـ هل تعتقد .. ان لى شأنا بها ؟

ـ هل تعتقد أنت ، اننى لن أتحدث فى هذه المسألة يابيتر . الواقع ان عليك أن تتخذ قرارا مهما ، لمصلحتك ولمصلحة جين ، فمن الواضح أنك مريض ، وقد تظهر حقيقة هذه الجرائم ، وقد تحدث محاكمة وفضيحة ، وأعتقد انه من الافضل أن تتخذ تصرفا تسبق به الحوادث

وبقى بيتر جالسا الى مكتبه ، وقد عقد ساعديه فوقه ، وطأطأ رأسه ، ثم قال :

ـ وماذا تقترح ؟

ـ اقترح ان تقنع جين بوجهة نظرى ، ومن ثم يمكن الاتصال ببعض الرجال الذين يمكن أن يصدقوا على اقرار يتيح لك أن تدخل مؤسسة لتكون تحت اشراف أناس اخصائيين لمدة اربع سنوات ، تشفى بعدها جديا

ـ وبمعنى آخر ، أصم نفسى بالجنون

ـ يمكن القيام بالاجراء سرا ، وستكون جين هى المتصرفة الوحيدة فى ثروتك ، وربما أحببت أن تعيننى أنا ووالدها أوصياء .. اننى أريد أن اتحاشى الفضيحة ، فاذا اكتشف البوليس الحقيقة ، فانه لن يتخذ أى اجراء

ورفع بيتر رأسه ، وكان وجهه شاحبا حين قال :

ـ اليست هناك شبهة من شك ؟
ـ أبدا ...
ـ حسنا ، أرجو أن تبحث عن جين وتدعوها هنا
وكانت جين فى نفس الغرفة التى استقبلت فيها دونالد ، ولم تدهش أو تقلق لدعوة بيتر ، وفى المكتبة روى لها بيتر خلاصة الحديث ، ثم قال :
ـ ان خطة دونالد سليمة ، وعلينا أن نواجه الحقائق البشعة
ـ وماذا يقترح دونالد ؟
ـ انه سيرتب اقرارا طبيا . انت تعرفين ماذا أقصد
ـ اننى أعرف ، فسيشهد هو وطبيب آخر انك لست فى حالة عقلية طبيعية ، ومن ثم تؤخذ الى ...
فتدخل ويلز قائلا :
ـ اننى أعرف مكاناً طيبا ، انه منزل جميل فى الريف
ـ وأظن ان سير ويليام كليورز سيكون الطبيب الثانى ؟
فوافق دونالد ، وقال فى حماس :
ـ انه أعظم رجل فى مهنته
ـ ان هناك أناسا كثيرين يبدون رأيا غير هذا ، انهم يرون أنه غير جدير بشرف المهنة ، لانه لا يمارسها منذ وقت طويل ،ومعلوماته قديمة ، فضلا عن أنه سكير مهمل فى عمله !
فشهق دونالد ، ثم قال فى حدة :
ـ هذا كلام لا يليق ، انه من أشهر أطباء العالم
وتدخل بيتر قائلا :
ـ يحسن أن تتركى هذه المسألة لدونالد ياعزيزتى
ـ لقد تركنا الامر بين يديه وقتا طويلا ، وأنا على يقين من أن هذا الامر يمسنى ، ومن ثم فاننى لابد أن أكون متأكدة . فكيف عرفت أن بيتر مجنون ؟ هل هناك أعراض تميزه عن أى رجل آخر ؟
فقال دونالد ويلز على الفور :
ـ بلاشك ، هناك خصائص متميزة فى طريقة الحديث والنظرة والتعبير ، اننى لم أذكر هذا من قبل حتى لا أجرح بيتر

فقال بيتر فى ابتهال .

ـ بحق السماء دعونا ننتهى من هذا الامر الفظيع بسرعة

ولكن جين تجاهلته ، وسألت دونالد :

ـ أى أعراض ، ، هل تتضح هذه الاعراض لاى طبيب ؟

ـ لاى طبيب اخصائى بالحالات العقلية

ـ هل تظهر أمام سير جورج جراثمان ، أو دكتور هنريش ستراوس ؟

فحملق فيها دونالد ، فقد كان الاسمان لأشهر الاخصائيين ، ولدهشته ابتسمت جين وهى تقول :

ـ هل تعتقد أن سير فير دون جاكسون يمكن أن يكتشف أعراض الجنون فى أى انسان ؟

ـ بالطبع ، وسأستشير هؤلاء ان اردت ، ولكن الامر سيستدعى اثارة موضوع بازيل هيل ، وهو ما أتحاشاه

وصمتت جين ، وكانت الابتسامة لا تزال على شفتيها ، وأخيرا قالت ببطء :

ـ لقد أرحتك من التعب ، فهؤلاء الثلاثة كانوا هنا منذ لحظة !

فقال بيتر فى فزع :

ـ ماذا ؟ هل كانوا أولئك الرجال الذين دعوتهم لتناول الشاى؟

ـ نعم ، لقد دعوتهم لاننى أردت ان أتأكد من حالتك ، ورويت لهم كل شىء وطلبت منهم أن يكونوا فى منتهى الصراحة معى ، فأجمع الثلاثة على أنك أرجح عقلا منى !

وساد صمت عميق ، وحول بيتر رأسه ببطء الى دونالد ، وكان وجهه الشاحب يختلج ، ولكنه لم يتكلم ، فان حديث جين كان حاسما ، وأخيرا قالت :

ـ هل تريد أن تتخذ قرارا يناقض قرارات هؤلاء الرجال ؟

فقال دونالد فى غضب :

ـ نعم ، فأنا أعرف حالة بيتر جيدا ، ولا يمكن لامرىء أن يصدر حكما فى لحظة

فنظرت اليه جين ، وكان بريق عينيها مخيفا ، فأدرك دونالد فى لحظة أنه أمام عدو . وقالت :

ـ حسنا ، اننى أوافق على خطتك ، ولكن هؤلاء الرجال الثلاثة هم الذين سيقدمون الاقرار . فاذا أجمعوا على أنه مجنون فاننى سأوافق فى الحال ، ولكن اذا حدث هذا فان محامى سيتقـــدمون الى القضاء بطلب وضع ثروة بيتر تحت تصرف مجلس العدلية ، فهل يوافقك هذا ؟

وادرك أنها تعرف ، ولعل هذا كان سر شعور القلق الذى كان يساوره أخيرا ، فقد تبددت احلامه فى الثروة فجـأة ، ولكنــه لم ييأس ، بل قال :

ـ هل ستقولين لسير فيردون ان بيتر قاتل ، وانك وجدتهمغطى بالدم ؟

ـ يمكنك ان تروى له ذلك ، لانك تعرف كيف حدث هذا

وكان يمكن أن تنتهى المقابلة عند هذا الحد ، ولكنه بقى ! فقــد كانت لا تزال أمامه فرصة .. فقال :

ـ سأضع أوراقى على المائدة يا جين .. يا مسز كليفتون

ـ من الافضل ان تتحدث الى أنا

كان هذا هو صوت بيتر ، وكان هادئا رصينا ، بحيث ظنت جين أنه صوت رجل آخر غير بيتر الخائف المذعور الذى كان موجودا منذ لحظة ، واستطرد بيتر :

ـ ما هى أوراقك يا ويلز ؟ ولنبدأ بالاوراق الرابحة !

وجفل دونالد ، وكان قد اعد لكل شىء عدته ، ومع ذلك فقــد اخطــأ وقال :

ـ ما هو الثمن الذى تقدمه لراحتك ؟ ادفـــع لى مائة الف ، وسأكرس جهدى لاسعادك ، سأبذل كل جهد لتخليصك من المرض

وقام بيتر الى الباب وفتحه على مصراعيه ، وقال وهو يشير الى الخارج :

ـ لست فى حاجة الى جهودك ، تفضل

والتقط دونالد قبعته ، ولكنه لم يخرج ، بل قال :

ـ لقد اقتنعت بكلام زوجتك ، ونسيت الخدمات التى قدمتهــا لك

ـ لن اكون سوقيا ، فأقول أننى دفعت ثمن خدماتك . نعم اننى

اقتنعت بكلام زوجتى ، اننى لم ادرك اى أحمق كنت الا الآن ، ولكنى بدأت أفهم

ومع ذلك فقد تردد دونالد فى الخروج ، وقال :

ـ أظن أنك تعرف أنه اذا علم البوليس بحقيقة مقتل هيل ، فانه سيقبض على زوجتك كشريكة .. فكر فى هذا

ولم يتكلم بيتر ، وانما اشار الى الباب ، ثم تبع زائره الى الباب الخارجى وأغلقه وراءه ، وحين عاد وجد جين جالسة تضحك ، فنظر اليها فى دهشة ، ثم اشترك فى الضحك . وقالت جين :

ـ انهم سيعلنون الحرب الآن !

وكانت تعلم ان الازمة قد قاربت نهايتها ، وان اعداءهما لن يتورعوا عن شىء ، ووجدت نفسها مدفوعة بدافع لاشعورى الى التليفون لتتصل بجون ليث والدها . فقال لها :

ـ حسنا ياجين ، ماذا قررت ؟

ولم تفهم لاول وهلة ماذا كان يقصد ، فسألت :

ـ قررت ؟ اوه .. اذن فقد كنت تعلم أن دونالد سيزورنا ؟

ولم تسمع ردا ، فكررت السؤال ، فقال :

ـ نعم كنت أعرف ، ماذا ينوى بيتر أن يفعل ؟

ـ سأقول لك يا أبى ان قلت لى شيئا

ـ سأقول لك ما تشائين يا عزيزتى

ـ لماذا ارسلت هيل الى قصر لونجفورد ليلة زفافى ؟

وسمعته يشهق ، وحين تكلم كان صوته حادا :

ـ هل قال لك ذلك ؟ لم أكن أريد المخاطرة بك ياعزيزتى .. مع بيتر ، بالنظر الى سجل عائلته الحافل ، فظننت ان وجود رجل ...

ـ اننى افهم يا أبى ، كنت تعرف ان بيتر مجنون ، ومع ذلك زوجتنى اياه !

ولم تنتظر ردا ، بل وضعت السماعة ، وظل جرس التليفون يدق بعد ذلك فى الحاح ، فلم ترد ، ومنعت بيتر من الرد ، وحين قدم جون ليث بعد ذلك بربع ساعة الى كارلتون هاوس تيراس ودق الجرس لم يرد عليه أحد ، فقد كانت جين ترقبه من نافذة غرفة نومها !

الفصل السادس عشر

المؤامـرة

عاد دونالد الى بيت صديقه جون ليث ليستشيره ، فوجـده رجلا محطما ، فلم ير جدوى من رواية قصة فشله ، فقـد عرف جون ليث القصة من لهجة ابنته ، وقال جون ليث لصـديقه فى غضب :

ـ لقد زل لسانك ايها الاحمق ، لقد حطمت كل ما كنت أعمل من أجله

ـ لقد كنت تعمل من أجل نفسك ، ولا فائدة من الغضب ، فالمسألة هى : ماذا نحن فاعلون ؟ لقد انتهى دور بيتر المجنون ، ولكن بيتر كمصدر للمال لم ينضب ، ويمكن الحصول على ربع مليون جنيـه من هذا الرجل اذا طامنت قليلا من غرورك

ـ غرورى ؟ ماذا تعنى ؟

ـ أعنى أن جين قد ضمنت الدور الذى تلعبه ، وستعلم انعاجلا أو آجلا أن والدها من عمـلاء ملك المزيفين ، فاذا علمت فلن تجـد عونا من جانبها ، وأنا أقترح أن تذهب الى بيتر ، وتوضح له موقفك

ـ أى موقف ؟

ـ انك تروج أوراق النقد المزيفة ، وانك تريد أن تغادر البـلاد حتى لا تجلب الفضيحة لجين ، وأنا لا أشك أن بيتر سيوافق

ـ ثم تأخذ أنت نصيبك ، هل خطر ببالك أننى لست حرا ؟ وانك أيضا كذلك ؟ واننى لا يمكن أن أرحل دون اذن ملك المزيفين ؟

فضحك دونالد فى احتقار وقال :

ـ عجوز المزيفين ! انها مسألة حياة أو موت ، هل تظن أننى كنت اتورع عن بيعه ان كنت أعرف شخصيته ؟ حقيقة انا أملك مالا كثيرا ،

ولكنى ضعيف فى مواجهة المال ، واريد دائما المزيد ، فاذا لم تنجح مع بيتر ، فتذكر ان تحت تصرف جين مائة ألف ، فاسرع يا جون لاننى أشعر أن هناك خطرا قريبا ، واريد أن أبتعد عن الطريق حين تبدأ الحرب !

ـ ماذا تنوى أن تفعل مع مار جورى ؟

ـ لقد دفعت فى نوبة جنون مائة ألف فى حسابها ، اننى أشعر بالضعف تجاه هذه المرأة ، ربما من جراء العشرة الطويلة ، لا تقلق من ناحية مارجورى ، والآن ماذا أنت فاعل ؟

ـ لن اغفر لنفسى اذا أقدمت على هذا العمل

وتركه دونالد وقد اقتنع بأن البذرة التى غرسها فى نفس الرجل ستثمر لا محالة ، وكان قد نسى أن يأخذ مفاتيحه معه ، فخشى أن تعثر عليها مارجورى . وما كاد يدق الجرس حتى فتحت له وقالت :

ـ هل وفقت فى مهمتك ياحبيبى ؟

فقال فى تهكم :

ـ جدا !

ثم دخل غرفة مكتبه ، فوجد مفاتيحه حيث تركها فى أحد الادراج فوضعها فى جيبه . وقالت مارجورى :

ـ هناك خطاب واحد مسلم باليد ، انه يبدو مهما

وأدرك من النظرة الاولى أنه مهم ، فرجل واحد هو الذى يكتب اليه على هذا الورق . وصرف ويلز زوجته بحجة احضار زجاجة شمبانيا وفض الخطاب ليجد ظرفا ثانيا ، ثم ثالثا . وكانت الرسالة مكتوبة على الآلة الكاتبة دون توقيع أو تاريخ ، فقرأها بامعان ، ووجد مع الرسالة مفتاحا وضعه فى جيبه ، وألقى الرسالة فى النار فى اللحظة التى عادت فيها مارجورى تحمل زجاجة وكأسين ، فلما لمحت ما فعل لم تنس أن تعلق :

ـ تحرق أسرارك ، أليس كذلك ؟

فغمرت قلبه كراهية شديدة للمرأة ، ولكن يبدو أن الرسالة أعادت اليه روحه المعنوية ، فاغتصب ابتسامة ردا على تعليقها ، ولاحظ أن يدها التى تملأ الكأس ترتعد ، فقال :

ـ أنت مضطربة الاعصاب

ــ نعم ، ولست أدرى لماذا

ــ لا داعى للعصبية ، وعلى فكرة ، بخصوص خطتنا .. ..

وأخرج الخطاب الذى كانت قد كتبته لبيتر والقاه فى النـــار ، ثم استطرد :

ــ لقد كنت على صواب بخصوص جين ، انها تحب زوجها.......

وتعشيا معاً ، وفى الثامنة خرج دونالد ، ورأته زوجته خـلال النافذة يستقل سيارة أجرة ، فجلست فى كرسى مريح وتراخت ، فقد كانت تعانى ازمة عاطفية : كانت مهددة بأن يذهب دونالد الى خزانته فى أى لحظة ، فيكتشف أن اوراق النقد التى سحبها من البنك هذا الصباح قد ذهبت . أن مارجورى لن تخاطر ، لقـــد علمهـــا السجن الانفرادى الذى أجبرها عليه زوجها هذا الدرس

وارتدت ملابسها بسرعة ، وحزمت أشياءها فى حقيبة ، وفحصت تذاكر السفر التى ستحملها الى القارة فى نفس الرحلة التى ادعى زوجها انها سافرت اليها ، وكانت تلقى النظرة الاخيرة على المنزل حين دق الباب بشدة ، فأسرعت الى غرفة المكتبة ، وتطلعت الى الطارق ، فوجدت رجلين على عتبة الباب ، وأحد رجال البوليس الرسميين يقف على الرصيف ، ففتحت الحقيبة ، واخرجت رزمة من اوراق النقد ، اخفتها بسرعة بين طيات ثيابها

وحين فتحت الباب ، كان الطارق هو بورك !



وجد بيتر فى بعد ظهر ذلك اليوم ومسائه سحرا لم يجده فى سائر ايام حياته الماضية . وتعشى مع جين مبكرا ، وكطلبها لم يرتدملابس الخروج . كانت أمامه جين جديدة ، جين ساحرة حافلة بالانوثة ، فتاة قادرة على أن تنسيه همومه الماضية . وكان قد حاول مرارا أن يناقشها فى أحداث الايام القليلة الماضية ، وكانت هى مراراتنتقل به الى حديث آخر أكثر بهجة . كانا فى غرفة المكتبة ، وحين تنتقل من كتاب الى آخر ، وبعد تردد قالت :

ــ بيتر .. هل تمانع فى القاء سؤال ؟

ــ تفضلى ...

ــ هل كان والدك عالما كبيرا ؟

ـ نعم ، هل وجدت كتابه ؟ انه بالمصادفة عن التزييف ، لقد كان كيميائيا مبرزا ، لقد توصل الى اكتشاف خاص بصناعة الحديد ، در عليه ثروة ضخمة

ـ هل فكرت يوما فى تزييف الاوراق المالية ؟

كلا ... ان مجرد الفكرة تخيفنى الى حد الموت

ـ ولكنك تجيد فن الحفر ، ان الامر ليس صعبا بالنسبة اليك ..

ـ جين ! من فضلك ، لنتحدث فى موضوع آخر

ـ اننى يا عزيزى بيتر لا أجد موضوعا آخر للحديث !

ـ هل تعلمين منذ متى تزوجنا ..

ـ منذ ألف سنة ، لقد أصبحت عجوزا فضية الشعر !

وصمت ، وارتعدت وهى تستعيد فى ذاكرتها أحداث الايام التى تلت زواجها منه ، وكان من الواضح أنه كان أيضا يفكر فى نفس الشىء ، فقال :

ـ هل تجدين معنى لعرض دونالد الخاص باعطائى نظرة سعيدة للحياة مقابل مائة ألف جنيه ؟

ـ ألم تتعب من الانفاق على السعادة ، لقد دفعت مائة ألف اخرى لتتزوجنى ..

فابتسم وقال :

ـ لقد كانت صفقة رابحة !

وسمعا صوتا فى البهو ، فقالت :

ـ انه ساعى البريد بلا شك ، لقد تعبت من الاجابة على رسائل طلب الاحسان التى ترد لك

وخرجت الى البهو ، ثم عادت بحزمة من الخطابات ، ووضعتها على المنضدة ، ثم بدأت تفرزها قائلة :

ـ انها كلها لك ، ولكن هذا لى

وفتحت عينيها على سعتهما حين عرفت الخط ، وقالت :

ـ انه من دونالد

وفضت الخطاب فوجدت بداخله ظرفا آخر ، وقالت حين قرأت ما دون عليه :

ـ ان الامر غامض : « يحفظ مع وثائقى ، ولا يفتح أبدا » !

ووجدت تحت هذه الكلمة اسم محام تعرفه ، فلم تتردد لحظة ، مع انها علمت أن الخطاب قد أرسل اليها بطريق الخطأ ، وقصت الخطاب وأخرجت محتوياته . كانت ورقة مصفرة منتزعة من جريدة قديمة ، وعلى راس الورقة قرات بخط دونالد :

« وجدت بعض الكتب ملفوفة بالمصادفة فى هذه الصحيفة بعد زيارة بيتر لى بثلاثة أسابيع . والصحيفة هى كمبرلاند هيرالد بتاريخ ١٨٩٨ »

فقال بيتر :

ـ كمبرلاند هيرالد ؟ هذا غريب ، لقد كانت والدتى تعيش هناك

ولم تجد شيئا مثيرا فى الصفحة الاولى ، فقلبت الورقة لتقرأ :

« وفاة الكسندر ولرسون »

« يؤسفنا أن نعلن خبر وفاة مستر الكسندر ولرسون ، مواطن كارلسلى ، وأبرز كيميائى فى عصره . كان مستر ولرسون قد عاد لتوه من سويسرا حيث كان يقيم . وكان فى طريقه الى كارلسلى حين جمح جواده ، فألقى بمركبته فى حفرة وأصيب مستر ولرسون باصابات مميتة . وقد ترك المتوفى زوجة وطفلا عمره ثلاثة شهور . وكان عمه وسميه مستر الكسندر ولرسون صاحب مناجم الحديد المشهور فى ميدلزبورو ، يقيم فى منزل مستر ولرسون ساعة وفاته ، فقد كان من المعروف أن تجارب المرحوم مستر ولرسون بخصوص صهر الحديد ، تبشر بنجاح عظيم »

ونظر كل منهما الى الآخر ، وقال بيتر :

ـ سنة ١٩٠٠ ؟ هذا مستحيل

ـ متى توفى والدك ؟

ـ سنة ١٩١٩

فأشارت جين الى صورة مطموسة للمتوفى وقالت :

ـ أليس هذا والدك ؟

ـ كلا .. انه ليس على الاقل الوالد الذى اعرفه ، ولكن ما هذا المثبت الى الصحيفة بدبوس ؟

فنظرت الى الاقصوصة التى لم تلاحظ وجودها فى مبدأ الامر ، وقرأت :

« لا تغيير في الاسم »

« تزوجت مسز ولرسون ، قريبة المرحوم الكسندر ولرسون ، يوم الثلاثاء الماضي من عم زوجها الذي يحمل نفس الاسم . وسيرحل الزوجان الى الريفييرا . وسيرافق العروس ابنها الذي يبلغ عمره سبعة أشهر

وقالت جين في تأثر بالغ :

ـ حسنا ، هل تفهم معنى هذا السر الغالي الذي كان يحتفظ به ويلز ؟

ـ انني لا افهم هذا ، لقد تزوجا في نوفمبر سنة ١٩٠٠ ، وولدت أنا في مارس سنة ١٩٠٠

ـ انك ابن الكسندر الاول يابيتر ، وليس الثاني الذي مات في مصح برودمور وهذا هو معنى ماجاء في وصية والدك : أن تكون جديرا بوالدك المجد المخلص .. ان هذا الامر لبديع بحق السماء !

وقبل أن تدرك ما هي فاعلة ، رأت نفسها تندفع بين ذراعيه ، فاحتضنها بيتر بقوة ، وقد عجز عن الكلام ، وبكت جين وهي تقول :

ـ ان هذا بديع .. ألا تفهم ؟

وفي هذه اللحظة ، اندفعت مارجوري الى الغرفة ، وقالت لاهثة :

ـ بيتر ، البوليس ! انه في منزلنا ، بورك ...

ـ وأين زوجك ؟

ـ لست أدري ، لقد غادر المنزل ، وكنت سأغادره حين دخل بورك ، لقد فتش كل شيء ، هل تعلم ماذا قال لي ، لقد قال : هل تعرفين ملك المزيفين ؟ قولي له اننا سنقبض عليه الليلة

ونظرت جين اليهما في ريبة ، وسألت نفسها : لماذا أصدر بورك هذا الانذار ؟ وشعرت بقلبها يهبط الى قدميها ، وبذلت جهدا جبارا لتتماسك ، وهي تقول لنفسها : « يجب أن تؤمني ... يجب »

وقال بيتر لمارجوري :

ـ ولماذا أراد بورك ان يحذر ملك المزيفين ؟

ـ لست أدري ، هل تعرف من هو ؟ هل هو دونالد ؟ انه أمر فظيع ، ان في منزلنا مخبرين يفتشون كل ركن فيه ، وهم يقولون ان جميع المحطات قد وضعت تحت المراقبة ، دبرني ماذا أفعل ؟

فقالت جين :

ــ يمكنك ان تبقى هنا

ــ لا .. لا يمكن أن ابقى هنا ، فقد يحدث مكروه لدونالد ، وقد أساعده ، انه لا يعرف أن فى مقدورى أن أساعده ، لقد كنت جاحدة جدا لفضله ياجين

وكانت مارجورى على وشك الانهيار ، فأسندتها جين ، وقادتها الى حجرة النوم ، وعادت الى زوجها ، فلم تجده ، فذهبت الى حجرته ، ولكنها وجدتها خالية ، فأسرعت الى البهو لتجد رئيس الخدم الذى قال :

ــ لقد خرج مستر كليفتون ، ولست أدرى ماذا أصابه ، فانه لم يكن مرتديا سترته أوقبعته !

وأسرعت جين الى الباب ، وجرت فى الشارع ، ولكن بيتر كان قد اختفى ! وانحرفت الى بول مول ، فوجدت مكانا لانتظار سيارات الاجرة ، قرب نادى كارلتون ، وخمنت أن بيتر لابد قد استقل تاكسيا ، ونظر اليها سائق السيارة التالية فأشارت اليه ، فلما وصل مكانها سألته :

ــ هل تعلم أين ذهب السيد الذى استقل السيارة التى كانت أمام سيارتك ؟

ــ لقد ذهب الى شارع نولبى ، ولم يكن السائق يعرف المكان فدللته عليه

شارع نولبى ! المكان الذى فيه بلومبرج !

ــ اذهب الى كارلتون هاوس تيراس وانتظرنى

وأسرعت عدوا الى شقتها ، فوجدت مارجورى جالسة تبكى ، فارتدت ملابسها بسرعة ، واستقلت السيارة الى شارع نولبى

وكان شارع نولبى فى هذه الساعة من الليل خاليا ، فغادرت التاكسى عند أول الشارع ، وأسرعت الى باب العمارة التى يقطنها بلومبرج ، وضغطت على أول جرس قابلها ، فلم تتلق ردا ، واستدارت برأسها حين سمعت صوت سيارة أخرى تقف بالباب ، ورأت امرأة ضخمة تدخل ، كانت مدام انترسوهن ، فتوارت جين فى الظلام لتراقب

الفصل السابع عشر

طلقتان فى الظلام

كانت كل ساعة تمر بمدام انترسوهن على فراش المرض تزيدها يقينا بأن مكانها فى هذا الوقت ليس الفراش ، ورغم احتجاج الطبيب وجهود الممرضات ، غادرت الفراش وهى شاحبة الوجه وحشية النظرات ، مخيفة المنظر ، وطردتهن جميعا من المنزل ، ثم استدعت خدمها ، فدخلوا ليجدوها تغرق وجهها بالمساحيق ، وقالت لهم دون أن تلتفت :

ـ لا تسمحوا لطبيب أو ممرضة بالدخول ، وعليكم ان ترتدوا ثياب الحداد ابتداء من اليوم ، وسيصرف لكل واحد جنيها لشراء لوازم الحداد !

وفتحت حقيبتها ، وأخرجت ثلاثة جنيهات سلمتها لهم ، ثم صرفتهم . وقضت بعد الظهر فى احتساء البراندى من زجاجة كانت تحتفظ بها تحت وسادتها . وفى المساء كانت تذرع حجرة الاستقبال جيئة وذهابا . وكانت قد قالت لنفسها مئات المرات ان بازيل قد مات ، ابنها مات ! ابن الكسندر ولرسون !

واستعرضت فى مخيلتها تاريخ حياتها ، وزواجها من ولرسون ، وجنونه . وقالت لنفسها انها لم تكن تخافه ، حتى حين حطم أثاث المنزل ، وحاول ان يفتك بها ، وتدخل البوليس .. حتى فى تلك اللحظات لم تكن تخافه !

وبقيت طوال الليل ساهرة فى فراشها تفكر ، وجاء الصباح ، ومر النهار بطيئا ، وقرب المساء جاءها البريد بخطاب ، فقرأته متمهلة :

« أرجو ان تتفضلى بتسديد ما عليك من أموال ، وسأنتظرك فى

نفس المكان والزمان . فالآن ، وبعد موت ابنك ، أصبح من المستحيل أن يرث ثروة والده التى قلت أن له الحق فيها ، انه وحده الملوم، فقد حذرتك . وربما كان من الخير للجميع أنه مات . أحضرى معك جميع الاموال التى اقترضتها ــ ب »

وكان يمكن أن تطلق لغضبها العنان ، ولكنها لم تفعل ، بل فتحت درجا ، وأخرجت منه مسدسا المانيا ضخما ، كان قد أهداه بازيل اليهـا ، وارتدت معطفا من الفراء ، على الرغم من ان الليلة كانت دافئة ، ولكن كان للمعطف جيبا يمكن ان يختفى فيه المسدس الكبير بسهولة

وأحضرت الخادم قدحا من الشاى ، فجلست ترتشفه ، وقـد أطلقت لعواطفها العنان

بلومبرج ! لقد كان هو الذى هدد ، ونفذ ... انه عدو ، لقـد باعها لبيتر ، عدوها اللدود الذى سلب حقوقها ، وسحقها ، وقتل ابنها . بلومبرج يجب أن يطلب الرحمة ، يجب أن يركع أمامها . وكان أمامها ساعتان على الموعد الذى حدده بلومبرج ، ولكنهما مرا بسرعة ، وحان الوقت .. فقامت تترنح ، واستقلت سيارة أجرة وكانت الساعة تدق التاسعة حين غادرت السيارة ، وكانت السماء تمطر بغزارة

ودقت الجرس ، فسمعت طقة القفل الاوتوماتيكى وهو يفتح ، فدخلت وأغلقت الباب خلفها ، وصعدت السلالم الضيقة ، وعلى عتبة الطابق العلوى توقفت لتلتقط أنفاسـها . وأمسكت بيديهـا الندبتين قبضة المسدس من تحت ثيابها ، ثم دخلت ، وتحسست المنضدة والمقعد وجلست . ومدت يدها الى الحاجز المعـدنى وهمست :

ــ هل أنت هناك ؟

ــ نعم ، هل أحضرت النقود ؟

وبدأت تقول فى صوت مرتعش :

ــ ابنى ...

فقال لها الصوت فى غضب :

ــ ابنك كان مجنونا كوالده ...

واستمدت المرأة شجاعة من موجة غضب جارفة اجتاحتهـــــا ، فقالت وهى تخرج المسدس الضخم من بين طيات ثيابها :

ـ أنت تعلم كل شيء عن مصرعه ، أنت وبيتر ، وتلك الفتاة التى تزوجها ، اليس كذلك ؟

ـ لا تكونى حمقاء ، لقد حذرنا بازيل هيـــل ، لقد كانت لديه تعليمات ولكنه تجاوزها ...

ـ كذا ... اليس كذلك أيها القاتل ؟

وفجأة بهر عينيها ضوء قوى ، لقد كان الرجل الغامض الجالس وراء الحاجز المعدنى يحمل مصباحا قويا يوجهه الى وجهها ،فترنحت وهي تنهض ، فانقلب المقعد ، وأطلقت النار مرتين فى الظلام وراء المصباح ، فرن صوت الرصاص فى الهدوء المخيم كأنه انفجـــار القنابل

وسمعت مدام انترسوهن آهة عميقة ، فمزقت الحاجز المعدنى وهى تصرخ فى جنون :

ـ لقد قتلتك .. قتلتك !

وأسرعت تهرب من الغرفة ، وهبطت السلالم بسرعة ، وفتحت الباب ثم سمعت صوتا يقول :

ـ احترسوا ... انها تحمل سلاحا

وأمسك بها أحدهم ، وانتزع مسدسها ، ورأت مجموعة من الناس ، قبل أن تسقط فاقدة الوعى بين ذراعى رجل البوليس الذى أمسك بها !

وقال بورك :

ـ أرسلوها الى المستشفى فى السيارة التى حضرت بها ، ثلاثة منكم يتبعوننى . ولا تستعملوا السلاح الا عند الضرورة !



حين رأت جين مدام انترسوهن تدخل العمارة ، ظنت أن لديهـــا مفتاحا خاصا ، فانتظرت . ومضت خمس دقائق ، ثم عشر ، ولكن المرأة لم تظهر . ثم رأت مجموعة من الرجال يدخلون المنزل،وعرفت من بينهم مستر بورك ، وكاد قلبها يتوقف عن الخفقان !

انهم سيهاجمون المنزل ، وبيتر فى مكان ما بداخله ...

وتشاور الرجال فى همس ، وفجأة سمعت طلقتين ، وأمكنهـــا أن تحدد مكانهما بالغريزة . ان بعضهم يطلق الرصاص ... وبيترفى مكان ما داخل المنزل !

ورأت بورك يتقدم الى الباب ويولج شيئا فى ثقب الباب ـ أغلب الظن أنه مفتاح ـ وفى تلك اللحظة انفتح الباب ، واندفع شبح يصرخ بين الرجال !

كانت مدام انترسوهن ، فاندفعت جين تجرى حتى وصلت الى سيارة الاجرة التى كانت تنتظرها . ان بورك لا ينبغى أن يراها فى هذا المكان . ولكن سائق السيارة كان قد غادرها ليستطلع الامور . فوقفت تنتظر فى صبر نافد الى جوار حارة ضيقة تقع على ناصـــية العمارة وتقود الى ما يشبه المخبأ أو الجاراج . وفجأة سمعت صوت كلاكس سيارة قادمة من الحارة ، فانتحت ركنـــا مظلمـــا فى الوقت المناسب . مرت السيارة فرأت سائقها حليـــق الوجـــه . ولدهشتها حملقت فى الراكب ، كان بيتر كليفتون !

ونادته جين ، فأشاح بوجهه ، وحين فكرت فىالعدو وراء السيارة، كانت قد اختفت !

وكانت لا تزال تحملق فىاتجاه السيارة حين عاد سائق التاكسى، فعادت الى منزلها وهى تتساءل : ترى هل أكون أنا السابقة ؟ولكنها لم تكن تعتقد ذلك !

كان بورك أول من ارتقى السلم الضيق ، ووقف برهة ليفحـــص مكتب بلومبرج ، ثم صعد الى الغرفة السرية التى تقع فوقها مباشرة، فقد كان يشك فى وجودها منذ زمن طويل . وما كاد يدخل الغرفة حتى واجهه ضوء قوى . وحاول أن يتقدم ، ولكن الحاجز المعـــدنى الرقيق أوقف تقدمه ، فألقى بجسده عليه ، فانتزعه من السقف ، ثم أزاح المنضدة جانبا ، فوجد منضدة أخرى وراء الحاجـــز . وكان المصباح موضوعا على هذهالمنضدة ، فوجه ضوءه الى الناحية المضادة، فرأى رجلا جالسا الى ما يشبه الخزانة ، وقد تدلترأسه بين ركبتيه، وامتدت يداه لتمنعاه من السقوط ، فرفعه بورك من قفاه ، فانحدرت رأسه الى الوراء ، وأمكن لبورك أن يرى وجه شين ويلز ، الذى فارق الحياة

وقال بورك :

ـ هذا ما كنت أتوقعه

وحمل الجثة بمعونة أحد الرجال • وفحص المكان جيداً ، فوجد زرا من الخشب ، ضغط عليه ، فانفتح باب •وعلى ضوء المصباح رأى بورك مكان مصعد صغير يسع شخصين ، فقال :

ـ ارسل في طلب الطبيب الشرعي يا روبر ، وعلى فكرة ، هل وضعت بعض الرجال عند مدخل الحارة ؟

فانتفض روبر ، ولكنه كذب قائلا :

ـ نعم يا سيدى

وانتهز روبر أقرب فرصة ليرسل بعض الرجال ليصحح خطأه ، وكانت الفرصة حين استقل بورك المصعد ، وضغط أحد الزرين اللذين وجدهما ، فهبط المصعد بسرعة الى ما ظنه بورك بدروما ، ففتح باب المصعد ، وخرج ليجد نفسه في جراج • ولم يجد في الجراج أية سيارة ، وفتح باب الجاراج ليجد نفسه في الحارة ، ووجد سائقا ينظف سيارة

ولم يتكلم الرجل الا حين عرف أن محدثه مفتش بوليس ، فقال :

ـ نعم يا سيدى ، ان هناك سائق تاكسى عجوز يستعمل هذا الجاراج ، ونحن نسميه جو العجوز ••• ولم أره في حياتى الا الليلة

ـ منذ متى رأيته ؟

ـ منذ عشر دقائق ، كان يقود سيارته خارجا ، وكان معه راكب

ووصف السائق الراكب وصفا دقيقا ، وأمكن بورك أن يميز من الوصف بسهولة شخصية بيتر كليفتون !

وأدرك بورك أن مدخل الحارة لم يكن محروسا كما زعم روبر

ولم يتعرف أحد على جو العجوز ، فقد كان رجلا مسالما ، يمتلك سيارته التى يعمل عليها ، ولا يقوم بعمله الا ليلا ، ومن ثم لم يكن أحد يراه الا نادرا ••• وفى الظلام !

وعاد بورك الى الجاراج فأغلق بابه ، ثم استقل المصعد الى غرفة الموت !

حين عادت جين وجدت الشقة خالية الا من الخدم • وأنبأها والكر أن مارجورى غادرت المنزل بعد أن بارحته هى بخمس دقائق • فقد

أرسلت في طلب سيارة أجرة ، وأمرت السائق بالتوجه الى محطة واترلو

وسألت جين :

ـ هل عاد مستر كليفتون ؟

ـ كلا يا سيدتي

ـ ألم يتصل تليفونيا ؟

ـ لا

ولم تجد بدا من الانتظار ٠ وبعد نصف ساعة جاءها زائر يؤنس وحدتها ٠٠٠ كان بورك !

ـ لقد رأيت أن أزوركم ٠٠٠ أليس بيتر هنا ؟

ـ كلا ٠٠٠ لقد ذهب يتريض ٠٠٠ خرج الآن ، وربما لو كنت قد أسرعت لقابلته على السلم

فابتسم بورك وقال :

ـ كم من مرة أوشكت أن أقبض فيها على شقى ، فخدعتني زوجته قائلة أنه خرج ، بينما كان هو طوال الوقت مختفيا في البدروم٠٠٠

فقالت جين بحرارة :

ـ ان بيتر ليس مختفيا في البدروم ، انه لا يخشى شيئا ليختفي، هل حضرت للقبض عليه ؟

فهز المفتش رأسه وقال :

ـ كلا ٠٠٠ لقد حضرت لأقضي معه أمسية هادئة !

ولاحظت جين لدهشتها أن لهجته خالية من التهكم ٠٠٠ واستطرد المفتش قائلا

ـ ان كارلتون هاوس تيراس مكان جميل هادىء ٠ هل كنت في الخارج يا مسز كليفتون ؟

ـ كلا ٠٠٠ اللهم الا لالقاء خطاب في صندوق البريد !

فنظر الى السقف ، وقال كأنما هو يحدث نفسه :

ـ انني لأعجب : هل كان ذلك الصندوق فيشارع نولبي ، ربما كان هناك !

ـ أنت تظن انني أكذب ؟!

ـ من واجب كل زوجة مخلصة أن تكذب لتحمي زوجها ٠ انني

لم أرك بعيني رأسى ، ولكن أحد رجالى رآك تستقلين سيارة تاكسى رقم ٩٧٥٨١ • واسم السائق لين ، وهو يسكن فى اصطبلات جريسيد

وتذكرت جين شيئا ، فقالت فجأة :

ـ أريد أن أريك شيئا

وقادته الى المكتبة حيث كانت الصحيفة القديمة لا تزال منشورة فوق المنضدة • وظل بورك لمدة خمس دقائق يحدق فى الفقرتين اللتين لا تستغرق قراءتهما دقيقة • وأخيرا قال فى سرور :

ـ هذه هى المعلومات التى لم أكن أعرفها ، يا اله السماء ، لوكنت أكثر شجاعة لقبضت على ويلز أمس

ـ ويلز ؟ هل ارتكب الجريمة ؟

ـ لقد ارتكب الجريمتين ، وربما دستة أخرى من الجرائم ، انمعظم كبار القتلة يفعلون ذلك ••• نعم ، لقد كان من عتاة المجرمين !

ـ هل قبضت عليه ؟

فهز رأسه نفيا ، فعادت جين تسأله :

ـ ولكن لماذا ؟

ـ لأن مدام انترسوهن قد قامت بعمل القاضى والجلاد فى وقت واحد !

ومد يده ليسند السيدة التى أوشكت على الاغماء ، ثم استطرد :

ـ هونى عليك أيتها الصديقة الصغيرة

ـ هل .. مات ؟

ـ قتل رميا بالرصاص

ـ لقد سمعت الطلقات ، هل كانت مدام انترسوهن ؟ هل أنت متأكد ؟

ـ جدا ••• وكانت تحمل المسدس حين نزلت ، ولم تكن تبالى ، إنه مسدس ضخم

مات دونالد ! لقد كان واقفا فى نفس المكانالذى يقف فيهالمفتش الآن ••• بعد ظهر هذا اليوم بالذات • وقالت جين :

ـ لا يمكن أن أصدق

وفى هذه اللحظة عاد بيتر ، ونظر الى المفتش شزرا ، ولم ينظر

الى زوجته ، وقال بورك بهدوء :
ـ هل استمتعت برياضتك ؟
فقال بيتر باختصار :
ـ نعم
ـ وأظن سائق السيارة قد غادر لندن الآن ؟
ـ لست أفهم ماذا تعنى !
ـ لقد كان مجرد سؤال ٠ان ما أريد أن أقوله سأقوله أمام زوجتك يا مستر كليفتون ٠ منذ زمن مضى عرضت على مبلغا كبيرا من المال، ولكنى رفضته ، وقلت لك أن رجلا واحدا لا يمكن أن يخدم سيدين، ولكنى منذ ذلك الوقت وأنا أخدم ثلاثة أسياد ، ثم زاد عددهم ٠ ولاننى رجل يحب واجبه ، فاننى سأقدم استقالتى الليلة ٠٠٠ من فضلك لا تقاطعنى ان الاستقالة ستسبب خفضا بسيطا فى معاشى ٠ وأنا لا أحتمل نقص جنيه واحد من مرتبى ٠ لقد كنت أخشى أن يكتشف روبر ، أو أى ذكى آخر ما كنت أفعله ، وفى هذه الحالة كنت سأعتزل الخدمة دون معاش ، وربما قضيت أيضا اثنى عشر شهرا فى سجن وودمور ، ولكنى محظوظ ، كما أنك أنت محظوظ يا مستر كليفتون ، فاذا فكرت أن تقدم الى هدية بمناسبة اعتزالى الخدمة ، فاننى أحذرك ، فقد أقبلها ! اننى لا أسألك اياها ، فأنا أستحقها بشكل ما ، فأنا لا أعرف الخجل أو التواضع الكاذبين، ولكنى لا يمكن أن أخدم سيدين ، لهذا قررت أن أعتزل الخدمة
فقال بيتر فى حرارة :
ـ انك تستحق ٠٠٠
فقاطعه بورك قائلا :
ـ لا تذكر الرقم ، فقد يطير صوابى ، لقد كنت أعرض عليك خدماتى كحارس خاص ، ولكن طرأت فى ذهنى فكرة ، وهى أنك تزوجت سيدة قادرة على القيام بهذا الدور عن جدارة ، وبهذه الكلمات القليلة أستودعك الله
فقال بيتر :
ـ ولكن لماذا تفعل هذا ، انك لم تحذرنى من قبل ، وكنت أعلم اننى قد أحطم مستقبلك ، أما الآن ...

ـ ان السائق هو الذى جعلنى أصل الى هذا القرار



وساد الزوجين صمت بليغ بعد أن غادر المفتش الغرفة ، وكان بيتر هو البادىء بالحديث :

ـ اننى آسف يا جين ، كنت مضطرا أن أتجاهل نداءك ، ولكن الواقع أن ...

ـ لا تتحدث فى هذا الشأن ...

ودارت المناقشة حول موضوعات تافهة ... ثم عاد بورك وقال :

ـ آسف لازعاجكما ، لقد وجدت الاوراق الضائعة

ـ أوراق رادلو ؟

ـ نعم !

ولم يسأل الزوجان أين وجد المفتش الاوراق ، لقد كانا يعلمان أنها كانت فى جيب ويلز منذ ساعات ، وقدم بورك الاوراق لبيتر الذى شرع يقرؤها . وكانت تحوى المعلومات التى عرفاها عن طريق قصاصة الصحيفة القديمة

وقال بورك :

ـ أنت تعرف أن بعضهم اتصل برادلو بعد ظهر ذلك اليوم . وفى المرة الاولى كان رادلو نائما ، وفى المرة الثانية كان هو الذى رد على المكالمة ، وكان يظن أنه يتحدث الى بيتر ، ولكن المتحدث كان ويلز نفسه ، ولابد أنه اتصل برادلو من قصر لونجفورد ، فلما علم أن البيان سينشر على الملأ ، أدخل تعديلا فى خطته . لقد كان يعلم الكثير عن عادات بيتر ، وكان بالطبع يعرف عادة بيتر فى التدخين أثناء قيادة السيارة ، واستبدل بسجاير بيتر أخرى مخدرة، وانتظره فى الطريق ، فلما رأى سيارة بيتر تنحرف الى جانب الطريق وتقف، لحق به ، وركب الى جانبه ، ثم حقنه بمخدر ، ثم قاد السيارة الى سيدنهام . وكانت ليلة ممطرة ، ولكى لا يوقفه أحد رجال المرور ، أحضر نطاقا جلديا ليحزم به بيتر الى مقعده ، وقد وجدت النطاق الجلدى فى أرضية السيارة . واقتحم ويلز منزل رادلو ليقتله، ويلقى التهمة على عاتق بيتر . وكان ينتظر أن يكون البيان معدا ، ولكنه فاجأ الرجل وهو لا يزال يكتبه

« أما حادث مقتل بازيل هيل فكان عفو الخاطر ، فقد اضطر الى قتله حتى لا تؤدى تصرفاته الجنونية الى افساد خطة العصابة التى ترمي الى الحصول على موافقة بيتر على قيام اثنين من الاطباء بتقديم اقرار بأنه مجنون ، ومن ثم تتصرف العصابة في ثروته ··· لقد كانت خطة بارعة »

وطوى بورك الاوراق بعناية ، ثم قال وهو يغادر المنزل :

ـ والآن وداعا ··· لن أقلق راحتكم الليلة

وسادت فترة صمت أخرى ، ثم استجمعت جين شجاعتها ، ونهضت لتقف خلف المقعد الذى يجلس فيه بيتر ، ووضعت يديها على كتفه وقالت :

ـ بيتر ··· هل هرب أبى ؟

ـ أرجو ذلك

ـ هل كان هو ملك المزيفين ؟

ـ نعم ··· اننى آسف يا عزيزتى ، لقد كنت أعلم ذلك منذ اللحظة التى عثرت فيها على لوحاتى على أحد مقاعد الغرفة السرية فى قصر لانجفورد ، ويبدو أنه كان هناك يطبع الاوراق حين نسيها

ولم تتكلم ، وانما كانت يدها تبحث عن يده حتى وجدتها ، فضغطت عليها ··· واستطرد بيتر :

ـ لقد كان لامع الذكاء ، فمنذ سنوات عديدة وهو يجمع هذا الجهاز الضخم حوله ، ويتصل بعملائه تحت ستار مؤسسة بلومبرج للسلفيات · وعن هذا الطريق عرف مدام انترسوهن وألم بقضيتها ، وعن نفس الطريق عرف بازيل هيل ··· وبالمصادفة البحتة التقيت أنا بويلز

وبصوت منخفض سألته :

ـ من أدلى اليك بهذه المعلومات ؟

ـ والدك ···

ونهضت بسرعة وغادرت الغرفة ، وحين عادت كانت قد خلعت ملابس الخروج ، وارتدت فستانا بديعا زادها فتنة ··· وجلست فى حنان الى جانب زوجها ، ثم اسندت رأسها الى صدره ، وقالت :

ـ والآن ، فلنتحدث عن أشياء أخرى !



الوصول إلى الحقيقة يتطلب إزالة العوائق
التي تعترض المعرفة ، ومن أهم هذه العوائق
رواسب الجهل وسيطرة العادة ، والتبجيل المفرط لمفكري الماضي
إن الأفكار الصحيحة يجب أن تثبت بالتجربة

حصريات مجلة الابتسامة

** شهر سبتمبر 2018 **

www.ibtesamah.com/vb

التعليم ليس استعداداً للحياة ، إنه الحياة ذاتها
جون ديوي
فيلسوف وعالم نفس أمريكي

روايات الهلال

مجلة شهرية لنشر القصص العالمي



المؤلف

ادجار والاس كاتب قصصي تزعم كتابة الروايات البوليسية بعد آرثر كونان دويل فى اللغة الانجليزية ، وقد اشتهر والاس بانتاجه الغزير الى حد انه يصعب حصر ما الفه من القصص القصيرة والروايات البوليسية الطويلة

اما شهرته العجيبة ففى سرعة وضع القصة فقد كان يتمها فى وقت يعد رقما قياسيا فى سرعة التاليف وكان من عادته أن يملى على سكرتيره ، ثم لما رأى أن سكرتيره لايتابعه فى سرعته، أتى ب ((ريكورد)) ليسجل عليه فصول الرواية بالسرعة المطلوبة وعلى السكرتير بعد ذلك نقلها الى الورق



هذه الرواية

رواية ملك المزيفين THE FORGER التى تقدمها سلسلة روايات الهلال اليوم ، تحفة جديدة للكاتب البوليسى الاشهر ادجار والاس ... انها قصة مزيف رهيب دوخ رجال البوليس فى أوروبا وأمريكا ، وكان السبب المباشر فى تدهور اسعار الاوراق المالية فى كثير من دولها ، بسبب ملايين أوراق النقد المزيفة التى يغرق بها الاسواق.وهى رواية حافلة بالمغامرات المثيرة ، والصراع الرهيب ، والمفاجآت المذهلة بين رجل مجهول ، يخيل اليك فى بعض المواقف انك عرفت عن يقين شخصيته ، ثم - فجأة - يتبدد اليقين ! انها رواية فذة ، تحبس انفاسك ترقبا لاحداثها العجيبة المتوالية فى نهاية كل فصل . وهى مشوقة غاية التشويق ، بحيث لن تتركها قبل أن تتم قراءتها

وتتميز هذه الرواية بان حوادثها تدور فى وسط ارستقراطى ، بين مليونير شاب ، وطبيب مشهور ، وفنان عجوز ، وغادة فاتنة الجمال ، وسيدة ثرثارة

وسيجد القارىء فى هذه الرواية صراعا رهيبا فى سبيل الثروة ، لا يتورع عن اتباع الوسائل المشروعة ، وغير المشروعة ، وجنونا موروثا فى أسرة ثرية غاية الثراء ، وفنا رفيعا سخر فى خدمة التزييف ، ومهارة طيبة فى عالم السموم ... ومفاجاة مدهشة فى ختام الرواية !

ملك المزيفين